

مذكرات أحمد محمد عثمان

[سيرة حياته الفكرية والسياسية]

تأليف: أحمد محمد عثمان
إشراف: د. محمد عبد الله

الطبعة الأولى

الطبعة الأولى: ١٩٨٥

الطبعة الثانية: ١٩٩٠

١٩٨٥

١٩٩٠

الطبعة الأولى: ١٩٨٥
١٩٩٠

مذكرات

أحمد محمد نعمان

[سيرة حياته الثقافية والسياسية]

مراجعة وتحرير

الدكتور على محمد زيد

تقديم

نادية ماريّا الشيخ

مديرة مركز الدراسات العربية والشرق أوسطية

(CAMES)

فرانسوا بورغا

مدير المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية

(CEFAS)

مكتبة مدبولي

٢٠٠٣

تقديم

فرانسوا بورغا

مدير المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية (CEFAS)

نادية ماريا الشيخ

مديرة مركز الدراسات العربية والشرق أوسطية (CAMES)

لا يشكل اليمن استثناءً على القاعدة التي تفيد بأن معرفة نظام سياسي ما لا يمكن أن تتم خارج إطار الخلفيات التاريخية . فالتحالفات والانشقاقات ، والتقارب والتباعد، والشد والجذب ، التي بدأت منذ العام ١٩٦٢ ، وإلى ما بعد الوحدة في ١٩٩٠ والحرب الأهلية في ١٩٩٤ ، كلها تلقي الضوء على الثوابت المؤسسة للنظام ، وهي، إلى ذلك، تتدرج جميعها في تاريخ القرن العشرين. إن القاعدة الاجتماعية للنظام ، ونقاط القوة والضعف فيه ، ومتطلبات تحوله وبقائه ، لا يمكن فهمها إلا بتقصي السيرة الثقافية والسياسية للشخصيات الفذة التي تمثل اليوم القوام البشري لذلك النظام . . أحمد نعمان هو أحد النشطاء المثقفين والسياسيين، وقد لعب دوراً أساسياً في تاريخ اليمن الحديث. كان أول عمل سياسي قام به من اختار له التاريخ صفة "أستاذ" هو إنشاء مدرسة ، كأسلوب للتأكيد على أهمية التعليم في العملية الثورية وفي التنمية. إن الجهد التحديثي الذي ساهم في ولادة النظام الجمهوري في عام ١٩٦٢م مدين له بالكثير. غير أن نعمان سرعان ما وجد نفسه في خلاف مع ثوار ٢٦ سبتمبر، فما كان منه إلا أن اختار المنفى. ولما كان صديقه و موضع ثقته محمود الزبيري قد لقي حتفه مبكراً أثناء الحرب الأهلية، فإن هاتين الشخصيتين لم تجدا حتى اليوم الموقع الذي يليق بهما ضمن مؤسسي اليمن الحديث.

في إطار برنامج مخصص لـ "الأسس التاريخية للانتماءات السياسية في اليمن المعاصر" أراد العهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية أن تلعب شهادة أساسية لأحد مناضلي التحديث في اليمن دورها في النقاش الدائر، سواءً كان ذلك على مستوى اليمن والعالم والعربي أو على المستوى العالمي. فقط هذا النقاش هو الذي سيسمح بكتابة تاريخ هذه المنطقة من العالم، علاوة على تاريخ العلاقات الدولية خلال الفترة المفصلية لنهاية عصر الاستعمار .

في عام ١٩٦٩م قدم نعمان رواية مطولة عن أهم منعطفات حياته الثقافية والسياسية، إضافة إلى ذخيرة مهمة من الوثائق الشخصية. وقد جاء ذلك في إطار مشروع لتسجيل التاريخ الشفهي اضطلع به مركز الدراسات العربية والشرق أوسطية التابع للجامعة الأمريكية في بيروت خلال سنوات الستينات و السبعينات. وهنا، نود أن نتوجه بأجزل الشكر للسيد علي زيد، ذلك المؤرخ اليمني اليقظ، الذي تفضل بمراجعة و تحرير النص المدون، والذي نأمل أن يكون صدوره فاتحة لسلسلة من الإصدارات عن الوثائق الثمينة بمكتبة A.U.B - Jafet

من ناقله القول أن نؤكد بأن العهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ومركز الدراسات العربية والشرق أوسطية التابع للجامعة الأمريكية ببيروت - الذي عهد إليه بهذه الشهادة - لا يقدمان أية ضمانات علمية، ناهيك عن ضمانات سياسية، فيما يتعلق بالشهادات الواردة في هذا الكتاب. كما أنهما غير معنيين بالخوض في النقاش الذي يسهمان، لا محالة، في إزكائه. ويتشرفان، وإن كان بصورة متواضعة ، في إثرائه.

مقدمة

مضى ما يقرب من سبعين سنة منذ أن بدأ أحمد محمد نعمان سيره الحثيث الاستثنائي نحو التمرد على بيئته التقليدية الموروثة، للبحث عن مداخل للتغيير والتحديث، دون أن يطلع المؤرخون والمهتمون على حقائق تلك السيرة غير العادية، بحيث لا تكاد الأجيال الجديدة تعرف عنه شيئاً، أو لا تعرف عنه وعن العصر الذي عاش فيه سوى القليل. وأقول "العصر الذي عاش فيه" لأنه بدأ كفاحه في عصر مختلف تماماً عن يمن الحاضر على الرغم مما يعيشه يمن اليوم من تخلف ومن صعوبات. ولقد تكلم كثيرون ممن جاءوا بعد نعمان (أو "الأستاذ" نعمان كما سمّاه الإمام أحمد حميد الدين وكما أصبح يعرف فيما بعد، حسب قول نعمان نفسه) فأصابوا أو أخطأوا، وقيل الكثير عن المرحلة التي مارس خلالها العمل التربوي والنشاط السياسي، لكن المؤرخين والمهتمين ظلوا ينتظرون شهادته من مصدرها الأصلي، أي منه شخصياً، وليس من خلال ما ينقل الآخرون عنه، أو ما يعتقدون أنه فعل. ذلك لأن أية شهادة أخرى لا تسد الفراغ التاريخي الذي يتركه صمته الطويل. لأن شهادته لا تسرد حوادث تاريخ تلك الفترة فحسب، بل ترسم الخطوات الأولى الحائرة، والمفعمة بالطموح النبيل، في سيرة أولئك الرواد الذين فتحوا أعينهم على عصور الظلام فوجدوا القبول بها مهانة وذل، واستمرارها طريق انقراض وفناء. ولم يكونوا حين بدأت الأسئلة القلقة تعتمل في خيالهم يمتلكون منهاجاً متاحاً أو حتى محتملاً للرفض والمقاومة والتغيير، ولا يتوجهون إلى جمهور قابل للاستجابة لدعوتهم، يؤيدهم ويحيطهم بدفء مشاعره، بل غامروا وحاولوا، وطرقوا أكثر من باب، وتخططوا وتمردوا، وتشرّدوا وسجنوا، وأخطأوا وأصابوا، حتى نجحوا بمرور الأيام القاسية المعذبة في اختراق ركाम الظلام المخيف، وامتلاك جرأة تحدي حصار الاستبداد والعزلة، وبذر بذور التغيير بقدر ما استطاعوا وبقدر ما أتاحت لهم الأوضاع الصعبة التي عملوا فيها.

والحق أن الأستاذ نعمان يعد أنموذجاً لعدد قليل من الطلائع الأفذاذ الذين يمثلون جسراً بين القديم ومحاولات التمرد عليه للانتقال إلى العصر الحديث. فقد بدأ تكوينه الفكري في العقد الثالث من القرن العشرين بالدراسة الدينية التقليدية في زبيد كما تواصلت منذ ما يزيد على ألف سنة دون أن يطرأ عليها سوى القليل من التغيير، ليبداً فيما بعد أولى محاولات التجديد بالتمرد على زبيد نفسها. ثم شرع في منتصف الثلاثينات بنسج صلته ومن ثم صلة اليمن بالعالم الحديث، عن طريق نهل المعرفة الجديدة من القادمين من عدن ومما يتسرب عبر هذه المدينة الرائدة من مطبوعات جديدة صدرت في الحواضر العربية التي سبقت اليمن في التفتح على العالم الحديث، مثل القاهرة وببيروت. وحين اضطره الاستبداد للخروج إلى القاهرة التقى هناك بمتقنين يمثلون الأمل العربي في نيل الحرية، من أمثال الفلسطيني محمد علي الطاهر، صاحب جريدة الشورى، وشكيب أرسلان، "أمير البيان" والمتقف العربي الداعي لتحرير العرب والمسلمين من السيطرة الاستعمارية، وغيرهما من الداعين لنهضة حضارية عربية ربما لم تتحقق بعد. وهكذا تعمقت صلته بدعوة التحديث والتطوير. ولعل هذا القدر الأصيل من تأثير حركة التنوير العربية ما ابتعد به عن تأثير القوى التقليدية على الرغم من محاولات الإخوان المسلمين التأثير عليه، وما نقله إلى مواقع الاستتارة التي لن يتخلى عنها قط في جميع مراحل حياته، وجعله دائماً يفضل المشاركة الشعبية حتى ولو اتخذت طابع تمثيل الواجهات ما دامت الشكل متاح للانتخاب والتمثيل الشعبي. وهو أيضاً ما سيجعله دائماً على غير وفاق مع الحكم العسكري حتى ولو كان باسم الثورة والتغيير، لينتهي به المطاف قبيل اعتزاله السياسة نزيل السجون الحربية في مصر يلخص تجربته المريرة في التعامل مع أنظمة القمع في عبارة مأساوية في هزلها تقول إنه بعد أن أمضى عمره مطالباً بحرية القول قد أرغم على أن لا يطالب سوى بحرية البول. وهذا دون شك ذروة المأساة التي واجهت ليس رواد التنوير العرب فحسب، بل كل عربي طالب بالتغيير، وهو ما يلقي الضوء على الإخفاق الذي أصاب حركة النهضة العربية، وجعل المنطقة العربية تدخل القرن الواحد والعشرين وهي تواجه أسئلة النهضة والتطوير وكأنها ما تزال في مطلع القرن العشرين.

كان الأستاذ نعمان قد خرج من السجن إلى بيروت في أواخر سنة ١٩٦٧ حين كانت بيروت واحة لحرية التفكير، علّه يستمد من أنفاسها الحرة مددا يتغلب به على دواعي الإحباط واليأس. وحين كانت القوى الجمهورية الجديدة تصد حصار صنعاء واثقة من النصر ومن قدرتها على الدفاع عن وعود الحرية التي مثلها النظام الجمهوري، في وجه توقع الأعداء والأصدقاء سقوط هذا النظام، ربما لاحت في خيال نعمان تجربة زميله محمد محمود الزبيري الذي نفذ بأعجوبة من صنعاء المحاصرة سنة ١٩٤٨ ليعيد بعد سقوط الحركة الدستورية تنشيط المعارضة من جديد. ولذلك لم يقبل نعمان إعلان "الجمهورية الثانية" (حسب تسمية موفقة اقتبسها المرحوم عبدالله البردوني) تعيينه عضوا في المجلس الجمهوري في ٥ نوفمبر ١٩٦٧، مفضلا مواصلة الدور الذي تمارس على أدائه بحيث لم يعد قادرا على مغادرته حتى وهو يتولى منصبا رسميا، أي دور المعارض المستقل برأيه، غير المستعد لأن يسكت على ما يراه غير صحيح. وكان متوقعا أن ينتهي به هذا السلوك إلى اختيار المنفى ليقضي بقية حياته حرا، قادرا على التعبير عن مشاعره إذا أراد، والسكوت عن قناعة، قبل أن ينأى بنفسه عن مشاغل الحياة كلها.

ولم يكن يرغب في كتابة مذكراته لولا أصدقاء له يكبرون كفاحه من أجل التنوير، وفي مقدمتهم يوسف إيش، وهو مثقف سوري على غير وفاق مع النظام في سوريا كان يعمل أستاذا متميزا للتاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت. فقد أقنعوه بأن يتولى "قسم التاريخ الشفهي" في هذه الجامعة تكليف من يسجل سيرته على أشرطة صوتية. وقبل ذلك العرض بعد تردد، مشترطا أن لا تتشر هذه المذكرات إلا بعد وفاته. وهكذا تم تسجيل أربعة عشر شريطا، أضيفت إليها صور بـ"المايكرو فيلم" للجزء الأكبر من كنز الوثائق التي جمعها. ولعل من الإنصاف أن نسجل هنا للأستاذ نعمان بذل جهد استثنائي (بل معجز في تلك الظروف) لجمع الوثائق وحفظها منذ الثلاثينات حتى أصبحت صورها اليوم محفوظة في مكتبتين في بيروت ولندن، عسى أن تلقى الاهتمام بنشرها ذات يوم. ولنا أن نتصور أي وعي تاريخي باهمية الوثيقة، وأي جهد خارق (في بلد يعيش ظروف قاسية) قام به

شخص معارض غير مستقر، متنقل بين السجون والمنافي القسرية والاختيارية، للحفاظ على وثائق لم تبذل المؤسسات العامة أو الخاصة أو الأفراد أي جهد لجمعها والحفاظ عليها. إنه فعلاً أمر يستحق الإكبار والإعجاب.

ومن المؤسف أن الحركة الثقافية في اليمن لم تبرا بعد من داء رفض التعدد. ينطبق ذلك على المؤسسات وعلى الأفراد. ولذلك تجد كل شخص غير مستعد لقبول روايات الآخرين عما شهدوا من أحداث، وما بدا لهم أنهم قد عرفوا أو سمعوا، ويتوقع منهم أن لا يقولوا إلا ما يعرفه هو، وما يناسبه، وما يمكن أن يتخيله. أما أن يكتبوا الصفحة الخاصة بهم من كتاب التاريخ، كما عاشوه أو كما بدا لهم أو كما تمنوا أن يعيشوه، فذلك مدعاة لمعارك لا تنتهي، قد لا تقتصر على معارك الكلام. وفي هذا الجو الذي تطغى عليه روح نفي الآخر يغيب الجهد الموضوعي للمؤرخ المحايد، لأن أحدا لا يعترف بدوره ولا بحقه في جمع الروايات والأدلة وفحصها والمقارنة بينها، ودراستها دراسة معمقة للوصول إلى أصح صياغة للنص التاريخي. وهذا ما يجعلني أتمنى على الجميع أن يتحلوا بالتسامح، وأن يقبلوا من نعمان أن يروي سيرته، وأن يكتب الصفحة الخاصة به من كتاب تاريخ اليمن الحديث، وأن يعطوه فسحة لأن يعبر بحرية عن آرائه وعن رؤاه. فهو لم يعد طرفاً في المماحكات السياسية المكيفيلية، ولا خصماً ينبغي أن تحد كل الأسلحة للإطاحة به. ولم يعد على قيد الحياة ليحاجج ويدافع عن آرائه، ويشرح ما بدا غامضاً أو غير مفهوم أو حتى غير مقبول. لقد أدى دوره ومضى. والحق أنه كان دوراً رائداً وعظيماً سواء اتفقنا معه في بعض ما يقول أم اختلفنا.

ومما يحسب له أنه سجل هذه المذكرات الشفهية في ربيع سنة ١٩٦٩ وقد انتصرت الجمهورية، ومع ذلك عبر بوضوح عن موقفه الحقيقي، مثلاً، من قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ حتى بعد أن انهزم خصومها، ولم يقم "بأثر رجعي" بإجراء جراحة تجميل لذلك الموقف.

وقد قمت، بتكليف من المركز الفرنسي للدراسات اليمينية في صنعاء، بإعداد نص المذكرات للنشر، خاصة وأن من تولى تفريغ الأشرطة غير يماني، على الرغم من الجهد الكبير الذي بذله ويستحق عليه الشكر والثناء، صعب عليه أحيانا فهم أسماء الأعلام والأماكن اليمينية والنطق اليماني لبعض الكلمات. كما أن التسجيل يعاني من بعض الفراغات. ومن طبيعة الحديث الشفهي أن لا يصاغ في جمل مكتملة طويلة نسبيا على الرغم من حرص الأستاذ نعمان على الحديث بلغة فصيحة. ونوعية التسجيل في بعض الأحيان غير واضحة. وكان الأستاذ نعمان أحيانا يقطع رتابة الحديث ويتغلب على التعب ببعض الطرائف الممتعة، مما قد يقطع تسلسل الفكرة. وقد تم التسجيل خلال أيام متباعدة لبضعة أشهر (من فبراير إلى مايو ١٩٦٩). وكان الأستاذ أيضا يتحدث على سجيته من الذاكرة، وعلى نحو متقطع مما يؤدي أحيانا إلى الاستطراد أو التكرار. لكن كل استطراد يكشف عن معلومات إضافية وعن أحداث أخرى، وقد يوسع مجال الرؤية. ولعل مما زاد في التكرار أن ابنه محمد الذي تحمس لهذا العمل، عند ما اطلع على الأشرطة المسجلة وجدها لا تحيط بجميع القضايا التي يعرف أن والده يستطيع الحديث عنها. وربما كان واضع الأسئلة الإضافية التي سجلت إجاباتها في آخر شريط، لأنها أسئلة صاغها شخص مطلع وتختلف عن الأسئلة السابقة التي يبدو من صياغتها أن من وجهها شخص غير مطلع على تفاصيل سيرة نعمان. وقد كان الأستاذ نعمان يتحدث عن أشخاص وأماكن وأحداث حاضرة حضورا قويا في ذاكرته بحيث لا تحتاج إلى تعريف أو توضيح. وهو ما استدعى أن أهتم بالتوضيح والتعريف حتى أسهل على القارئ العادي، وبخاصة من الأجيال الجديدة ومن غير اليمينيين، قراءة هذا النص المهم. وقد واجهتني منذ البداية مشكلة الشكل الذي ينبغي أن يتخذه عملي. واستقر الرأي على أن أحرص على بقاء نص نعمان كما هو في صورة إجابة على أسئلة طرحها عليه آخرون فأجاب عليها بتوسع أحيانا وبايجاز أحيانا أخرى، حسب نوع السؤال ومزاج اللحظة وتداعي الذاكرة. وتركت عبارات نعمان كما هي إلا حين يستدعي الأمر بعض التدخل لإكمال الجملة أو إيضاح الفكرة دون مساس بالمعنى. فهل وفقت؟

والحق أن انتظار القراء لهذه المذكرات قد طال. وإني لأتوجه بالشكر للمركز الفرنسي للدراسات اليمنية في صنعاء على اهتمامه بتحقيقها ونشرها. وأتوجه بشكر خاص للصديق الكاتب والمترجم فرنسوا بورجا، مدير هذا المركز، على حماسته لإخراج هذا النص، وعلى الثقة التي منحني إياها، وعلى الدور الذي يقوم به، بما عرف عنه من حيوية ومثابرة وحب للعمل، في جعل المركز الذي يديره علامة مضيئة من علامات التعاون الثقافي الفرنسي مع اليمن.

علي محمد زيد

باريس في ١١ فبراير ٢٠٠٣ م

١٠ ذو الحجة ١٤٢٣ هـ

مقابلة مع الشيخ/ أحمد محمد نعمان

س - حضرة الشيخ أحمد محمد نعمان، أنستطيع أن نعرف أين ولدت، وأين تعلمت، وهل لك أن تحدثنا عن أفراد عائلتك؟

ج - الواقع أنا ولدت في منطقة اسمها "نبحان"، في قمة جبل مرتفع في اليمن، وفي الجنوب منه (تقع في المنطقة المعروفة بالحجرية، محافظة تعز)، في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هـ/ ويصادف بالميلاد ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٩ م. والعادة هناك أن لا يعنون بشيء من تاريخ الإنسان وحياته. وأسرتي أسرة محافظة ومتدينة.

والعادة هناك أيضا عند ميلاد الإنسان أن يقيموا في اليوم السابع من ولادة الطفل احتفالا صغيرا بمناسبة اختتان الطفل، وهذا أمر مشروع، لا بد من ختان الطفل، وحلاقة رأسه، ويسمى العقيقة. ويوجهون بمناسبة الاحتفال الدعوة لجميع المعروفين في القرية، يطعمونهم ويذبحون الذبائح.

س - يقيمون هذا الاحتفال لولادة الطفل الذكر فقط أم للبنات أيضا؟

ج - للصبيان فقط. لأن الختان غير موجود للبنات. ولكن الختان يعتبر من الناحية الدينية مشروعا، ومن الضروري ختان الطفل الذكر والأنثى أيضا. ويتفنن الفقهاء في وصفه وصفا مفصلا، ويحددونه ويقدررون القدر الذي ينبغي أن يقص من المرأة حتى لا يتجاوز بحيث يضعف شهوتها إذا جازفوا في ختانها. إلا أنهم يذبحون كبشين يوم عقيقة الولد وكبش واحد للبنات. وخلال هذا تقام حفلة، ويأتي النشادون يقرعون التعاويذ في الليل من أجل سلامة الولد. وعندهم تراثيل يرحبون فيها بمجيء النبي:

مرحبا يا نور عيني مرحبا مرحبا جد الحسيني مرحبا

ثم يرقصون رقصا دينيا (يعقدون حلقات ذكر صوفية) ويشترون القات ويسهرون لمضغه.

س — ما هو القات؟

ج — القات شجر منتشر في بعض مناطق اليمن، يملكه بعض الناس ويبيعونه بأثمان لا بأس بها بحيث أنهم يكسبون منه. ويتجمعون في بعض المجالس أو في بيوتهم يمضغون هذا القات ساعات من النهار بعد الانتهاء من العمل، ينتشون به. يختزنونه في أفواههم أو يبصقون رحيقه إلى وعاء خاص حتى لا يبتلعوا الشيء الكثير منه. وكلما خف في التخزين ضاعفوا الورق. يستمرون بهذه العملية من بعد الظهر إلى أن تغرب الشمس ثم في الليل حيث تقام الحفلات وينطلقون بالأناشيد والتخزين. يشتري صاحب الحفلة كمية كبيرة من القات ويوزعها على الموجودين. وهكذا ينتهي احتفال المولد.

ولا وجود لمستشفيات للولادة. وإذا تعذر الوضع لدى بعض النساء يذهب أهلها إلى بعض الفقهاء والمتدينين ليصنع لها رقية تعلق إلى فخذ المرأة حتى تضع المولود. ويعتقدون أن هذا يسهل عليها الوضع. يكتبون في هذه الرقية أسماء مثل، بطر زهج زاح، يعتقدون أن هذه الكلمات الثلاث أسماء لبعض الملائكة، تكتب في ورقة وتطوى ثم تربط في خيط ثم تعلق بفخذ المرأة التي يتعذر عليها الوضع، وبذلك تسهل عملها الولادة.

هكذا يعتقدون لأنه لا يوجد طب ولا يوجد عندهم أي شيء (من الرعاية الطبية). وبعد أن تلد المرأة تعالج نفسها بالشذاب والمكوى، تحمى لها حجرة من الياجور تضعها على جسمها لتخفف عنها الآلام، لأنه لم يكن معروفا عندهم استخدام الماء الساخن. ثم تشرب من أنواع المر والأدوية البلدية، وتأكل العيش الساخن مع العسل غذاء لها. وتسمى هذه الوجبة "المعصوبة". وهذا هو "النعيم" الذي تنعم به المرأة أيام الولادة فقط، أما إذا انتهت أيام الولادة عادت إلى الجوع.

س — هل كنت الولد الأول لوالدك؟

ج — كلا. كان قبلي عبد الحميد، وأحمد، وعلي، وعبد ال له، ونعمان. أنا السادس من الأطفال الذكور، ومن ورائي أيضا ذكور وإناث أذكرهم بالأسماء:

زبيدة، وفاطمة، وخديجة، وعبد العزيز، وزينب. البعض قد توفوا ولم يبق إلا أخ واحد أبو عزيزة، زوجة ابني محمد.

وكانت هذه عادة الأسر. يتزوجون من بعضهم البعض لأنهم حريصون على الإقامة (في أسرهم)، لا يريدون أن يرسلوا بناتهم إلى جهات أخرى لحرصهم على إقامتهن في البلد (بالقرب منهم). ولم تفتح لهم الهجرة منذ عهد الجد نعمان. وقد كان هذا الجد يعتبر عمدة "ذبحان"، ويسمى هناك الشيخ نعمان. وقد أنجب أولاداً، هم أبي وأعمامي، تولوا السلطة في هذه المنطقة كلها. وعرفت أسرة بيت نعمان بأنهم مشايخ قضاء الحجرية. وكان أبرزهم عمي أحمد نعمان "بك"، لأنه اتصل بالأستانة وذهب مع مشايخ اليمن إلى السلطان محمد رشاد ومنح لقب "بك". لكن الأسرة كانت تعيش في بساطة، فلا تجدون فرقاً بينها وبين الآخرين، والعيشة عيشة شظف، مثلاً نتناول في الصباح قطعة من العيش ونذهب إلى الكتاب (المدرسة البسيطة).

لنأخذ "سيرة حياتي". أولاً قضيت سبع سنين ولم يكن هناك أي شيء أعمله. كنت ألعب في الطرقات في القرية مع الأطفال كرة "الشقلح" بعصى صغيرة في طرفها كسر. يحدفونها بالعصى إلى محل بعيد. وكان يحدث بيننا وبين أبناء القرى المجاورة تبادل الرجم بالأحجار. يغلبوننا أو نغلبهم، وأحياناً تحدث جنائيات وكسر رؤوس يسمونه "عديف"، أي أن أبناء هذه القرية يجتمعون ضد أبناء القرية الأخرى "يتحاجرون"، أي يقذفون بعضهم بعضاً بالحجارة.

ذهبت في السنين التي بعدها إلى "المعلامة"، وهو "الكتاب" الذي يعمل فيه فقيه القرية بتعليم الأطفال. يجلس الفقيه على دكة مرتفعة ولكنها ليست مفروشة وليس فيها حتى حصيرة. نتمرغ في الأرض كما نتمرغ الدواب. ويظل الأبناء متراكمين هناك والفقيه يدرّس كل واحد بمفرده، حيث لا يوجد نظام الصفوف. كل واحد يختلف عن الآخر. مثلاً واحد يقرأ الألف (أي أول حروف الهجاء) والآخر قد انتقل إلى سورة أخرى من سور القرآن. كانوا يكتبون على الألواح بعد أن يطلوها بنوع

من الحصى حتى تجف، ثم يكتبون عليها بالفحم لأن الحبر لم يكن موجودا بعد، ولم يوجد الحبر والأقلام إلا مؤخرا.

كنا نتعلم القراءة فقط عند الفقيه ونقرأ القرآن ونحفظه غيبا وليس فهما. وربما كان الفقيه نفسه لا يعرف المعاني، بل يكتفي بالألفاظ. فكنا نحفظ الألفاظ، وربما حفظا مغلوطا لأننا لا نفهم المعنى، ولسنا مطالبين بفهم المعاني.

كنا نبدأ بالألف باء. ثم نقرأ بعدها جزء عم (من القرآن الكريم) ونواصل قراءة السور سورة فسورة حتى نصل إلى سورة البقرة.

كنا نختم القرآن جزء بعد جزء. وكلما حفظ الشخص جزء من القرآن كانوا يقيمون له حفلة يشترك فيها الفقيه والزملاء في "المعلامة"، وتقدم لهم وجبة "عصيد". والعصيد قدر من الطحين يغلى بالماء ويخلط الماء بالدقيق، ويسمى "العصيد". وكان هذا أكل اليمنيين عادة وليس فيه أي نوع من السكر، لأن السكر كان نادر الوجود وغالي الثمن ولا يستخدم إلا في الأعياد. ومن المحتمل أن نجد قطعة سكر نتضارب عليها، بينما كان العسل معروفاً ولكن ليس بكثرة، لأن الفقر كان موجودا ومنتشرا. ومن غير الوارد عناية الناس بالغذاء. ثم إن التعاليم الدينية كانت تقول إن المؤمن يأكل بمعا واحد والكافر بسبعة أمعاء، وأن النبي كان يجلس شهرين لا يوقد في بيته نار ولا يأكل سوى الأسودين التمر والماء. بثت هذه التعاليم في الناس كثيرا من الزهد ومن عدم الإقبال على الحياة. ولذا نجد الأجساد شاحبة وليست أجسادا متينة متغذية. عندما كنا نذهب إلى الفقيه نقرأ ونتشاكس يمسك الفقيه بآذاننا، وأحيانا يمسك الحصى ويضعها وراء الأذن ويقرصها حتى يدميها. وكل هذا للتأديب. وأحيانا يمسك بتلابيب الطالب ويروي هذه القصة وهي "إن الله عندما أنزل جبريل ليعلم النبي القرآن قال جبريل للنبي: أقرأ فيقول النبي ما أنا بقاري، فيكرر جبريل القول: اقرأ، فيقول النبي: ما أنا بقارئ، ثم يكرر جبريل مرة أخرى. وهكذا اتخذوها دليلا على أن الطفل لا يمكن أن يتعلم بسهولة، بل لا بد له من عقوبة، ولا بد من أن يعاقب ليتعلم لأن النبي لم يتعلم إلا (بتكرار وإلحاح).

كانت العلامة المصدر الوحيد لتقافتنا. كنا نعاني معاناة كبيرة من الفقيه لشدة العقوبة التي كان يفرضها علينا. وكنا نعاني خوفا من الفقيه. فكان أكثر الأولاد يهربون ولا يدرسون ثم يبقون أميين. وكل ذلك بسبب خوفهم الشديد من الفقيه . أما نحن فكانت أسرتنا تريد أن نتعلم، ولا يوجد معلم إلا الفقيه، فنذهب إلى الفقيه. أحيانا يقسو علينا بالضرب أما لكما وإما قرصا. هذا إذا كنا على مقربة منه، أما إذا ابتعدنا فالعصا للمسافة البعيدة. ونرجع للبيت، تنتظر الأمهات إلى أجسادنا ثم يحدثن الآباء عن أجسامنا المضروبة والمشوهة، فكانوا يقولون نحن لا نريد إلا العين والعظم فقط، أما اللحم والجلد فللفقيه.

هكذا ينشأ الطفل في هذا العذاب والرعب. وعندما نعود إلى البيت نواجه معركة الصلاة. ولم يكن عندنا الوعي الديني والفهم. كان البرد قارسا شديدا فنضطر للوضوء بالماء البارد. تتقطع أيدينا وأقدامنا من شدة البرد. ونضطر للوضوء من حوض واحد، جميع الناس يتوضأون منه، منهم من يتمخط ومنهم من يبصق، ومنهم من يغسل قدميه. المهم عبادة الله. ثم ندخل إلى المسجد ونظل طوال الليل نغالب النعاس، فيغلب علينا النوم لأننا كنا أطفالا. فيقرصنا الآباء وهم في حالة ذكر، يرددون: الله، الله، الله، الله. كانت روح الصوفية موجودة. وكانوا يرددون أذكارا وأورادا. يتحلقون في المسجد، أي يجتمعون في حلقة للذكر ما بين المغرب والعشاء، فيظلون يرددون: الله، الله، الله... أولا وهم جالسون، ثم يرتفع الصوت شيئا فشيئا: الله، الله، الله... وإذا بهم يقفون قياما، ثم ترتفع الأصوات حتى يصلوا إلى مرحلة لا ينطقون فيها اسم الله، وإنما يرددون: آه..آه..آه... ويتواصل الضجيج والنحيب والناس مبهورون. وعندما ننتهي من هذا نصلي العشاء. وبعد الانتهاء من صلاة العشاء ندخل في ليل مظلم ننتظر العشاء. يأتي العشاء وهو وجبات من الأطعمة، هنا مائدة وهناك مائدة يسمونها "الفتة" وهي خبز بالمرق. نتحلق في حلقات ونبدأ قائلين: "باسم الله. اللهم بارك لنا فيما اجتمعت عليه الأيدي. باسم الله". فيأخذ كل واحد لقمتين أو ثلاث حسب شطارته. والمسكين يأكل لقمة واحدة و يحمد الله يقوم قائلًا: اللهم لك الحمد حمد الشاكرين، ثم يذهب لينام على الطوى.

وهذا ما مارسته أنا أيضا. يوقضوننا في الفجر الباكر، حينما يبدأ ظهور الخيط الأبيض في الأفق. نخرج إلى الحوض البارد. وقبل أن نمد أيدينا إلى الماء نرتعد بعض الوقت وبعدها نغامر. ثم ندخل المسجد ونحن نرتعد بردا، والبراغيث تأكلنا أكلاً. ولا يحق لمن يصلي أن يحرك يده ولا أن يحك جسده. ولكننا إذا كانت الدنيا مظلمة نحك دون أن يرانا أحد. وبعد الصلاة تقام حلقة ذكر أخرى. نبقى في المسجد إلى أن تطلع الشمس. بعدها نأخذ لقمة العيش ونذهب بها إلى الكتاب. وحين نصل الكتاب نسلمها إلى الفقيه. ويبدأ الفقيه بتعليمنا بعض الوقت. وعندما يوجد ثلاثون تلميذا يعني ذلك وجود ثلاثين صفا، لأن كل تلميذ يكاد يكون صفا مستقلا، واحد يقرأ والآخر يتهجى إلخ. صياح يدوي في المكان والفقيه مسرور، ويستمتع في كل ساعة لواحد من التلاميذ.

س - متى تأكلون في الصباح؟

ج - عندما نغيب درسنا عند الفقيه يدعونا ويعطينا نصف اللقمة التي جئنا بها ثم يأخذ النصف الآخر. نجلس في شكل حلقة، ونكسر أقراص الخبز ونضعها في حجر أحد الأولاد ونبدأ نقرأ: "بسم الله الرحمن الرحيم: لإيلاف قریش، إيلافهم، رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف]. يا أمان الخائفين أمانا من كل خوف. يا أمان الخائفين، أمانا في الدنيا والآخرة. آمين يا الله". ثم نبدأ في تناول اللقمة بشراهة ونرجع بعدها لنكمل درسنا.

وهكذا يبقى التلميذ حوالي خمس أو عشر سنين عند الفقيه لأنه لم يستطع أن يختم القرآن. والبعض الآخر يبقى مدة أطول. أما أنا فكنت من الأذكاء الذين ختموا القرآن خلال ثلاث سنين حتى أنفذ بجلدي من الفقيه. وبعدها وجدنا أننا مجبرون على أن نتعلم الكتابة، لأننا أولاد مشايخ. وقد أصبح آباؤنا معروفين عند الدولة العثمانية. وكان عمي قائم مقام الحجرية. فلا بد للأولاد من تعلم الكتابة. فقد فتح الأتراك "مكتب". كان الفقيه يعلم في معاملة. أما الذي فتحه الأتراك فهو "مكتب" لتعليم الكتابة، على يد الخوجه أحمد مقبل. وأول ما تعلمت منه: "رب يسر ولا تعسر، رب تمم بالخير، وبه نستعين". هذا أول سطر كتبه لنا بخطه الجميل. كنا

نجلس ونتعلم عليه. نكتب ويأتي الخط مختلفاً عن خطه، فيقول: أفتح يدك، وما أن نفتح يدنا حتى يقوم بضربها. وهكذا كان الفقيه قد أخذ نصيبه من أجسادنا، وجاء الخوجة ليضرب أيدينا كما يريد بلوح يشبه المسطرة مأخوذ من صندوق. وإذا عارضت ضاعف الضرب.

أما عقوبة التخلف عن المدرسة فقد كانت الفلقة. هذا لم يكن موجوداً عند الفقيه، وإنما وصلت الفلقة مع الأتراك. فهذه حضارة تركية. نعم. لقد جاءت الحضارة التركية بالفلقة. وأظن أنكم تعرفونها. يقعد الطالب على الأرض القرفصاء، ثم يضعون عصا خلف ركبتيه ويثني الركبتين إلى الخلف. ثم تُشد الرجلان بحبل إلى العنق، ويقلب الطالب على ظهره بحيث تظل قدماه متجهتين إلى السقف دون أن يقوى على الحركة، وبعدها ينهال المعلم بعصاه ضرباً على باطن القدمين. وفي بعض الأحيان لا يكون هناك داع للفلقة، يكلف المعلم بعض الأولاد بأن يرفعوا له رجلي التلميذ ويتولى هو الضرب. ومن عقوبات الغياب أن يجمع المعلم مجموعة من التلاميذ ويذهب بهم إلى بيت التلميذ الغائب فيسحبونه من بيته. مع العلم بأن أهله موجودون ولكنهم يتبرعون منه. وإذا مانع يشدونه من عنقه ويأخذونه إلى عند المعلم. يجرونه من رجليه إلى عند الفقيه، وإذا وصل إليه لا يرحمه طبعاً.

وكانت العادة أيضاً طاعة الطفل لإخوته الأكبر منه. يستطيعون أن يؤدبوه. وإذا اشتكى إلى أبيه يقول له: أشتكى من أخيك الذي أكبر منك! له الحق في أن يدوسك ويضربك حتى "ينقعك"، أي أن يضع رجله في بطنه حتى يفجرها وليس للمضروب الحق في أن يقول أي شيء.

أذكر مرة ضربني فيها أخي الكبير، علي. سافرت مسافة بعيدة لأشتكيه إلى أبي واستجد به وكان في مكان بعيد. وصلت وكان نائماً لأنه في رمضان. فأخبره أحد الأشخاص بوجودي وإني قادم أشتكي من أخي علي. قال والدي أشتكي من علي؟ والله إذا رأيت وجهه فسأفئك به. خرج الذي أبلغه بالأمر وقال لي: أهرب قبل أن يراك أبوك. رجعت ووجدت أخي الذي ضربني قد مرض، فقالت أمي إنها عقوبة له لأنه ضرب أخاه الصغير. أما هو فقال: سامحني وهكذا انتهت القصة.

فكرت أن هناك مدينة مشهورة في اليمن أسمها زبيد. كانت حصيلة ما في القرية من تعليم تقتصر على الكتاب "المكتب". وكان هذا المكتب امتيازاً عندنا فقط، باعتبار أن هناك مركز حكومي ونحن من طبقة المشايخ. أما باقي أولاد القرى فيتعلمون عند الفقيه. ولا يتعلم إلا القلة القليلة. ولماذا يتعلمون؟ لأن هناك أوقافاً يوقف فيها الناس أراضيهم قبل أن يموتوا من أجل أن يقرأ لهم القرآن على قبورهم من أجل التحلل من السوابق والذنوب التي قد يكونون ارتكبوها. فكان الأطفال يتعلمون لكي يجودوا شيئاً من القرآن ويحترفوا قراءته فيما بعد. وهكذا يقرأون القرآن إلى روح فلان. ولذلك فإن الكثير من الأراضي في اليمن موقوفة، أي أنها لا تباع. يوقفها المالك على أن يقرأ القرآن إلى روحه. الكثير ممن يقبلون على التعليم يتعلمون من أجل هذه المعاني وليس لأنهم يفهمون القرآن. هذا في القرى. ولكن كان هناك مدن علمية.

س — هل باستطاعتك أن تخبرنا عن عدد السكان الذين كانوا في القرية أو في القرى وعن نسبة العلم بينهم؟

ج — القرى حول بلدتنا حوالي ٤٠ قرية، ونسبة المتعلمين في كل قرية ٥ %.

س — ما هو نوع العمل الذي كانوا يشتغلون به؟

ج — كانوا يذهبون مع آبائهم إلى الحقل للزراعة والحصاد. لا توجد أية مهنة سوى العمل في الأرض ورعى الأغنام والبقر. هذه هي المهنة الموجودة. إنما كانت هناك عدن. وكان الإنجليز قد فتحوا فيها الأعمال والمتاجر، فكان أكثر أبناء اليمن يهاجرون إلى عدن، يبحثون عن العمل. ففي أيامنا كان القراء قليلين. ولا يوجد إلا الفقيه في القرية يكتب للناس عقود البيع عندما يبيع المالك أرضه، ويكتب ورقة الطلاق بين المرأة وزوجها. كانوا يتعلمون الشريعة. وهكذا كان هذا الفقيه متخصصاً بهذه الأعمال. وكما قلنا سابقاً إن نسبة المتعلمين ٥ %.

وكان آباؤنا من حيث هم مشايخ يستقدمون العلماء. وكان مستوى هؤلاء العلماء يفوق مستوى الفقيه. كانوا يعرفون الشريعة ويعرفون اللغة العربية ولهم معرفة بالعقائد الإلهية. فكان آباؤنا يحرضوننا على أن نصل إلى هذه الرتبة لنصبح

مثل هؤلاء العلماء، لأن الملائكة تفرش أجنحتها للعلماء على الأرض ولهم الأجر من الله. والحيتان تسبح لهم في البحار. فعالم الدين يلقي الله والله راض عنه. والله يرضى عن المتعلم والفقير.

فإن فقيها واحدا متعبدا أشد على الشيطان من ألف عابد

كانت هذه مصادر الثقافة التي ابتدأت ينابيع العلم منها، من الكتب، ومن المعلمة، ومن الخوجة أفندي.

كان هؤلاء العلماء يأتون إلى عندنا. وكنا نتعلم منهم. في كل مرة كان يأتي حوالي ٣ علماء، يمكثون شهرين عند الشيخ يأكلون ويشربون إلى أن يقوموا بزيارة أهلهم حاملين معهم بعض الطعام أي الحبوب. فكان كل فقيه يأتي نقرأ عنده كتاب "أبو شجاع" أو "الغاية والتقريب" في كيفية الصلاة وشروطها، والعبادة والحج ومناسكه ورمضان. قسم من الكتاب يتعلق بالعبادة وقسم بالمعاملة (البيع والشراء والوقف والهبة والرهن)، وقسم يتعلق بالنكاح (الزواج والطلاق والعققة أي شروط ختان المولود)، وقسم يتعلق بالجهاد، قتال الكفار والخارجين عن الإسلام ومحاربتهم (قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله). فأنا كنت أقرأ مع القادم، وما أن يسافر هذا الفقيه حتى يأتي فقيه ثان ليزورنا ونبدأ بالقراءة عليه من أول الكتاب من جديد. بقيت سنتين أقرأ نفس الكتاب، كتاب "أبو شجاع". يأتي الفقيه ويشرح من أول الكتاب وأكون قد قرأت سابقا ربع الكتاب.

لم يكن أبي متعلما تعليما كافيا. كان يسألني هل قرأت الكتاب، فأجيب نعم قرأته. فيسأل ماذا قرأت؟ أقول له: "قروض الوضوء". اسمع لي، الأول غسل الوجه، الثاني مسح اليدين، الثالث مسح الرأس، والرابع كذا، والخامس كذا. يقول لي: أصلحك الله. يأتي بعد شهرين ليسألني: هل تقرأ؟ أقول له نعم. فيسأل وما ذا حفظت؟ أقول له: المسح على الخفين، ثم يسأل وما هو المسح على الخفين؟ أجبت: المسح على الخفين جائز بثلاثة شروط، أن يكون كذا وكذا، فيقول لي: أصلحك الله. فيأتي بعد مدة ويسألني ما الذي تغيبته؟ أقول له: الاغتسالات المسنونة. ثلاثة أبواب حفظتها غيبا. فيسألني أمام الناس. وعندما أسرد لهم الإجابة يقولون: ما شاء الله،

ما هذا الولد الذكي يا شيخ محمد؟ كانوا يعدونني نابغة بين أخوتي. كان عندي أخ أكبر مني، وكان لا يغيب خوفا من أبي . فعندما يسأله لما ذا لم تحفظ غيبا ؟ يقول له: إنني أقرأ نظرا لا غيبا ، فيقول له : أخوك أصغر منك وقرأ غيبا ! ويقوم ليضربه.

وأخيرا، هربت من ضرب إخوتي، نعمان يضربني، وعبد الله، وعبد الحميد، وأبي. فما ذا أعمل؟ أبي كانت أمنيته كبيرة ورغبته شديدة في أن يصبح علماء، فإذا أتى عالم عند والدي يقول له: أدع للأولاد حتى يفتح الله عليهم ويتعلموا. فكنيت أجلس دائما إلى جانب العلماء ولا أتغيب عن مجالسهم. ثم كنت أقوم للصلاة قبل إخوتي جميعا. أريد أن أرضي أبي تماما. وهكذا كان يقول لي دائما: الله يرضى عنك يا ولدي، الله يفتح عليك، الله يجعلك من العلماء العاملين. ثم فكرت في مدينة مشهورة باليمن أسمها زبيد. كانت من المدن العلمية الكبيرة، فيها دراسة للغة العربية وللشريعة. وفيها علماء، أي أنها كانت مدينة مشهورة بالعلم، وكانت فيما مضى عاصمة لدولة بني زياد. ثم إنها أشهر مدينة بعد مدينة صنعاء، ثم أصبحت مشهورة كأنها مدينة مقدسة.

شعرت أن والدي يتشوق لكي أذهب إلى هذه المدينة. فهو يتمني دائما أن يذهب أولاده إلى زبيد. ففكرت في الذهاب إليها، خاصة وقد كان يقال: من لم يتعلم في زبيد فليلمس أحجارها. فحرصت على استغلال مشاعر والدي حتى أنجو من العذاب الذي نزل بي، وقررت الهرب من البيت والعائلة إلى زبيد. وذهبت إلى زبيد، على مسافة خمسة أيام، ولكنني قطعت نصف المسافة وكتبت "مكتوبا" لوالدي، لأنني كنت قد تعلمت الكتابة من الخواجة أفندي بعد الضرب الشديد. وتعلمت من الحساب الجمع والطرح والضرب والقسمة، لأن الأتراك كانوا يعتنون بهذا، غير ذلك لا أعرف شيئا إلا فروض الوضوء والمسح على الخفين والاعتسالات المسنونة. كانت هذه هي الثقافة السائدة.

أرسل والدي حمارا لأركب عليه، وأرسل أيضا مجموعة من إخوتي. وصلنا بعد مسافة خمسة أيام إلى زبيد. وصلنا إلى الرباط، أي المدرسة، كانوا هناك

يسمونها "الرباط". هناك يربط المتعلمون في الرباط. وكان هناك أراض كثيرة موقوفة على المعلمين وعلى المتعلمين طلبة العلم أيضا. فكما هو معروف في الإسلام، يوقف الشخص ثلث ماله، يصرف ما يحصل من ريع هذه الأرض للإنفاق على طلبة العلم وعلى العلماء. وهذه المدينة مشهورة بذلك. قرأنا كتاب "أبو شجاع" إلى آخره مع شرحه، ثم ابتدأنا نتعلم العربية والنحو، في كتاب الأجرومية. ولكن أغلب التعليم كان حفظا عن ظهر قلب وليس فهماً. بقينا مدة نتعلم خلال السنة الأولى ثم عدنا إلى البلاد حيث قبلنا عند عودتنا بحفاوة واحترام في المعاملة. وطلبوا أن أصلي بالناس في المسجد. وبدأ الغرور يدغدغي في السر، فكنت أسمع الهمسات المعجبة بي، وأتظاهر بعدم سماعي لها "الله، هذا ولد صالح. جزاك الله خيرا يا شيخ محمد" يقولون لوالدي، وهكذا.

س — هل مكث معك إخوتك في زبيد؟

ج — كلا. إخوتي رجعوا، وأنا الذي بقيت فقط وثبت في المعركة. ذهب كل منهم للعمل بالوظائف الحكومية وأنا بقيت أطلب العلم. فلما وجدت كل هذا الاحترام والرضا من أهل البلد، قررت أن أعود إلى زبيد مرة أخرى مع أنني بدأت هاربا من ضرب إخوتي وأبي لي. وهكذا أخذت أدرس سبع سنين في زبيد. وزوجوني وأنا صغير.

س — كم كان عمرك حينما تزوجت؟

ج — كنت أبلغ من العمر الرابعة عشرة. ثم ذهبت إلى زبيد وبقيت حتى سن الحادية والعشرين. أصبح الزواج شرعا في تلك السن المبكرة. بقيت الزوجة في البيت عند أبي. رجعت عالما من العلماء لألبس العمامة والقميص المكمم والعصا بيدي. وأصبحت أعقد الحلقات. وكان الناس يأتون إلي عقيدة وحسن ظن. منهم من يطلب الدعوة الصالحة، ومنهم من يطلب النفحة. والمرأة الوالدة التي يصاب ابنها بحمى يأتون إلي لأكتب لابنها تميمة. أصبح لي عند الناس سمعة دينية. وهكذا بقينا ماضين في هذا الطريق، أدرس الناس بدلا من أن يذهبوا إلى زبيد. أصبحت زبيد عندهم. كنا نقرأ في شهر رجب صحيح البخاري، وهو من الأحاديث النبوية، وهو مصدر من مصادر كتب السنة.

وكان هذا الكتاب يُقرأ في زبيد خلال أشهر رجب وشعبان ورمضان، لأنها أيام عطلة. فالناس يأتون ويتحلقون لسماع أحاديث النبي. وقد قمت بنقل هذه السنة التي في زبيد إلى قريتي في ذبحان وفتحت المدرسة. كنا نبعث بدعوات، نقول فيها إن قراءة صحيح البخاري ستكون في الساعة كذا، وتاريخ كذا، نرجو تشريفكم. ونحضر القهوة والحلوى لتوزيعها. يأتون للقراءة وسماع الأحاديث. وهكذا أصبحت صاحب مدرسة. وكنت أتهرب من الجلوس مع الحكام وأعتبرهم ظلماً. وحتى إخوتي كنت أتأفف منهم، وأقول "لا تجالسوا الظلمة، ابتعدوا عنهم". كنت أكره الظالمين وأتأفف منهم. وكانت نظرتي إلى الإمام يحيى أنه خليفة الله على الأرض. كنا نقوم في منتصف الليل إلى المسجد ونقول "اللهم أمنح النصر والتمكين والظفر والفتح المبين، لمن اخترته لإصلاح أمور الدنيا والدين، مولانا أمير المؤمنين الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، آمين". هذه هي دعواتنا في منتصف الليل، والمؤتممون يرددون: آمين، آمين. ونقول: اللهم شد عضده بأبنائه سيوف الإسلام الميامين. وهكذا كنا نصلي بإخلاص. بدأ الإنسان يتأمل المسألة ويعرف. ويشاهد الحكام الموجودين. لم يعد الحكم بأيدينا نحن. كنا نحكم أيام الأتراك. فلما زالت دولة الأتراك وأستلم الإمام يحيى الحكم في اليمن بعد الأتراك، كل الذين كانوا يعملون مع الأتراك ومنهم عمي اعتقل (وظل في السجن) حوالي ٢٧ سنة، ثم أعدم سنة ١٩٤٨ م، وهو أبو زوجتي وأسمه عبد الوهاب نعمان. ولما كان الحكم ليس في أيدينا أتى الحكام من عند الإمام، وكانوا من الزيدية ونحن من الشافعية "شوافع".

س — ما هو الفرق بين الاثنين؟

ج — الفرق هو في أصول المذهب. أولئك يعتبرون أن الإمام الهاشمي شرط واجب في دينهم، ونحن عندنا أن الإمام ليس شرطاً أن يكون هاشمياً. ثم إنهم يعتبرون أن الإمام علي هو أولي بالإمامة بعد رسول الله ونحن ندين بأبي بكر وعمر وعثمان. فروق ليست كثيرة في اليمن وهي فروق بسيطة. فعندما كان يأتي الحاكم من غير البلد لا يحسن معاملة الناس. كثير من الناس تألموا من حكمهم لأنهم كانوا معتادين على المشايخ، الذين يعيش المواطنون معهم. فبدأ الناس يضيقون من الحكم لأنه كان قاسياً ورهياباً.

س — إلى هذه الدرجة؟ كانت الحياة بسيطة فكيف يكون الحكم قاسيا إلى هذا الحد؟

ج — البساطة هي بساطة الحياة، لأن الدولة ليس عندها موارد، فمن أين تأتيها الموارد؟ الفلاح الذي يزرع أرضه عليه أن يدفع للحكومة عُشر ما ينتج من الثمار. هذا من الناحية النظرية. ولكن في الواقع أصبح الفلاح يدفع كل ما يحصل عليه، وفوق ما يحصل عليه. أحيانا يبيع أرضه ليوفي مطالب الحكومة. هذا شيء، ثم من وراء هذا كانت وسيلة جباية الضرائب من الرعية قاسية. لم تكن الوسيلة التزاما. كانت وظيفة كل عامل أو حاكم يبعث به الإمام إلى المنطقة جمع الأموال وحفظ الأمن في البلاد وأن يصون من العدوان، ويرافقه مجموعة من الجنود، وكان الجنود دائما لا يأتون إلا من الشمال من الزيود، وليس من الشوافع.

الشوافع هم ما بين زراع وتجار، ولكن الزيود هم الحاكمون والجنود، فكان يأتي الحكام منهم ويأتي منهم الجنود كذلك.

— ما هي وظيفة الجنود؟

— كانوا يذهبون إلى بيوت الفلاحين، يعيشون "ضيوفا" على الفلاحين ثم يطالبون هؤلاء الفلاحين بأن يطعموهم مما يتمنى الفلاح أن يأكله ولو مرة واحدة في السنة. يفرض عليه تغذيتهم بالدجاج والبيض، ويضربونهم ضربا عنيفا إذا امتنعوا، هذه صورة أمينة. إنه الجهل. كانوا يجلسون عند الفلاح حتى يذهب إلى الحاكم ويسدد مطالب الحكومة ثم يأتي بوصل يعترف له بأنه سدد ما عليه. عندئذ يذهب الجنود من عنده. هذه صورة من صور الحكم الإمامي. نوع آخر: إذا تمرد الفلاح أو خالف ترسل مجموعة من الجنود ليتسلطوا على القرية بكاملها، وليعيشوا في القرية على نفقة الفلاحين. كانت جميع القرى المجاورة مجبرة على تحضير الطعام وتقديمه للجنود إلى المركز الموجود في القرية، أو يبقي الجنود في بيوت الفلاحين يعيشون على نفقة هؤلاء الفلاحين، بينما وظيفتهم حفظ الأمن وجمع الزكاة. وترسل الأموال التي كانت تجمع من البيوت بواسطة الجنود إلى خزانة

الإمام لأنها زكاة المسلمين، وعليهم أن يؤدوها إلى إمام المسلمين ليصرفها في المصارف التي شرعها الله. إذ لا أحد أقدر على صرف هذه المصارف ولا أحد أدرى بالحاجات من الإمام، فهو الأولى بأن تساق إليه الأموال. فكانت الأموال تساق من أنحاء اليمن بهذا الأسلوب وعلى هذا الشكل. ويتوزع حكام الإمام ونوابه أيضا لممارسة الرشوة والاختلاس. كانت الرشوة موجودة وشائعة لأن المرتب بسيط، وكل مسئول يريد أن يضمن مستقبله ويبني له منزلا في صنعاء.

بدأ الإنسان يتألم من هذه الصور الظالمة في ممارسة الحكم. لم يخطر ببالنا الإمام. كنا نشاهد كل شيء يقترفه العمال والحكام ويستفيدون منه. وبقينا على هذه النظرة إلى أن أتى الإنجليز.

س — إلى أي سنة تقريبا؟

ج — بقينا على هذه الوتيرة إلى سنة ١٩٣٢. كانت الأمور تجري في اليمن على هذا الشكل وأنا على هذا اليقين بالنسبة للإمام.

س — ما نوع المدارس التي كانت في زبيد؟

ج — كانت علوم الشريعة واللغة العربية تدرس في عدة مدارس في زبيد، منها رباط الأهدل، ورباط البطاح، والمدارس متعددة في جامع الأشاعرة، وفي الجامع الكبير. كان هناك عدة مساجد. وكانت الدراسة تجري في المساجد.

س — من هم المدرسون؟

ج — كان المدرسون من العلماء المشهورين. بنو الأهدل أسرة مشهورة بالعلماء في زبيد. يكادون أن يكونوا هم العلماء وأئمة الشافعية في اليمن. وكان العلم منحصرا فيهم. محمد إسماعيل الأهدل من مشائخنا. فبيت الأهدل بيت علم. ويوجد أيضا بيت الإنباري، وبيوت أخرى كثيرة مشهورة مثل شهرة بيت الإنباري، بيت السالمي، وبيت البطاح من مشاهير العلماء. يتوارثون العلم من أيام مؤلف القاموس، الذي ألفه في زبيد، مجد الدين الشيرازي، أعظم موسوعة عربية ألفها الشيرازي في مدينة زبيد.

س — أين كان الطالب يقيم هناك؟

ج — كانت إقامة الطالب في الرباط. كانت توجد هناك حُجرات فيها أسرة في غرف عديدة. وقد كان هذا سبباً مفرحاً يجعلني أذهب إلى زبيد. كانت الأسرة من خشب ومن سعف النخل. كانت زبيد مشهورة بصناعة الأسرة والنجارة وصنع الحبال التي كانوا يشبكون بها الأسرة ويتقنون فيها بحيث أنك تجلس على السرير بدون الفرش، يعني يبرمون الحبال بطريقة عجيبة، وكلها من سعف النخل. فتجد الطلاب ينامون هناك ولهم مقررات من الأوقاف للمعيشة. إذ توجد في زبيد قاعدة تقضي بأن أي شخص يموت فرد من أهله، يعود كل طعامه صباحاً وظهراً ومساءً لطلبة العلم. فتجد عند كل طالب علم الكميات الكافية من الأكل الذي كان يأتي مما تأكل منه تلك البيوت.

وكان الغذاء في زبيد حسناً. كانت اللحوم رخيصة وكذلك العسل. يعني أنها كانت مشهورة بالرخاء. فيها أنواع كثيرة من الثمر. تبدأ الدراسة من منتصف الليل، قبل ساعتين من بزوغ الفجر. يظل طلبة العلم ساهرين:

من نفسه شريفة أبيّة	يربأ عن أموره الدنيّة
ولم يزل يسعى إلى المعالي	يسهر في طلبها الليالي
ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله	ومن يخطب الحسنة يسمح بالبذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلى	يسيرا، يعيش دهراً طويلاً أخا ذلّ

لذلك يبذل الطلبة أنفسهم من أجل طلب العلم، ويقبلون قدمي الشيخ وركبتيه، ويتبركون بمسح قدميه. وكل ذلك من أجل أن يقرأوا عليه.

كنا نأخذ الكتب معنا، "أبو شجاع وشرحه"، والبعض يجلس بعد أن يصلي. يتوضأ كل واحد منهم ويصلي. ثم يتحلقون حول شيخهم ويبدأ الطالب بالقراءة "بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب الطهارة. والماء أربعة أقسام" والشيخ يهز رأسه. والطالب يقرأ بدون أن يشرح له الشيخ أية كلمة. كان الطالب يذاكر في النهار ويغيب الشرح مع زملائه. لا يأتي إلى الشيخ إلا لنيل الشهادة فقط.

س. وما هي الشهادة؟

ج. هي الإجازة. كان على الطالب أن يحفظ القاعدة حفظاً، أما التطبيق فغير وارد. يبدأ الطالب في القراءة ويتلوها الآخر إلى أن تطلع الشمس والشيخ جالس يستمع إلى القراءة فقط. ولا توجد أية مناقشة بين الشيخ والطالب. ويظل الطالب يقرأ سنة وسنتين أو ثلاث سنين. هذا بحسب ذكائه، تحدد له كتب معينة. فإذا انتهى منها يصبح أحد العلماء وتعطى له الإجازة من الشيخ. وهذه الإجازة تمنح له حرية التعليم، وأن يروي عن الشيخ كل ما قرأه عليه أو سمعه منه، أو إجازة رواية ما تجوز روايته حتى لو لم يقرأ على الشيخ بعض الكتب. مثلاً، قد يقرأ عليه بعض الكتب في الفقه والنحو، ولكن لم يقرأ عليه تفسير القرآن ولا كتب الحديث، فيقول له الشيخ أجزتك بكل ما تجوز روايته ونقله من معقول ومنقول. وينتهي الأمر بأخذ الإجازة. وقد جمعت أنا الكثير من الإجازات من العلماء. وحتى حين يموت العلماء — أي أولئك الذين يعطون الإجازات — يذهب الطالب إلى الحج ويجد أحد علماء العراق فيطلب منه الإجازة ويحصل عليها. يجد عالماً من المغرب مثلاً فيطلب منه الإجازة، ويجد عالماً من الهند فيطلب منه الإجازة، وهكذا، حتى تجوز له الرواية والجلوس للتدريس. وهكذا حتى الجنين في بطن أمه يمكن أن تلحق به إجازة.

وبذلك أصبحت أنا، بعد أن جمعت عدداً من الإجازات، من أكابر العلماء لأنني حصلت على إجازات عديدة. وكمثال على هذه الإجازات، توجد في كتاب "النفوس اليماني" إجازة القضاة أبناء الشوكاني، وهو كتاب كامل للسيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، روى فيه عن مشايخ الإجازات وسلسلها في مجلد واحد غير مطبوع (طبع بعد تسجيل هذه المذكرات)، لأن كل الكتب في اليمن ما تزال مخطوطة. مدينة زبيد مليئة بالكتب والمكتبات، لا يهتم بها إلا الأشخاص الساهرون على تقليبها، تجدهم ساهرين عليها ومعتنين بها. وكما ذكرت سابقاً، كان الطلاب ينامون في المساجد أو في الرباط. يحصل البعض منهم على بعض النفقات من أهلهم. مثلاً، كان يعطى لي ريال فضي في الشهر لنفقتي.

بقيت الأمور على هذه الحالة في اليمن. كانت وظيفة الحاكم أن يجمع الأموال من الشعب ليصرفها في الوجوه المستحقة. يعطي منها مبالغ محدودة للجنود، ولكن الجنود والموظفين يعيشون أيضا على نفقة الشعب أي يضاف عبء الانفاق عليهم إلى جانب عبء الضرائب. وبينما تكون الضرائب التي تفرض فوق طاقة الشعب، فمن أين يأتي المواطنون بالضرائب؟ هاجر اليمنيون بكثرة إلى الخارج، إلى الحبشة، وإلى السودان وإلى أمريكا وغيرها من البلدان. وكان الإنكليز في عدن يستوردون الأيدي العاملة اليمنية لأنها رخيصة، ولا تعرف حقوق العمل ولا شروطه. بل كان اليمنيون يفرحون عندما يحصلون على هذا الدخل الذي لا يخطر على بالهم. وكانت البنوك موجودة في عدن، كما كان يوجد أيضا وكلاء للبحارة الذين يعملون في الخارج. وهكذا ترد التحويلات عن طريق الوكلاء الذين يقومون بالبحث عن الأهالي في القرى، أو يرسل من لهم تحويلات رسلا إلى عدن، لأنها قريبة من مناطق سكنهم، ويسمونه الطبل، يعني الذي يذهب ويعود. وهكذا كانوا يذهبون من القرى للعمل في المهاجر أو في البحر والنساء منتظرات لما يصل من النقود. وتظل المرأة ربما عشر سنين وربما أكثر محرومة من زوجها وهو هارب من جنود الإمام.

بعض النساء كانت تريد زوجها لا المال. بدليل إنه لما رجع النبي من بعض غزواته، جاءت امرأة تسأله: ما فعل أبي؟ قال لها: أستشهد. قالت: البقاء فيك يا رسول الله. ثم قالت: وأخي؟ فقال لها: أستشهد. فقالت: البقاء فيك. ثم سألت: وزوجي قال لها: أستشهد، فصرخت وولولت، فقال رسول الله: "إن الزوج من قلب المرأة بمكان".

س — ما هي وظيفة المرأة هناك؟

— تذهب تحتطب من أسفل الجبال، وتنقل ما جمعتها على رأسها أو على ظهرها، وتنظف البيت، وتطعم البقرة، ويقوم الرجل خارجا من كيس النوم لا يعرف العمل. كيس النوم لأنهم في اليمن لا يعرفون الخيام. كانوا يعملون أكياسا من القماش، ووقت النوم يتجرد من ملابسه ويدخله ثم يربطه على جسده. عندما

يسافر اليمني، يسافر وكيسه معه، أينما حل دخل الكيس. لكن بعض اليمنيين انتقلوا إلى المهجر. والبعض منهم استوطنوا وتزوجوا هناك. كانت عدن أقرب مهجر. وكان سبب هجرتهم الهرب من سوء الأوضاع، ولأنهم متطلعين إلى الحياة.

وبقينا على هذه الوتيرة حتى سنة ١٩٣٢، وأنا أدرس للميتين في المقابر. والناس يدعون ويتوسلون بالموتى ويتكلمون بأقوال تواييت أولياء الله المقبورين، لعلاج من يصاب بالرمد. عندما يعتري الإنسان مرض شديد يسمى الحمى الثالث (أي تتردد كل ثلاثة أيام)، أما حمى الرابع (كل أربعة أيام) فيسهل علينا علاجها بكتابة "عزيمة". لكن بعض المرضى يذهب إلى قبر من قبور الأولياء المشهورين ويحمل معه ذبيحة ويرقد على قبر الولي ويشفى. بهذه العقلية وبهذه الأفكار عاش الإنسان في اليمن إلى سنة ١٩٣٢. وكما ذكرت لكم، بدأت الحرب بين الإنكليز واليمن في سنة ١٩٢٧، وبدأت الطائرات تظهر فما الطريق لمقاومتها؟ أمر الإمام أن يقرأوا سورة الفيل في المساجد، والتي تقول: [ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول]. إنني لأذكر أننا دعونا الناس وقرأنا البخاري، لأن كتاب البخاري ما قرئ في بلد إلا وأذهب الله عن سكانها الخوف والحزن. فدعونا الناس وبدأنا بقراءة البخاري. كان أخي مجندا ومحاربا مع الإمام ويحكم منطقة في حدود الإنكليز. كتبنا له حينما تشاهدون الطائرات تحلق أقرأوا قول الله سبحانه وتعالى [ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن. ما أنزلهن إلا الرحمن ...]. كان أخي مستنيرا نوعا ما. كان اليمنيون يأتون من عدن متفتحين، فكانوا يتصلون به ويعطونه الجرائد، فكان يقرأ ويتفتح.

س — ما اسم أخيك؟

— أخي الكبير علي، أستشهد في الحرب اليمنية المصرية في الستينات. كان يأتي إلى البيت يحمل الكتب وفيها التصاوير (الصور). وكان أبي متدينا ومحافظا، وكان سعيدا لأنه رزق عالما في بيته، يأتي الناس ويطلبون العلم والحكمة في منزلنا بعد أن كنا نحن نبحث عن العلم. كنا في بيئة متدينة. وأتي أخي الأكبر ومعه

الجرائد وفي الجرائد صور لا يجوز بقاؤها في البيت. لأن الله سبحانه وتعالى يقول للمصورين يوم القيامة أحيوا ما خلقتكم. كما لعن الله المصورين.

مرت هذه الفترة ومن ثم جاءت الحرب اليمنية السعودية. ولما جاءت الحرب اليمنية السعودية انهزمت قوات الإمام يحيى أمام القوات السعودية بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود الذي سيصبح فيما بعد الملك فيصل. وأخذت أفكر كيف أنتصر السعودي علينا وكيف هزم الإمام؟ وأنا في هذه المرحلة وقع تحت يدي كتاب عنوانه "هدي الرسول" لمحمد أبو زيد، الذي كتب له مقدمة يقول في أولها: ما أعسر الدين في كتب الفقهاء. قرأت الكتاب بتمعن.

س. ماذا قال فيه؟

قال إن الإنسان يظل طيلة أيام حياته ينتقل من كتاب إلى كتاب، أما النبي فعلم الناس ببساطة وقال كذا وكذا. ماذا نفعل نحن في مدارسنا؟ وماذا يفعل الكفار وهم أعداء الرحمن في مدارسهم؟ نحن نتنازع حول جلود الميتة وطهارتها وهم يدخلونها المعامل والمصانع. نحن نتجادل حول تأبط شراً وعمرو بن معدي كرب وفي التركيب المزجي وهم يركبون الأسلاك والمدافع. نحن ننقب في مسائل الحيض والنفاس وهم ينقبون تحت البحار، وبعد ذلك يقف خطيبنا على المنبر في المسجد ويقول "من صام ثلاثة أيام من رجب غفر الله له ذنوبه". كان وقع هذه الأفكار على نفسي مثل الثقاب، لأنني كنت قد مررت بأزمة. فقد قضينا سبع سنوات نقرأ كتب الفقه، ٧ سنوات ندرس، وكلنا نقرأ نفس الكتاب ونفس الأبواب. وحين استوعبت هذه الأفكار الجديدة كانت منطلقاً لأن نتوقف عن الاختصار على كتب الفقه لنقرأ كتب السنة النبوية. وحين علم المشايخ في زبيد أننا خرجنا على طريقتهم وأننا بدأنا نقرأ ونتحرر ونجدد في كل ما كنا نقرأه من خرافات ومن جمود، قالوا إن الرجل قد أصابه مس من الشيطان. أرسلوا لي رسولا يدعوني لأن أنزل إليهم في زبيد. وذهبت إليهم في زبيد، فقالوا لي: ماذا أصابك، وما حل بك؟ وبقيت أجادلهم لأنني اعتنقت مبدء جديداً. فقالوا إنهم سيقراءون القرآن علي لأنني ولاشك قد أصابني مس من الشيطان، أو أن جماعة أخرى فتنتني عن ديني، فلا بد أن ندعو

الله عليهم. لكنني صممت على التمسك بما كنت قد اقتنعت به، ورجعت إلى منطقتي دون تغيير عقيدتي. وبينما أنا أخوض في هذا التيار بانتقالي من مرحلة التقليد إلى مرحلة أخرى أصح، ولكن بقي عندي التمسك بالدين، جاء إلى عندي الأستاذ محمد أحمد حيدرة، وهو شاب يماني تعلم في عدن وفي الخارج. تعلم الجغرافيا والتاريخ. جاء به أخي من عدن لكي يعلم التلاميذ الذين يدرسون هذه المواد في حين أعلمهم أنا الأناسيد. جاء هذا الأستاذ ودخلت إليه ورأيت بلباس لا يدل على أنه عالم وإنما سوقي. سلمت عليه ببرود وعرفت أنه الأستاذ محمد أحمد حيدرة، ثم أمرت الأولاد بأن يتحضرُوا في المسجد، وكانوا حوالي ٧٠ تلميذا اشتغل بتعليمهم ليل نهار. فتبين لي فيما بعد بأن الأستاذ يعزف على العود، فقلت بأنه فاسق ويجب طرده من البلد لأن بقاءه سيجلب كارثة على البلد وغضبا من السماء، وبالتالي لا بد من طرده. ولكن أخي لم يقبل بطرده بل صمم على بقاءه. كان الناس قد أخذوا يتفتحون بواسطة الصحف. وبقي الأستاذ حيدرة يعلم مادتي التاريخ والجغرافية. ومرة سمعته يعلمهم أن الأرض كروية، وهنا جن جنوني ولم أعد أستطيع الصبر، كيف يقول ذلك والله سبحانه وتعالى قال: "والأرض بسطها للأنام". وهذا الزنديق الكافر يقول إن الأرض كروية وإن الشمس ثابتة والأرض هي التي تدور. كيف ذلك؟ أخذ الأولاد جبِرا إلى المدرسة وأخذ يعلمهم. ثم بعد ذلك كان يعلمهم الرياضة البدنية ١، ٢، ٣، بدلا من أن يدخلهم إلى المساجد ليعلمهم العبادة. فقلت للآباء يجب طرده من المدرسة، فما العمل؟ منعوا أولادهم من الذهاب إلى المدرسة. فتم إرسال الجنود إلى بيوت الآباء، لأن العادة كانت أن كل من يرتكب مخالفة يرسلون له العسكري فيسكن في البيت وينزل في أحسن غرفة في البيت. هكذا كان الحكم، وهكذا فعلوا بالآباء لعدم حضور أبنائهم للدراسة. بعض الأولاد هربوا فأخذوا آباؤهم إلى السجن إلى أن يأتوا بأبنائهم إلى المدرسة. بعض الأولاد استهوتهم الدروس الجديدة، والبعض استتكَروا هذه الدروس والأفكار ورفضوها والبعض الآخر استجابوا لها. كتبنا للسيد علي الوزير، نائب الإمام في لواء تعز آنذاك، وشرحنا له القضية. كان حاكم الشريعة الموجود محمد بن علي المجاهد من أنصاري. علمنا مرة بأن الأستاذ ذهب ليعزف العود هو وجماعته، فصدر القرار باعتقاله. سلم للعامل الموجود، فقال

الحاكم: ما القصة؟ قال العامل: والله إن لم يعاقب لا أبقى في هذا البلد ساعة واحدة، ولا أجلس في أرض يعصى الله فيها. يعزف العود! هذا غير ممكن. سفّروه إلى عدن ورجع الأولاد إلى المدرسة. وابتدأت النشاطات في المدرسة من رياضة وكشافة وأنشيد. حتى الحكومة كانت تقرر لهم الأنشيد مثل:

"اعتزل ذكر الأغاني والغزل"

وكان الأستاذ حيدرة قد أتهم بنشيد:

"الوطن الوطن يا شباب اليمن ما له من ثمن غير أرواحنا"

ولحنه تلحينا مناسبا. كنت بيني وبين نفسي مسرورا من ذلك ولكن لا يمكن أن أراجع أمام الناس الذين حرصتهم وأن أغير رأيي بسهولة. أما في قرارة نفسي فكنت متضايقا من الوضع وكنت مستروحا لما يفعله الأستاذ حيدرة وأريد اللعب وقضاء الوقت معهم، لأنني كنت متعبا من المضايقات. فالأستاذ منهك، يمشي رويدا رويدا كأن العلم واقف على أرنبه أنفه خوفا من أن يسقط. أصبح المقصود عندي هو التطلع ومعرفة الجديد، تعلم الجغرافية والتاريخ وغير ذلك. وحين بدأت وقع في يدي كتاب طبائع الاستبداد لعبدالرحمن الكواكبي، وكتاب هدي الرسول لمحمد أبو زيد. كنت قد انتقلت من كتب الفقه إلى مرحلة السنة، إلى الفكر الإسلامي الخالص. الدراسة الأولى كانت دراسة إسلامية ولكن محشوة بالخرافة. فانتقلنا إلى مرحلة الديانة الإسلامية المجردة من الخرافة. وجاء كتاب طبائع الاستبداد وكتاب هدي الرسول، وإذا بنا ننقل إلى الحكم والسياسية، إلى طبائع الاستبداد وطبائع المستبد. المستبد هو الذي يريد أن يضع قدمه على أفواه الملايين، ويريد من الأمة أن تعيش كبقرة الجنة لا يطمحون ولا يرمحون. لا يريد أن يعرف الشعب كلمة لا إله إلا الله، بل يريد أن يخضعهم لإرادته. هذا وصف المستبد. وكانت الشعلة الثانية ما ذا أعمل؟ من أين لي الكتب؟ كان الأستاذ حيدرة قد جلب معه الكتب العديدة وتركها وذهب. ابتدأت أقرأ فيها، وإذا بكتب التاريخ فيها شرح لحاضر العالم الإسلامي. بقيت أقرأ وألتهم الكلمات وأغيب الفصول غيبا، مثل غرائب الغرب لمحمد كرد علي. كنت أغيب الفصول غيبا عن تطورات الشرق والغرب. أول شيء قمت به

أن عملت لإعادة الأستاذ حيدرة. أعددت له المنزل وحشدنا الطلاب وأطلقنا لهم الحرية. وقمت أنا بتدريس اللغة العربية بأسلوب حديث.

س — كيف استقبل الناس هذا التغيير؟

ج — حدثت مقاومة لنا، ولكن التغيير عند ما جاء من "النبي" كان وقعه خفيفا عليهم، لأن النبي كفر بآياته الأولى والناس معه. بدأت أقنعهم. وهم بدورهم أخذوا يقتنعون. كنت أدخل المساجد وأتحدث معهم. وبدأنا نهى الأمور لهم شيئا فشيئا وإذا بمدرسة الحجرية تنشأ وتؤثر وتشتهر. ثم أنشأنا مكتبة، وبدأت الأمور تسير رويدا رويدا، إلى أن دخلنا في صراع مع الحكومة. كان لا بد من أن يحدثوا لنا فتنة، ولا بد من أن يفصلوا هذا البلد كما فصل لبنان وسوريا. جاء أحد أبناء الإمام إلى الحجرية (الأمير القاسم بن الإمام يحيى حميد الدين الذي زار الحجرية ومعه الأمير علي الوزير في سنة ١٩٣٥م) وقال: "ذبحان هذه ستكون كلبان". وذهب إلى الإمام الذي أمر بسحب الأستاذ حيدرة فأخرجوه حالا، وأتوا بمعلمين آخرين إلى المدرسة. بعد هذا الحادث سحبت نفسي وقررت أن أذهب إلى الحج. وكانت بعثة مصرية قد جاءت إلى اليمن وزارت بعض مناطق اليمن ووصلت إلى المدرسة وأعجبت بها وكتبت عنها. سمعوا التلاميذ يخطبون ويدردشون وأعجبوا بهم.

وكانت الحرب السعودية اليمنية قد جاءت سنة ١٩٣٤، وبدأت الأوضاع تتغير وبدأت الكتب تصل أيضا. أثناءها قررنا تكوين جمعية هدفها شراء الكتب وغير ذلك، فأوحي للإمام يحيى بأن هذه الجمعية ضد الحكم.

س — هل أسميتم هذه الجمعية؟

ج — نعم، دعوناها باسم الجمعية اليمنية. أخيرا رحلت إلى الحج في سنة ١٩٣٦، ومن الحج إلى مصر. عند ما وصلت إلى مصر كان في خيالي بأنني سأدخل الجامعة المصرية. لأن أسلوب الأزهر وتعليمه يشابه تعليم زبيد. لهذا أردت أن أدخل الجامعة المصرية. ولم يكن عندي أي علم بمقدمات الدخول. وصلت واتصلت بسليمان حزين لأنه كان يرأس البعثة إلى اليمن أيام الملك فؤاد. فأخبرته بأنني أريد أن أدخل الجامعة؟ قال لي: هل لديك شهادة البكالوريا؟ قلت له: لا. ثم

سأل عن الشهادة الثانوية ولم تكن موجودة، وأخيرا قال لي: لا بد أن يتعلم الطالب اللغات الأجنبية، وأن يكون لديه الشهادة الثانوية أيضا لكي يقبل في الجامعة، لكنني أفضل لك الأزهر لكي تأخذ الشهادة العالمية من هناك. ذهبت إلى الأزهر. استقبلت هناك وامتحنوني. وكان الامتحان قراءة آيات من القرآن. أخذت أقرأ، ولما قرأت دهشوا وقالوا ما شاء الله، بارك الله فيك. قالوا لي: هل تعرف اللغة العربية والنحو! قلت لهم: أعرف ولكن ليس مثلكم. فقالوا لي: يجب أن تتسبب حالا، وسجلوا اسمي ودخلت الأزهر. هناك في الأزهر يوجد قسم يسمونه القسم العام، تستطيع فيه أن تأخذ الشهادة العالمية خلال سنة. تسأل عن المواد التي ستمتحن فيها ومن ثم تحضر نفسك للامتحان، ويعطوك الشهادة العالمية. اندمجت في الأزهر بالمجتمع.

ودخلت روح المقاومة للوضع في اليمن. كنت قد تشربت بها وخرجت من اليمن لأن الحكام فيها لم يمكنونا من العلم، ولأنني كنت قد عرفت الاستبداد الذي يسود في البلاد. وكان يتصور لي بمجرد أن يخرج الإنسان من اليمن سيكتب عنه أبو الحسن، وأبو الحسن هذا هو محمد علي الطاهر، فلسطيني من يافا، كان يصدر جريدة اسمها جريدة "الشورى"، أصدرها في يافا سنة ١٩٢٤، وانتقل بها فيما بعد إلى مصر. وكانت الجريدة الوحيدة التي تصل إلى كل الأقطار العربية وتنتشر الأخبار. وكان الكتاب فيها من كبار الكتاب، ومنهم الأمير شبيب أرسلان، وسعد الله الجابري، وأمين الحسيني. كانت هذه الجريدة تصلنا إلى اليمن ونتصور أن الدنيا كلها أبو الحسن. كنا نخرج ونشتكي له. أحيانا كان ينشر في جريدته نقدا للأوضاع في اليمن ولأوضاع الإمام، ويقول إن اليمن بحكم الإمام متخلف ومتأخر. كان اليمنيون في المهجر يكتبون إلى أبو الحسن ويستقدمون الجريدة. وعند ما كانت هذه الجريدة تصل إلينا كنا نرتاح لها، ويخرج الإنسان من اليمن يسأل عن أبو الحسن، ويشرح له حال اليمن. لم يكن خروجي رغبة في الإقامة بمصر ولا من أجل العلم، وإنما من أجل اللقاء بأبو الحسن. وكان الأزهر عبارة عن مأوى.

وزرت أبو الحسن في مكتبه، وحين دخلت إلى مكتبه كان عنده رجال من المكافحين الأولين من أجل استقلال الجزائر وتونس. وكان الرجل يتمتع بشجاعة نادرة. ولذلك تنتشر جريدته خارج مصر. وكانت الحملات تشن على الجريدة من

الإنكليز والفرنسيين لإيقافها. فكان الإنسان يتصور أية قوة وراء هذا الرجل تعطيه هذا القدر من المهابة والتأثير!

دخلت إلى المكتب. وكنت أرى كيف يتحدث الناس في خارج اليمن. فأنا من اليمن، وفي اليمن كنت أعتبر من العلماء الكبار، ولكن في قرارة نفسي كنت أؤمن بأنني من أبناء المجتمع، أو أنني ينبغي أن أعمل من أجل حياة المجتمع. فبقيت أجلس بتواضع. كتب في جريدته بهذه المناسبة يقول: زارنا أحمد محمد نعمان من ذبحان. وصادف أنني في وقت سابق على هذه الزيارة جمعت تبرعات لفلسطين من أشخاص وأرسلتها إليه ووقعت الرسالة باسم أحمد محمد نعمان — اليمن. ويبدو أنني أضفت "ذبحان" أيضا. فتذكر وسألني: أنت من ذبحان؟ قلت له: نعم، قال لي: أهلا وسهلا. وكانوا يدخلون، الأمير شبيب أرسلان وغيره، يجلسون كلهم وأنا أجلس في مكان متواضع، وأستمع إليهم وعمادا يتحدثون وماذا يقولون، ولم أتكلم بشيء، أخشى أن أتكلم بكلام لا يناسب الوضع. ولكن عند ما أخذوا يتناقشون أردت الكلام، وأحسست أنني إذا تكلمت العامية لن يفهموا عامية اليمن، وأنا لن أفهم عاميتهم، فتكلمت بالعربية الفصحى. قالوا لي: هل هذه لغة اليمن. قلت لهم: نعم، قالوا: ما شاء الله. اليمنيون الذين قرءوا اسمي في الجريدة، وكنت مشهورا في اليمن بأنني علامة كبير، كتبوا إلى أبو الحسن يقولون له إنهم بعد ذلك لن يكتبوا للجريدة عن اليمن شيئا، لأن عندك العلامة أحمد محمد نعمان، خذ أحوال اليمن منه. فلما أتيت إليه حسب العادة، قال لي: يا نعمان عرفناك، قم إلى هنا، قلت له: حيث ما أنتهى بك المجلس فأجلس، قال: أبدا. هنا مجلسك. بقيت أجلس مستمعا دائما، وكان الزعماء الكبار يأتون. وكان هو ديكاتورا يقعد على كرسيه لا يتكلم أحد غيره، يفتتح الكلام والناس يستمعون بصمت، وكنت أراقبه كيف يقابل من يتكلم معه ويقول له: "اسكت، لا تتكلم". هكذا بهذه اللهجة القاسية كان يتكلم معهم والناس صامتون. إلى أن جاء يوم إلى عنده محمد الغانم ويوسف مشاري. فلما أنتهى الموعد همّ أحدهما بالرحيل، فقال له: "أخرج! دخلت بإذني وتخرج بإذني". هكذا كان ديكاتورا على الكبير والصغير.

س — من الذي كان يموله ؟

ج — حصل على عطف كبير ، وانتشرت جريدته انتشارا كبيرا . وكان بعض الحكام العرب مذعورين من أبو الحسن لأنه يجابههم ونو صراحة كبيرة . كان يعاقب بشدة ، لذلك عند ما زاره محمد الغانم ويوسف مشاري ، أمسك يوسف مشاري وقال له : "لماذا تضحك يا قليل الأدب ، يجب أن أعرف لماذا تضحك ؟ " قال له : "يا سيد أبو الحسن إنني أضحك لشيء بسيط" ، قال له : يجب أن تقول ، فقال رفيقه محمد الغانم : "أنا سوف أخبرك" . خرج أبو الحسن برهة فقلت ليوسف مشاري : يا مجنون ، الذي يدخل إلى هنا يودع حريته في شارع عبد العزيز . فأخذا بالضحك مرة ثانية ، سمعهما أيضا فقال لهما : الآن أريد أن أعرف على ماذا هذا الضحك . شرحوا له الموقف . أما أنا فقلت لهم : كل من جاء إلى عند أبو الحسن يجب أن يحترم هذه الندوة لأنها ندوة العرب . فقال : عفى الله عن نعمان . وعند ما أصبحت معه بمفردي ، قال لي أبو الحسن : "ما هذا ؟ أتقوم بالدعاية ضدى من مكتبي ؟ أنا لا أتحمل ذلك" . قلت له : فلننس هذا الموقف العارض .

ومنذ ذلك الوقت بدأت أكتب القصص عن أوضاع اليمن فيقوم أبو الحسن بنشرها في جريدته . وعرف في اليمن بأنه هو الذي ينشر هذه القصص وفرحت أنا بذلك لأنه يجنبني وأسررتي عقاب الإمام ومسئوليه في المنطقة . كنت أكتب في الصحف وأعود إلى أبو الحسن استمع لما يدور من مناقشات . صادفت الأمير شكيب أرسلان هناك وصاحبته لفترة . كانت يده ترتعش حتى عجز عن الكتابة . وكنت أجدها حاجة عظيمة جدا عندما يقترن اسمي بالأمير شكيب أرسلان ، أمير البيان . كان يملئ علي رسائله وأنا أكتب ، يرى الخط السليم ويسرُّ بي . وبقينا هكذا مدة . وبقيت في الأزهر متهاونا في الدراسة إلى أن جاء موعد الامتحان وأنا مشغول بالعمل مع أبو الحسن . امتحنونا لنيل الشهادة الأهلية ولم أنجح في الامتحان لأنني لم أحفظ دروسي . فقال لي أبو الحسن : لماذا لم تكلمني قبل أن تذهب إلى الامتحان ، قلت له : لماذا؟ قال : أنت تريد الشهادة بالدراسة أم بالتوصيات؟ ثم قالوا لي يجب أن تذهب إلى محمد عبد اللطيف دراز ، وصلنا إلى هناك ، فأعطونا المواد وحضرناها .

وغادر الأمير شكيب أرسلان إلى جنيف. وعند ما وصل إلى جنيف أرسل لي رسالة يقول فيها يا ولدى أريد أن تصل إلى هنا لكي تساعدني في الكتابة وسأخصص لك عشر جنيهاً شهرياً مكافأة لك. وكان ذلك في سنة ١٩٣٩ قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية. ثم قال لي : ستقوم بتعليم أولادى اللغة العربية وفي الوقت نفسه ستتعلم هنا اللغة الفرنسية. فقلت لنفسي إذا، يجب أن أخبر أبو الحسن بأنني أريد أن أكمل امتحاني. أكملت الامتحان وأعطوني الشهادة العالمية وأصبح بإمكانى السفر إلى سويسرا. وحين وصلت إلى السفارة السويسرية أعطيتهم جواز السفر، وكان عبارة عن ورقة كتبته بنفسى، وليس من الأوراق التي يعطيها الإمام باسم جواز سفر. رتبت الجواز لنفسي . ولكن لم يقبلوا هذا الجواز في السفارة السويسرية، لأنه ورقة غير معروفة. ذهبت إلى أبو الحسن وأخبرته بأن السفارة السويسرية لم تقبلني، فقال لي: كيف يقبلونك وأنت تحمل هذه الورقة وليس لديك جواز سفر؟ ولم أكن أعرف ذلك من قبل. فما قدمته للسفارة كان مجرد ورقة بخط يدي، حتى الإمضاء أمضيته أنا. لهذا السبب لم يقبل. بقيت في مصر للدراسة إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية ونحن في مصر. ولما ابتدأت الحرب قال لي أبو الحسن: حتى لا تشعر بالضيق سأقدم لك كل ما تحتاج إليه من مصاريف. وبالفعل، كان صاحب وفاء لا يستطيع أحد أن يتصور ذلك. إذا صاحب إنسانا يقاتل من أجله قتالاً ويعادي الناس جميعاً. يروي لك التاريخ كأنه يقرأه. لقد قام بأعمال عظيمة في جريدته. وأخيراً خرج من مصر عند ما قامت الثورة المصرية وفقد حريته وحرية جيله. كان يأتيه من الجيل القديم من يجتمعون عنده ويزورونه. وأنا من أصحابه. وقد مضى على معرفتي به اليوم نحو ثلاثين سنة (زمن تسجيل هذا الحديث سنة ١٩٦٩)، كنت أتردد عليه دائماً، وإذا انقطعت عنه يوماً يقلب الدنيا علي. ذات يوم ألح علي حوالي أربع مرات وهم يرددون عليه بأنني غير موجود هناك (هذا بعد الثورة في مصر كما يفهم من السياق)، حتى ذهبت أخيراً إليه وقلت له الآن آتي لأزورك مع العلم بأنني في شغل كثير لأن ابني محمد تغيب ونحن مشغولون بالنقل من بيت إلى آخر، ومجموعة من العفاريت (الأطفال) في حاجة إلى حارس خاص فوق رؤوسهم، العفاريت النفاريت هم شياطين البشر. فصفح عني وجلسنا نتحدث.

وفي مصر، بقيت أنشر في الصحف، وحسنت علاقتي بولي العهد الذي أصبح بعد ١٩٤٨ الإمام أحمد، وحاول بنفسه استمالي. وكان يرسل لي بعض النقود لمساعدتي على الدراسة.

س — هل كانت زوجتك معك في مصر؟

ج — كلا. كانت في اليمن هي وأولادي محمد وعبد الرحمن. بقيت ثلاث سنوات في الأزهر. للمأوى والاختلاط بالمجتمع المصري. أما اللغة الأجنبية فلم أستطع تعلمها. ذهبت لأتعلّم في المدارس الأجنبية، مدارس برليتز للغات الحية. وكنت أول ما وصلت أتلفظ بكلمات تضحكهم لأنني كنت أريد أن أتكلّم اللغة الإنكليزية باللفظ العربي الفصيح. اقترحوا علي أن أتلقى دروسا إضافية خارج المدرسة. ذهبت إلى مدرس مصري ليعلمني اللغة الإنكليزية. فأخذ يردد الكلمات أمامي مرات عديدة ويعطيني الكلمات لأحفظها، ثم انشغلت بقضايا أخرى.

ودخلت باب الكفاح. جاء الأستاذ محمد محمود الزبيري وهو زميل لي من اليمن، وصل إلى مصر وظل حائرا لا يعرف ما ذا يفعل. يريد أن يدرس. فجاء إلى عندي إلى الأزهر، وكنت قد أمضيت فترة في الأزهر، فقال لي: أريد أن ألتحق بدار العلوم. قلت له: يجب أن يكون عندك شهادة تؤهلك للالتحاق بدار العلوم. قال: كيف ذلك؟ قلت: يجب أن يكون لديك شهادة البكالوريا، قال: لم أسمع بهذه الشهادة من قبل. على كل حال سألتحق بدار العلوم كمستمع. وهكذا سجلوه في دار العلوم مستمعا. وصادف مرة أن ألقى قصيدة من شعره، وكان إلقاؤه عظيما، فأهداه محمد رضا الشيببي إلى دار العلوم ديوانه الشعري. كان المطلوب من أدباء الدار أن ينظموا قصيدة للشاعر تلائم كتابه، فساهم الزبيري في ذلك. وجاءت قصيدته متفوقة على بقية القصائد، وكانت القصيدة:

وهي من نفحة الكرام هبات
ما تتفع العقول الصلات
وللنجل من أبيه صفات
فالتقى النيل عنده والفرات

كيف تهدي من أهلها المعجزات
صلة العقل للعقول وما أعظم
جدت يا ابن الفرات بالسائغ العذب
فاض في مصر من نبوغك

فك

فكانت في القصيدة نغمات تستفز، ونظم القصيدة بدون البكالوريا.

وكما ذكرت لكم، كانت لي علاقة بولي العهد آنذاك، الإمام أحمد فيما بعد. بدأت علاقتي به منذ أن بدأنا في الحجرية نحن والأستاذ حيدرة. كان هذا الأمير بعد الهزيمة أمام السعودية سنة ١٩٣٤ مغاضبا لأبيه، لأن هزيمة جيش الإمام أمام جيش السعودية أحدثت في اليمن ردة فعل أسقطت هيبة الإمام سقوطا يساوي سقوط هيبة عبد الناصر في هزيمته عام ١٩٦٧ في الحرب مع إسرائيل. كنا نتضايق من الحكام الذين عندنا في المناطق، فأردنا استمالة ولي العهد لكي نوجد نوعا من التناقض بينه وبينهم. فكان يرسلنا ويشدد علينا بأن نعلم التلاميذ الوطنية. ومن جملة عباراته أن نبث "الروح الوطنية في نفوس الناشئة، فإن حقوق الدين والوطن كادت أن تكون غير معقولة، نسأل الله أن ينتشل هذا القطر من هوة الجمود والغفلة". كان يغري الشباب ويستميلهم ويغري الكتاب والأدباء. وبقيت العلاقة قائمة إلى أن أصبح هو أميرا في تعز. فلما وصل تعز سنة ١٩٣٨ سأل عني وعلم أنني في مصر فكتب إلي. فوعده بأننا سنواصل إصدار صحيفة من هناك اسمها "اليمن الخضراء". لأن جريدة أبو الحسن توقفت بعد أن طاردها الإنكليز وأعتقل أبو الحسن.

كان من المفروض علي أن أذهب كل ليلة عند أبو الحسن وإلا يشهر بي وبصحيفتي. كنت أجلس عنده وأقرأ له الصحيفة، وكان يتتبع القراءة وأحيانا كنت أكتب له عناوين الصحيفة. وهكذا بقيت ملازما له حتى ليلة اعتقاله. فاجأني بالمجيء إلى الأزهر وقال لي: أيمكنك أن تستأجر لي غرفة لأجلس فيها؟ فقلت له: وهو كذلك. قال: دعنا نلتقي غدا. وبعد أن تركني تلك الليلة أخذت أمشي في الليل راكبا على حمار لأنه لم تعد توجد مواصلات إلى تلك الساعة المتأخرة من الليل، ولا أستطيع أن أذهب إلى الأزهر مشيا على الأقدام. فركبت الحمار. وكنت أقول بيني وبين نفسي مازحا ليتهم يعتقلونه. وإذا بالبواب يقول لي في اليوم التالي إنهم

اعتقلوه. ذهبت إلى زوجته أسالها عن الخبر، فقالت أخذه إلى سجن الأجانب ولم يستطع أحد أن يقابله. ألحوا علي بأن أعود إلى اليمن بحرا أو برا، وشرحوا لي الأمور، وأن ولي العهد أحمد الذي كنت أكتبه من قبل قد نحى أولاد الوزير الذين كانوا يحكمون منطقتنا وأستلم الحكم. ذهبت عن طريق ميناء جدة بجواز مصري، وحملت رسالة من أبو الحسن إلى الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، لأن فيصل الذي كان أمير مكة في تلك الأيام كان صديقه.

ولما وصلت إلى الحج أتصلت بالأمير فيصل وتحدثت معه عن أبو الحسن، لأنه كان مشهورا في العالم العربي. ورجعت إلى اليمن وخطبت بين الرجال أذكر الحضارة الفاسدة، النساء السافرات، والأمير أحمد يبكي في المحراب من التأثر بالخطبة. وأخذ يشكرني لأنني كنت أشيد باليمن التي حماها الله من الاستعمار ولم ترفع فيها راية أجنبية. لماذا قلت ذلك؟ لأنني فهمت الوضع. قلت ذلك لأستقر. فسلموني إدارة المعارف. أصبحت مدير المعارف. وأقام أحمد في تعز فكان وليا للعهد وحاكما لمنطقة تعز، ويعتبر نائبا للإمام. توليت إدارة المعارف وأنشأت كتاتيب في القرى على أساس البرنامج الذي يحوي تعليم القرآن وما يتعلق بالصلاة من الوضوء والطهارة، ثم محبة الإمام ووجوب طاعته على الناس وموالاته. وهكذا تكاد المواد الدراسية تنحصر في هذا. تعليم القراءة والكتابة لا داعي له. المطلوب من الفلاح أداء الصلاة ودفع الضرائب المفروضة عليه للإمام. كنا نعتقد أن ولي العهد، الذي سيصبح فيما بعد الإمام أحمد، مع تجاوبه معنا ومشاركته في مجالسه في المساجلات الأدبية أننا ربما نستطيع في بعض المناسبات أن نقنعه بإدخال العلوم واستقدام المدرسين من الخارج، وإرسال البعثات. ولكن كان بينهم وبين الخارج وحشة، ويعتقدون أن اليمن إذا فتحت الأبواب للخارج سيكون ذلك مصدرا للثورة على الوضع في اليمن، سيما وأنهم كانوا يسمعون عن مطالبة الشعوب بالديمقراطية والحرية. فكان بعض الشباب اليمنيين يلتقون ويتشاكون فيما بينهم ويسمعون عن التقدم في مصر والعراق عن طريق الصحف التي كانت تأتي خفية عن طريق عدن. ثم بدأ الراديو يظهر ولكن كان محصورا بالإمام، وبولي العهد وبعض المسؤولين. وصادف أنه كانت أيام حرب (الحرب العالمية الثانية) والناس يصغون

لحديث الراديو عن الحرب. وكانت اليمن بعيدة عن المعركة الحربية لأن الحرب كانت تدور في الغرب والشرق الأقصى. والتزمت اليمن الحياد في تلك الفترة. وفي هذه الآونة اشتدت المجاعة في اليمن، وكان الناس يموتون من أزمة الغذاء. فاقترح للإمام أن يفتح ملجأ يقوم بإعالة هؤلاء البائسين. وفي الوقت نفسه كانت الضرائب تجمع بالطريقة التي تحدثنا عنها. مرة استأذنت لأسافر من تعز إلى الحجرية. فلما وصلت إلى الحجرية كان الناس يعتقدون أنني لقربي من ولي العهد بإمكانني أن أطلب منه أن يخفف من هذه المظالم والمطالبات من الرعية لأن الناس في مجاعة. وظل الناس يتابعونني. ولما رجعت إلى تعز حاولت أن أعرض للأمير أحمد سوء الحالة، وإذ قد سبقتني رسائل إلى ولي العهد تقول إن الأستاذ نعمان، وكان لقب الأستاذ هذا ثابت عند ولي العهد من هذا التاريخ، خرج ليكون جمعية للعمل ضد الحكومة. فدهشت حال دخولي المجلس المعتاد عند ولي العهد لأننا كنا ندخل فنجلس ونظل نتبادل سويا شعر البحتري والمتنبي والمعري. لأن ولي العهد أديب ومعجب بالأدباء في مجلسه. فسأل قائلاً: يا أستاذ ما ذا فعلت في الحجرية في الجمعية. قلت لا شيء من هذا أبداً. قال الرجل لا يكذب أهله. قلت وهو كذلك. حال رجوعي من عنده أرسلت إليه رسالة تقول إنني وجدت الناس لا يفكرون في الجمعيات ولا تدور هذه الأفكار في رؤوسهم، وإنما يفكرون بما يرفع عنهم العذاب والمعاناة من عبث الجنود الذين يتقاضون منهم الضرائب وهم لا يملكون لقمة العيش. إن نصيحتي ورجائي أن تغفوا الناس من الضرائب هذه السنة، لأن السماء شحت بالأمطار، والزرع قليل لأن الناس لم يبذروا شيئاً. هذا هو الشيء الذي أنصح به.

وفي نفس الوقت، كان بعض زملائي، مثل الزبيري وزيد الموشكي وغيرهما، يشكون نفس الشكوى لأنهم يشعرون مع الناس بكل هذا. فبدأ الإمام يرتاب على الرغم من أنه كان يوجد بينه وبيننا ود ومجاملات وإعجاب. ولكن حينما تأتي فكرة إصلاح كان ينفر منها نفورا كبيراً، ينفر من أية فكرة إصلاحية أو من إبداء رأي. فظلنا نجتمع مع بعضنا البعض ونتباحث في الأمور، وعماداً نفعل. كانت تقام حفلات بمناسبة الأعياد، وبصفتي مدير المعارف كنت أقدم وألقي كلمة بين يدي

ولي العهد أذكر فيها اقتراحاتي وتمنياتي. ويقف آخر يلقي قصيدة شعرية، فيعجب بها الأمير. فكانوا يحاولون أن يوموا بالأفكار إيماء من خلال المدح. وعلى سبيل المثال، الأستاذ الزبيري الذي كان رائد الحرية في اليمن حتى استشهد، قال في مناسبة أحد الأعياد:

والدهر حول جلال عرشك مطرق	والشعب أفئدة بحبك تخفق	صنعتة مجدا في يديك يحقق	تخشى عليك من النسيم وتشفق	في عابدين ولا احتواك خورنق
العيد من بسمات ثغرك يشرق	والأرض نيرة بوجهك تزدهي	ربتك أمتك التي ترجو بما	فنشأت في أجفانها وقلوبها	تأوي بصدر حنانها لم تقتعد

حينما يقول ربك أمتك ... وهكذا، يومي بإيماءات بعيدة. فولي العهد يهتز للشعر ويتأثر به. لأنه كان يطرب للشعر ويقرب الشعراء والأدباء إلى جانبه. وكانوا يقضون الأوقات للجواب على الشكاوى التي تصل تشكو المظالم. كان يتخذ مقعده يوميا لكي يتلقى الشكاوى من المظلومين، فتوزع الرقاع كلها على الموجودين ليجيبوا عليها. وكل يساهم في كتابة الجواب ويتولى ولي العهد التوقيع. ويقوم المرافقون الآخرون بلف الأوراق وكتابة العناوين عليها لتصديرها (لإرسالها). وهكذا كانت تمر الأيام والأوقات ونحن منشغلون بتحرير الجوابات الكاذبة على الناس وإرسالها، ونقول لهم اصبروا، اعرضوا مشكلتكم على الحاكم الفلاني وغير ذلك من الإجابات. هذا هو حال الدولة، وهذه هي أعمالها تجاه الناس. وأخيرا خطرت ببالي فكرة. وهي أنه ما دمنا باقين في الداخل فإننا لا نستطيع فعل شيء. وداعبتنا العروبة وما نسمع عن العالم العربي ومقاومته للاستعمار، وعن الديمقراطية والحرية في سوريا ولبنان والعراق. كل هذا هيج في نفوسنا التساؤل: لماذا لا تكون اليمن كالعراق. كنا نقرأ في الصحف ونسمع الراديو يقول بأن لا خلاص لليمن دون الارتباط بالعالم العربي. كنا نلتحق بالزعماء والمخلفين. مع العلم أنني عند ما عدت من مصر كان عندي نوع من الانطباع بأن يقتصر تفكيرنا بالإصلاح على اليمن، وأن كل وطن يعالج مشاكله بنفسه، وأن هذه الدعوات

والتهاب المشاعر ودعوة العروبة، كلها عبارة عن استهلاك ثقافي، أو أن أشخاصا من العرب يفشلون في أوطانهم فيتقمصون الدفاع عن العروبة، فيكسبون لهم شعبية ضمن العالم العربي ولو كانوا خاسرين في بلدانهم. كان مثل هذا الشعور موجود عندي، وكنت ألمسه أيضا في الأوضاع العربية. ثم أن الإمام يحيى كان لديه نظرة غير حسنة عن العرب. وكنا نحن نأخذها وصمة ضد الإمام لأنه كان يقول إن العرب كذابون ولأنه كان يحارب العرب. بسبب هذا النفور أردنا أن نلتحق بالعرب ونطلب منهم أن يساعدوا اليمن. فكرنا أن نخرج ونذهب إلى عدن، مركز تجمع اليمنيين النازحين، وفيها الحرية لأن الإنكليز هناك، فيمكننا من هناك أن نوجه نصائحنا بحرية إلى الإمام، لأنه كان قد حدث أن أشخاصا كثيرين دخلوا السجن بسبب اتهامهم ببث أفكارهم التقدمية، ولأنهم قدموا مراجعات إلى الإمام ومذكرات يطالبون فيها بالإصلاحات ومن جملتهم الزبيري الذي دخل السجن بأمر من الإمام يحيى وظل فترة مقصيا في جبل الأهنوم في شمال اليمن. لم يخرج إلا بعد مدة بوساطة وبعد أن بعث قصائد للإمام يعلن فيها توبته، يقول فيها:

نور النبوة من جبينك يلمع	والمجد فيك إلى الرسالة ينزع
يا أيها المحسود في عليائه	لا تبغ شأوا إن مجدك أرفع
أعرضت عنا لحظة فتحولت	عنا وجوه الناس بعدك أجمع
من أين يأتيك العدو وأنت في	أرض تكاد صخورها تتشيع

وصلت إلى الإمام هذه القصيدة فقال: إن القصيدة طنانة، ولكن الرجل فكره مسموم فمن أين لنا رجوعه. كتب الإمام يحيى بقلمه هذا الجواب. مرت فترة فجاءوا يتشفعون مرة أخرى، وتقدم عم الزبيري إلى الإمام يحيى وكان أيضا من جلساء الإمام، فقال له: يا مولاي في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء؟ رحمتكم على عبدكم محمد محمود الزبيري، فإن نساءه باقيات ليلا ونهارا. أخيرا أفرج عنه وجاء إلى تعز. التقينا. ثم ذهبنا إلى عدن وكان معنا الزبيري وأحمد محمد الشامي، هذا الذي أصبح الآن وزير خارجية الملكيين في الصف الملكي ونحن مع الجمهوريين. التقينا في عدن، فكان هنالك بدء التجمع. بدأنا نعلن ونؤسس "حزب

الأحرار اليمنيين". أصدرنا صحيفة اسمها "صوت اليمن". هناك بدأت المشاعر تلتهب في اليمن. وكان هذا حوالي سنة ١٩٤٣ عند ما خرجنا. ثم بقينا إلى سنة ١٩٤٦. سمحوا لنا بإصدار الجريدة ثم أسسنا مطبعة. وكان اليمنيون متمركزين في عدن من عمال وتجار وغير ذلك، فساعدوا الحركة. عند ما ابتدأت الحركة تشتد، أنضم إلينا أحد أولاد الإمام وهو سيف الحق إبراهيم، الذي هرب من أبيه ثم أنضم إلى الأحرار. وكان هذا أكبر دعاية للأحرار. بقينا نرفع مذكرات إلى الجامعة العربية وإلى العالم العربي. نستجد ونستغيث بالعالم العربي الذي يعلي رؤوسنا، وكنا نريد وطننا كلبنان، أو كسوريا، نريد شعبا كمصر. هيج هذا الكلام اليمنيين تهيجا كبيرا، وبدأ آل الوزير يطمعون بالحكم. فقلنا لنتعامل معهم وليسقط حكم الإمام يحيى ويكون الحكم حكما دستوريا. وضعنا المطالب ثم بدأت تنتشر. في سنة ١٩٤٨ قامت الحركة وأطاحت بالإمام يحيى، وكنا نحن في مقدمة الحركة، نحن والأمير إبراهيم وبعض الزعماء الكبار مثل الزبيري. تشكلت الوزارة، فعينت وزيرا للزراعة والزبيري وزيرا للمعارف، ثم أعلن "الميثاق الوطني المقدس" كدستور مؤقت يحدد حقوق الإمام ويحدد حقوق الشعب. كان ولي العهد أحمد بن الإمام يحيى، الذي كنا من قبل عنده، في تعز حين قتل أبوه في صنعاء وأعلن عبد الله بن أحمد الوزير إماما في صنعاء. غادر أحمد تعز مغامرا يريد الذهاب إلى صنعاء لقمع الثورة. ولكنه التجأ إلى جبال حجة ولم يلتجئ إلى صنعاء لأن ابن الوزير كان قد سيطر على صنعاء وقتل الإمام يحيى في ذلك التاريخ. وصل جماعة منا، أي من جماعة الأحرار، بالطائرة إلى صنعاء، أما أنا فقد مشيت عن طريق البر ومعى مجموعة، وسار آخرون عن طريق الحديدة. ولكن الإمام أحمد أثار القبائل وهيجهم لنهب صنعاء. وعندما سمعت القبائل بهذا داست كل شيء لا تدري بدستور ولا بحرية ولا بأحرار. إذ كان الشعب غير واع بشيء وكانت الأفكار كلها محصورة في قلة من أبناء مدن ضائعين ليس لهم جذور. فاقتحمت القبائل صنعاء تنهب وتسجن كل "المدسترين"، أي أصحاب الدستور، منهم السيد عبد الله الوزير إمام الدستوريين، وسيف الحق إبراهيم، وجميع الوزراء. ساقوهم إلى السجن. وأعلن أحمد أنه الإمام الشرعي. نحن وصلنا إلى نمار التي تبعد عن صنعاء حوالي ١٠٠ كلم، وإذا بالقبائل تحيط بنا وتعتقلنا هناك. دعونا لتناول الغذاء في دار

الحكومة لأننا كنا سننزل ضيوفا في دار الحكومة. دخلنا دار الحكومة الموجود في المركز، وبينما نحن نتناول الغداء كانوا يرتبون لنا قيود الحديد. ولما خرجنا لنغسل أيدينا كانوا يلتقطوننا واحدا واحدا ويضعون قيود الحديد في أرجلنا. ثم ساقونا إلى زريبة أو اسبطل غير مفروش، فجلسنا على الأرض ونحن في ثيابنا ممددين على الأرض. وكنا ننتظر الموت. أيقنا أن ليس لنا حياة بعد الآن، لأن صنعاء سقطت بيد الإمام أحمد وانتهت الثورة. خرج الزبيري مع أحد أبناء الوزير (عبدالله علي) إلى السعودية إلى الملك عبد العزيز قبل أن تسقط صنعاء ليستجدوا به. ولأن الثورة كانت ضد الملكية، رفضهم الملك عبد العزيز، ومن جملة من رفضوا الفضيل الورتلاني الجزائري الذي كان يعمل مع الأحرار. فلما رفضهم الملك التجأوا نحو عدن ثم ذهب الزبيري وعبد الله علي الوزير إلى باكستان، أما الورتلاني فأتجه نحو لبنان. وقد منعوا من دخول مصر والبلاد العربية لأن حكام العرب اجتمعوا في ذلك الوقت على الاعتراف بالإمام أحمد واعتبروا القصة من عمليات الإجرام. أما نحن فبقينا في مدينة ذمار حوالي عشرة أيام حتى أرسل الإمام أحمد بعد أن انتصر انتصارا كاملا من يأتي بنا نحن ومن معنا من الأحرار. فسلبوا كل ما معنا من ملابس ووضعوا لنا السلاسل في أعناقنا جاعلين كل عشرة في سلسلة يسمونها "زنجير"، وكل طوق منها مربوط بسلسلة تصل إلى الطوق الثاني. وهكذا ابتدأنا نمشي في الطرقات والقبائل تردد النشيد (الزامل):

لعنة الله على نعمان واصحابه ما عوى الذئب وما حرك أذنايه

وهكذا بقينا نسمع هذا النشيد ونحن في طريقنا. فتخلعت أقدامنا من المشي لأننا مشينا من ذمار إلى معبر من الصباح حتى العصر. كان بعض الرفاق يسقطون أرضا من الإعياء، فيهددوهم بالقتل ويأمروهم بالمشي رغما عنهم. وعند ما تعبنا من المشي سمحوا لنا بالركوب على الحمير لكنهم شدوا أيدينا بالمغالق، وهذه المغالق عبارة عن قطعة من الخشب تتقّب من أطرافها لتوضع خشبتين وتدخل اليد فيها فتثبت بمسامير من الطرفين تحول دون أن يستطيع السجين تحريك يده. أما رفاقنا الذين كانوا مقيدون بالسلاسل فقد كانوا يمدوننا بالأكل لأن أيديهم مفتوحة. وإذا احتاج أحد منا الذهاب إلى الحمام جلبوا العشرة المقيدون معه لكي يساعده. كان عندهم خوف منا لأن البلاد جبلية لئلا نهرب.

فمشينا على هذا الحال من زمار إلى معبر، ثم إلى حزيز حتى وصلنا إلى صنعاء ومنها إلى الروضة ومن ثم إلى حجة. استغرق السير ستة أيام، إلى أن صعدوا بنا جبل حجة عند الإمام أحمد. فلما وصلنا إلى هناك جاء المسئولون الآخرون الذين جيء بهم من الحديد ومن صنعاء فالتقينا أفواجا أفواجا، المشائخ والضباط والمتعلمين كلهم مقيدون بسلاسل. منهم من شذخت رؤوسهم، ومنهم من كانوا ملوثين بالدماء، وبعضهم ألقيت عليهم الأتربة مثل السيد حسين الكبسي الذي كان يسمى مندوب اليمن المستمع في الجامعة العربية. ثم أصبح وزير الخارجية في الحكومة الدستورية. التقت الحكومة الدستورية كلها فأستاقونا إلى سجن اسمه نافع كان طبقات تحت الأرض ومؤلف من غرف ليس فيها حصير، باستطاعتنا أن نسميها دهاليز. وضعونا خمسين هنا و ٩٠ هناك. كنا ركاما بعضنا فوق بعض. فلا يدخلون الشخص إلى هناك إلا بعد أن يضعوا في رجليه ثلاثة من قيود الحديد. أما الذين يتشددون معهم فيضعون لهم قيودا يسمى المروء، في وسطه قطعة من الحديد ثقيلة. والبعض في أقدامهم السك، وهو عبارة عن وصلة من الحديد ليس فيها حلقات، توضع ما بين الساقين حتى لا يستطيع الحركة. وقد وضعوا لي هذا السك ووضعوا اثنين من القيود المتحركة في أسفل الساقين وثالث ملزوز بالرجلين. بهذا الشكل لا أستطيع الحراك أبدا. وبعد أن انتهوا من وضع هذه السلاسل قالوا لي: قم يا عدو الله وعدو الإمام. قلت لهم: كيف أقوم بعد أن وضعت لي أسطولا من الحديد؟ فأخذوا يدفعونني بالقوة قائلين: عادك عادك تتلغلغ؟. وحملني الذين كانت قيودهم أخف حملا على ظهورهم إلى أن وصلنا القاعة مع المجموعة. وكان عمي عبد الوهاب نعمان، شقيق والدي وأبو زوجتي، مسجوننا هناك. جيء به من صنعاء وكان مسجوننا من عهد الإمام يحيى لمدة ٢٧ سنة. تلاقينا هناك في ذلك الوقت. وكنا كالمرضي كل يئن في مكان من أثقال الحديد. ولكن كان يتحلى بالصبر. وقد خففوا عنه الحديد. أما نحن فباعتبار أننا كنا في عدن مع "النصارى" فقد اشتد العقاب. وكنا نتساءل أين المرحاض؟

كانت توجد جماعة يساعدون بعضهم البعض فيحملون الواحد إلى هناك ثم يأتون به. أما بالنسبة للغذاء فمن سيأتي به! في اليوم الثاني أخذ يأتينا. وكنا نعتقد

أن الإمام أحمد سيقضي علينا نهائياً. وهذا شيء طبيعي لأننا متهمون بقتل أبيه واثأرون ضده، استمر الحال لمدة ١٨ يوماً على هذا النحو، لا نتحرك. ثم بدأت المناداة للاستعداد لقطع الرؤوس. فكانت تأتي الأوامر من تعز تلغرافياً، لأن الإمام أحمد ترك حجة وذهب إلى تعز منتصراً على أعدائه جميعاً. أدخلهم السجن وذهب. وابتدأ الآن يجري الأحكام غيابياً على المسؤولين بالتهمة التي تثبت عليهم وإدانتهم. وكل من أدين بعث أمراً بقطع رأسه. فيأتي أحد المعننين (السجانين) وينادي باسم الشخص الذي صدر عليه الحكم. يعلم أنه ذاهب إلى الإعدام فيودع إخوانه ويذهب. ونصاب نحن بشيء من الشلل في نفوسنا وجفاف وزهد في كل شيء. وكل واحد منا ينتظر الموت. عندما كان يعود السياف الذي يقطع الرؤوس ويقول اليوم انتهينا، نبدأ نتحرك لتناول طعامنا. وعند ما كانت تعترينا حالة الشلل النفساني كنا نتساءل هل السب الألم على الذين ذبحوا أم خوفاً من أن نذبح؟ ولكن ثبت أنه خوف من أن نذبح، لأننا بعد أن نأمن أننا غير مذبحين اليوم نتهياً للأكل.

وكان يوجد بيننا شخص اسمه علي عقبات، بمجرد ما يسمع صوت النفير يلتف بالحصير حتى لا يسمع الصوت، لأن ذلك الصوت كان دعوة ليجتمع الناس لمشاهدة القتل، وليعلم كل واحد بأن هناك من سيقتل ذلك اليوم. كان علي عقبات يبدأ من الصباح بلف نفسه في الحصير حتى لا يسمع الصوت.

س — هل نادوا على اسمه أخيراً؟

ج — نعم. دعي ولكن بالغلط، فذعر وأغمي عليه. أراد الذي دعاه أن يمزح معه، فلعنه لعنا شديداً. كنا نلتقي مع بعضنا البعض ونتبادل الأشعار والأذكار. فكان هذا الشيء يخفف عنا إلى أن أعدم مجموعة من الأشخاص.

س — لماذا لم يدعوا الحكومة كلها واكتفوا بأخذ البعض من أعضائها؟

ج — كان الإمام يحكم (يصدر أحكاماً) ويعمل بحكمه. وحقيقة كان متخذاً نفسه إماماً. والذي كان يخالف الشريعة من الشعب يحاكمه. وكان الشرع قائماً ولو على نحو تقليدي. وكان يراعي ولا يستهتر. فقد حكم على من كانوا مشاركين في العمل. أما بالنسبة لي، كانت الحملة من الكثيرين تعرض على أن أكون أول من يقتل.

يقولون يجب أن يكون نعمان في مقدمة من يقتل. ولكن الإمام نفسه كان يدافع عني ويقول "ماذا فعل؟ كتب في الجريدة! لم يثبت عليه شرعا أي شيء". هكذا اتخذ هذا الموقف مني. وكان يوجد بيننا ود. وكان حكمه شرعيا. كان يتحرى في إصدار الأحكام الشرعية. كان هناك جماعة لم يحاكموا. وكان الناس يحكمون عليهم. أما هو فلم يرغب في أن يتلقى الأحكام من أفواه الناس، بل حكم على من ثبت أنه متآمر في قضية القتل. ومن المصادفة أننا اعتقلنا في دمار ولم نصل إلى صنعاء. ولذلك لم نباع الإمام الجديد. وكل الذين كانوا معنا لم يقتل منهم أحد. الناس الذين سبقونا إلى صنعاء وقعوا على الميثاق ووقعوا على الدستور. فكانت هذه من المبررات، وكان يوجد بعض الأشخاص المؤثرين على الإمام، إلى جانب أنه يقول شرعا لم يثبت عليه شيء. وبعضهم يسألونه لماذا تترك فلان وهو فعل وفعل، فكان يقول إنه لن يحكم إلا على من ثبت عليه شرعاً. بعد عدة أيام طلبوني للتحقيق، ألقوا علي أسئلة فأجبت إجابات صريحة وبكل صدق. حاولوا أن يستدرجوني بأن فلان فعل كذا، فكنت أقول لهم لا. ويسألون من الذي كان يساعد الأحرار ومن الذي كان يمدهم؟ أذكر أسماءهم؟ فقلت: إن "الجمعية اليمنية الكبرى" مجرد ضجيج ودعاية، والذين كانوا يساعدوننا أناس كانوا يتصدقون علينا بالقوت. وأقسم بالله أنني أقدم نفسي إلى المشنقة دون أن أدلي باسم من الأسماء. واصنعوا بي ما تشاءون. هذه الحادثة بالذات نقلت إلى الإمام أحمد. فقال: هذا رجل وفي. ولما رأي السجان هذا الموقف خفف عني القيد الذي كان يضم الرجلين فارتحت. وكتبت أجوبة صريحة وبجانبيها نصيحة إلى الإمام تقول: "قد أظهرك الله على أعدائك ونصرك، فقل ما قاله رسول الله عندما دخل إلى مكة وقال ما تظنون إنني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. قال: أذهبوا فأنتم الطلقاء. وربما أن أعداءك بالأمس يكونون أصدقاءك في الغد". وكانت هذه الرسالة بجانب الأجوبة. وبعد هذا التصريح أصبح الإمام يأخذ ويرد مع بعض المسجونين. وبعد حوالي ٤ أشهر انتهت محاكمة المباشرين بالقتل من المتآمرين الذي بلغوا حوالي ٣٤ شخصا، ومن الذين تولوا الخلافة مثل الإمام عبد الله بن أحمد الوزير وعلي بن عبد الله الوزير ومن آل الوزير حوالي خمسة. كان الإمام يعتبرهم منافسين له على العرش وأنهم تصدروا للحكم.

بعد أربعة أشهر نقلت من سجن نافع إلى سجن آخر يسمى القاهرة، وهو حصن مطل على السجون وعلى مدينة حجة. كان أخي الأكبر مسجوناً فيه منذ أربع سنين، منذ أن تركنا اليمن وذهبنا إلى عدن، لأن الإمام سجن جميع أفراد الأسرة بعد هربي إلى عدن. وعند ما دخلت صافحت أخي، ولما صافحته اعتقد أنني صعدت لأقتل. لأن العادة كانت هناك أن كل من ينتقل من سجن نافع إلى هذا السجن يصعد للاستطاق (ليقول آخر ما يريد قوله ويملي وصيته) ثم للإعدام. لذلك لم يتماسك عند المصافحة فقلت له: شدّ نفسك. لا يوجد شيء. كنا قد تعودنا على الموت ولم نعد نهتم بذلك. فمكثنا سوية في غرفة واحدة وأصبح الغذاء أحسن. وكان هناك مسجونون جرى التخفيف عنهم وجيء بهم إلى هذا المكان. وفكوا عني كل القيود إلا قيد واحد.

وبعد فترة وصلت برقية من الإمام إلى أخي: "من الإمام أحمد إلى الشيخ علي محمد نعمان. بلغنا أن أخاكم الأستاذ يكتب مذكراته في السجن منذ مقتل الإمام الشهيد، وهذه إذا أضيفت إلى ما قبلها ستكون من العجائب، فرجاء أن يواصل العمل في هذا السبيل. وقد طلبنا زوجته وأولاده من عدن". والحقيقة أن هذا لم يكن صحيحاً حتى إنه لم يكن لدي قلم لأن السجان كان قد أخذه في بادئ الأمر. فأجاب عليه أخي: "مضى على الأخ الأستاذ منذ سجنه أربعة أشهر و ١٠ أيام وهو مستقل على ظهره لا يتحرك في السجن. ومنذ أن صعد إلى عندنا إلى سجن القاهرة لا قلم عنده ولا ورق، ولكنه الآن يستطيع أن يكتب. فتفضلوا بالأمر إلى مدير سجن نافع لتسليم قلم الأستاذ". ولا يزال هذا القلم إلى الآن موجوداً معي. بدأنا نكتب. ماذا نكتب؟ نكتب عن شخصية الإمام، فإذا بنا نستعرض صحبتنا له في الماضي، وأن الذي وجهنا إلى الوطنية هي كلمته التي وجهها من حجة حين كان ما يزال يتنافس مع علي الوزير على تولي إمارة لواء تعز. "ونحن قد سجلناها هنا حينما قلتم بثوا الروح الوطنية في نفوس الناشئة، فإن حقوق الدين والوطن كادت تكون غير معقولة. نسأل الله أن ينتشل هذا القطر من هوى الجمود والغفلة. تلك الكلمة المؤمنة التي حركتنا للوطنية وللوطن. وإذا كنا قد أخطأنا السبيل فإن العفو يتسع". فبقينا نتكاتب، نأخذ ونرد في رسائل بيني وبينه لم تنزل إلى اليوم محفوظة عندي. بقينا

نتكاتب. وإذا بكثيرين من الإخوة جاءوا إلى عنده يتشفعون ويرسلون المال عن طريقه، ومن جملتها رسالة من الزبيري من باكستان. بدأ الإمام نفسه يستعيد الذكريات وأول رسالة اطمئن إليها "إلى الأستاذ الكبير". ووصل إليه صديقي الأستاذ محمد سالم البيحاني، وهو أخ من المكافحين. كنا نقرأ سوياً في الأزهر وأصبح صاحب دعوة إسلامية في عدن وأسس المعهد الإسلامي وكان له احترام عند الإمام. ذهب إلى الإمام حين علم أننا في السجن يتوسل إليه. ثم كان بقاء صديقي الزبيري في الخارج من العوامل التي رفعت عني الخطر استبقاء لي لجلب الآخرين. إلى جانب أنه كان في نفس الإمام ود. بعد هذه المراسلات والأخذ والرد ارتفع الخطر. وذكر الإمام في رسالته أن "الأستاذ البيحاني وصل إلينا ولم يكن هناك داع لتكليفه، فقد أكمل أمس وأن الأمر قد تم، ونحن علم الله سبحانه وتعالى ما أضمرنا لك سوء، وإنه ليس معنا لك إلا تلك الكلمة حينما جئت من الحجرية وقلنا لك إن الرائد لا يكذب أهله. ونحن لا نزال نتذكر المساجلة بين الشعر والنثر وما قلتموه في أيام الولد البدر، وما ألقيتموه في أيام زواج الولد أحمد زيارة، ... وما قتل الأحرار إلا العفو عنهم". أرسل إلي هذه الرسالة بخط يده عندما كنت في السجن في حين كنت أنتظر الموت، من رجل أجمع الناس على قتلي ويأتي بنفسه ليكتب لي مثل هذا الكتاب! فقد فعل في نفسي عملاً. بادلته الرسائل استصرخه العفو عن المسجونين بكل إخلاص، وأبين ما وراء ذلك من فوائد وما من ذلك من مصالح. كان نائب الإمام في حجة عبدالملك المتوكل، والذي كان همزة وصل بيني وبين الإمام، يقرأ الرسائل ويتأثر بها، وينصح الإمام بالعفو عني. وإذا بهذا النائب، وهو والد محمد عبد الملك، قد أرسل إلي أمراً بإزالة القيد الذي في رجلي مدة سنتين وهذا يعتبر نعمة: "ارفعوا القيد الصغير عن الأستاذ وعليه أن يخرج ليكشف لنا عن المدارس والمعارف في حجة". وكان أول خروج لي من السجن بعد سنتين. نتأمل الأضواء والنهار والأولاد. وكان ابني محمد ما يزال صغيراً لم يتزوج بعد، وعبد الرحمن أيضاً، كانا موجودين في صنعاء. وكانت معي الزوجة ومعها بنت والآن هما في القاهرة. أتوا من صنعاء. فأمر الإمام أن أنزل نهاراً تحت حراسة جندي وأذهب إلى المدارس وأشرف عليها ثم أضع مناهج للتعليم ومن ثم أعود إلى

سجن القاهرة. كان في رجوعي إلى سجن القاهرة فائدة، فقد كنت أعود إلى الإخوان الموجودين في السجن مثل القاضي عبد الرحمن الإرياني وعبد الله عبد الإله الأغبري، وحمود الجائفي وإبراهيم الحضرائي، الإخوان الزملاء الذين كانوا مسجونين معي باقون في السجن. كنا نظل نتسامر نقضي الليل عندهم وفي الصباح نبكر إلى المدارس نلتقي بأبناء النائب نعلّم العربية وبعض المواضيع المحصورة في كتب محددة مثل الوضوء والطهارة، والنجاسة، والنكاح. فتحنا مدرسة اسمها المدرسة المتوسطة. فكان الإمام يلبي كل طلباتنا لأننا قلنا له إن حجة القاعدة التي انتصرت منها محتاجة إلى مدارس، وخاصة في المناطق المظلمة منها. وإذا بالمدرسة المتوسطة تتأسس ويبدأ التعليم. واستعنا بمعلمين من الخارج لتعليم اللغة الإنجليزية والرياضة البدنية والكشافة. قاوموا هذا التعليم في حجة مثلما قاومت التعليم في الحجرية أيام الأستاذ محمد حيدرة. كانوا لا يزالون على عقليتي السابقة بينما كنت قد اجتزت هذه المرحلة، وأصبحت الأرض عندي كروية في حين كانت لا تزال عندهم معلقة على قرن ثور. قامت ضجة عند الإمام، ولكن لأن عندي فهم للشريعة الإسلامية استطيع أن أقدم له البراهين من الشريعة الإسلامية. فقد كان الحبشة يدخلون ويرقصون في منزل النبي وكان يسمع الأغاني وكان يقول إن "اليوم عيد دعهما يغنيان". كان باستطاعتي أن استدل بأحاديث نبوية فيها من التسامح ما يكبح جماح العلماء الجامدين. وصادف أن كان نائب الإمام يشد أزرنا وأبنائهم يتعلمون. بعد ذلك بدأنا نستقدم الصحف. أرسل إلي الزبييري برسالة — استخرجتها اليوم لأبعثها للقاضي الإرياني — يقول فيها: "إن تفكيرنا من أساسه كان من سوق السياسية العربية بما فيها من جمعيات وأحزاب وصحف ومحاضرات وزعماء ودجالين ممن أفسدتهم ولوثت ضمائرهم الخصومات والأغراض والمتاجرة السياسية بمصائر الشعوب. لقد تقبلنا منهم كل شيء وتحمسنا له وجعلنا لأنفسنا مثلاً علياء وحملنا أنفسنا وعائلاتنا ما لم يستطع أن يتحملة أحد سوانا. وذلك بناء منا على أنهم أبرار وأتقياء، يقولون ما يعتقدون ويرون حقاً وصواباً. وقد تبين لنا بعد ذلك أن تلك السوق السياسية موبوءة دنسة خبيثة، ويعلم الله أننا كنا أبرياء من هذا الدنس وبعيدين كل البعد عن تصور هذه الحقائق المرة. أخي إن هذه السوق

هي التي أضاعت فلسطين وصيرتها دولة يهودية خالصة، بينما كانت الشعوب تتحمس في سبيلها تحمسا جنونيا خالصا. ولما سكنت المعركة بين العرب واليهود، انقلبت إلى حرب أعصاب بين العرب أنفسهم، كل منهم يتهم الآخر ويخونته ويتربص به. وكان من أثر ذلك أن حدثت في سوريا وهي أنضج البلاد العربية في أقل من عام ثلاثة انقلابات، وكل انقلاب له زعماء ومؤيدون وأنصار يزعمون الحق لهم والباطل والخيانة على سواهم حتى ضاع الصواب، وحارت الحقوق وانهارت العقائد وتقوض الكثير من الأسس التي يقوم عليها الرأي العربي العام. فساد الشك في كل شيء، وعم البلاد العربية ما يشبه الانحلال العقلي. ولا ريب أنك تأسف إذا فهمت هذه الأحوال وتصورتها. ولكن هذا التصور يضاعف من غبطتك بالجو الذي أنت فيه ولا سيما بعد هذا العطف الكريم العظيم عليك وبعد الطمأنينة على جميع المعتقلين". بعث الزبيرى هذه الرسالة من باكستان قبل ٢٠ سنة بواسطة الإمام إلى سجن حجة. وأنا أقول للإرياني اليوم هذه هي الصورة التي رسمها الزبيرى قبل ٢٠ سنة ولم تتغير كثيرا إلا في أن السوق السوداء الجديدة أضاعت إلى جانب فلسطين أجزاء غالية من مصر وسوريا والأردن، وهوت بالأمة العربية إلى الحضيض وجللتها بالعار. كما أن الانقلابات في سوريا قد وصلت إلى ١٧ لا إلى ثلاثة انقلابات فقط.

كما قلت ، وصلت هذه الرسائل بواسطة الإمام وكنا نحن نواصل التدريس في حجة. ومرت فترة أثاروا بها الإمام إثارة قوية قائلين إن هناك تطورا، وأن أحد التلاميذ في المدرسة يرى أن لا فرق بين استعمال "البرنيطة" واعتماد العمامة. وكانت الثورة المصرية قد قامت سنة ١٩٥٢، ونحن في هذا الجو الناصع مع الإمام. أحدثت الثورة ارتباكا وأثارت التطلعات عندنا، وظننا أن تغييرا سيحدث في الصورة التي أشار إليها الزبيرى في هذه الرسالة. وقلنا الآن آية جديدة، عروبة بشكل آخر. العروبة الأولى كنا قد كفرنا بها بسبب سقوط ثورة اليمن الدستورية وعدم تحرك الجامعة العربية لمساعدتها. وقد كنا في السجون وحدثت المذابح ولم يصنع العرب شيئا لمساعدتنا. فإذا بالعروبة تأتي بصورة ثانية. عرب ١٩٥٢ غير عرب ١٩٤٨. وإذا بهم يأتون ويضيعون لنا بقية العروبة بكاملها. بدأت هذه الثورة

تحدث ردود فعل ونقمة على الوضع القائم. وإذا بالإمام يتأثر هو نفسه. وبدأ يتنكر حتى للأسلوب الذي سمح به بفتح المدرسة. لذلك أمر بإغلاق المدرسة المتوسطة، لأن هذا الطالب لقي مرة صهر الإمام، فظل يتناقش معه. صهر الإمام يحمل على (الرئيس المصري آنذاك) محمد نجيب. فرد الطالب قائلاً إن محمد نجيب رجل مسلم حرر مصر من الرجعية. رد صهر الإمام قائلاً: هذا كافر يلبس "برنيطة". و"البرنيطة" ليست لكم بل يلبسها النصارى. قال الطالب: طيب إذا لبس النصراني العمامة هل يصبح مسلماً؟ فلما رأى الطالب الصغير قد أخرسه بالمنطق في حين عجز عن الرد رغم تقدمه في السن، ذهب إلى الإمام ينبئه بأن حجة ستشهد ثورة مفسدة للدين. عندئذ أمر الإمام بإغلاق المدرسة المتوسطة. حاولنا إعادة فتحها ولكن ذلك كان متعذراً. بعد هذا مرضت، فقلت أريد أن أذهب للعلاج. وسمح بخروجه من حجة لأول مرة. وذهبت إلى الحديدة. هناك التقيت بالإخوان فعاد تسليط العيون علينا.

وكنت أعتقد أنه لا يجوز لي أن أخرج على الإمام بأي حال من الأحوال. كنت أفكر بأن الإنسان يستطيع أن يتبصر ويطور أوضاعه داخل بلده بشكل ما، ولكن وجدت أيضاً أن الإمام قد رفض حتى هذا الشيء المحدود مع أنه كان في السابق مستجيباً لكل شيء معقول. ولكن بعد أن قامت الثورة المصرية أعتقد بأن أي عمل سيعمله يخوفه من أن يحدث في اليمن ما حدث في مصر. لهذا ترك كل شيء وعطل الكثير من المشاريع وخف عنده الحماس. وهكذا بقينا نحن مسئولين والناس يتطلعون وينادوننا. وكان الأخ الزبيري قد انتقل من باكستان إلى مصر. هياؤا له المجال وسمحوا له بتأسيس الاتحاد اليمني وبالحديث من إذاعة صوت العرب. وكانت أحاديثه معقولة. وبقي محافظاً على الود للاحتفاظ بسلامتنا ويحاول إغراءنا بالخروج. فكان يبعث إلينا برسائل لم يعرف بها الإمام لأنه عند ما أصبح ملكاً احتجب ولم يعد كما كان في أول الأمر. فقد احتجب عن الناس. وكانت الأوضاع تزداد سوءاً داخل اليمن. والناس يسمعون الإذاعات المنتشرة. وثورة مصر هزت الشعوب العربية هذا عنيفاً. تطلعوا إليها بلهفة لأن العربي يعشق بالسمع، والأذن تعشق قبل العين أحياناً. نسينا بأن العرب يتاجرون بالشعوب. قلنا لا شك في أن

العرب الآن قد تغيروا. وجاءت فلسفة الثورة، ثورة عبد الناصر، لتدغدغنا وتضرب على الوتر الحساس.

أولا أن هذا الرجل (الإمام أحمد) لا يقبل بالوشاية ونحن أكثر الناس شكوى من الوشاية. أول خروجنا من اليمن قلت له خشنا أن نذهب ضحية وشاية أو سعاية نمام كاذب، فلهذا ابتعدنا حتى لا نعرض حالنا للخطر بالسجن أو غير السجن. كانت الوشاية منتشرة في اليمن. وكل ما يصل شيء إلى الإمام لا نشعر إلا وفلان في السجن، لماذا؟ لا أحد يعلم.

جاء في فلسفة الثورة كلمة كان لها أعظم الأثر في نفسي. يقول عبد الناصر في فلسفة الثورة: "لو سئلت ما هي أعز أمانيك؟ لأجبت على الفور أن أسمع مصريا يقول كلمة إنصاف في مصري آخر، وأن أرى مصريا قد فتح قلبه بالصفح والحب والغفران لإخوانه المصريين. لكن لم نجد إلا هذا يتحدث عن ذاك، وهذا يشين بهذا، وهذا يريد أن ينتقم من ذاك. وكأن الثورة قامت لتكون سلاحا في يد الأحقاد. ولكن الثورة لم تكن لهذا". كنت دائما ألهج بعبد الناصر وأنه الذي سيصلح العرب. وكنت أفكر دائما كيف يمكنني أن ألقاه. هيجنا الزبيرى برسائله. وكانت الدعاية فياضة في تلك الأيام. انتقلنا من حجة وذهبت إلى تعز لزيارة الإمام.

س — هل كانت أول زيارة بعد السجن؟

ج — دعيت مرة حينما عفا عني وألقيت كلمة هناك. أما هذه المرة فقد ذهبت أريد الخروج من حجة لأن حجة سجن. ثم أحببنا أن ننقل من هذه البلاد النائية (حجة) ونذهب إلى تعز المنطقة المنفتحة. وصلنا إلى تعز وإذا بثورة تقوم ضد الإمام أحمد، من يقوم بها؟ قالوا لنا سيف الإسلام عبد الله. لماذا؟ لأن الإمام أحمد أصبح يقرّب الأحرار الذين كانوا من قتلة الإمام يحيى، ولأننا مرتبطون بالأمير البدر لأنه من ألح على أبيه بالإفراج عنا، وأن الإمام أحمد يريد الأحرار ليتخذ منهم قوة لولده، وليكونوا عناصر في مواجهة أعمامه سيوف الإسلام أخوة الإمام. نحن أيضا أطلقنا ولاية العهد من حجة وبقينا نتحدث عن وجوب ذلك العهد للبدر. أثارها أولاد الإمام يحيى، أي إخوة الإمام أحمد، قائلين إنها دسياسة وضعها الأحرار

لتفريقهم. كان الإرياني ممن ثبتت هذه الدعوة وكتب صيغة البيعة ووزعت على الناس. وخرجنا منتشرين للدعوة لولاية العهد للبدر. فأوجدنا شقاقا بين الإمام وإخوته ولسنا قاصدين ذلك. ولكن الإمام كان حذرا حتى أنه مرة كتب إلي قائلا في معرض الحديث:

إني على ما ترين من كبرى أعرف من أين تؤكل الكتف

ولذلك أغلقوا هذا الباب. وهكذا أصبح أولاد الإمام ضدنا نحن الأحرار. وكنا نحن نلوذ بالبدر ومرتبطين بالإمام. وحينما ذهبت إلى تعز كان إخوة الإمام متعجلين القضاء على الإمام أحمد، حتى لا يدعوا له مجالا. وبينما أنا في المنزل وإذا بي أدعى إلى مركز الجيش. ذهبت وإذا بي أجد هناك عبد الرحمن الإرياني ومجموعة من الإخوان. سألت الإرياني: ما الخبر؟ قال: أحلام اليقظة. الإمام أحمد محاصر في بيته. كنت غير مرتاح للوضع. ربما كانت خديعة متفقا عليها بين الإمام وإخوته يريدون أن يمتحنونا. وأنا الآن قادم من حجة ولا أريد أن أرجع إلى حجة مرة أخرى. اجتمع الناس. فقلت لهم: "وما هو المطلوب؟" قالوا: "خلع الإمام أحمد." سألت: "لماذا؟" أجابوا: "لتولية سيف الإسلام عبد الله." وسيف الإسلام عبد الله هذا كان بين الحضور وإخوته وأولاد إخوته أيضا كانوا متحمسين يريدون القضاء على الإمام أحمد بحجة أنه كان مريضا ويعيش على المورفين وغير ذلك. فقلت لهم الأولى أن نطلب من الإمام أحمد تنحية رئيس الوزراء الأمير الحسن وتأليف الوزارة برئاسة سيف الإسلام عبد الله، ودعوا الإمام كما هو.

قال سيف الإسلام عبد الله: "ولاية العهد للبدر!" فقلت له: "إذا كان بإمكانك السيطرة على الوزارة في حال كونك رئيسا للوزراء فأنت المتصرف بالأمور، ودع الإمام ليكون إماما دستوريا. أحد الحاضرين أجاب: "من فضلك لا تتكلم، فليخلع الإمام أحمد." وجاء عسكري يهمس لي. وكان هناك بعض الضباط كالثلاثيا. فقلت لهم: "كما تريدون".

فأرسلوا وفودا، ليعلموا الإمام بالتنازل عن العرش والرصاص يطلق على القصر. كتب الإمام صيغة التنازل لأخيه بصورة مأكرة ولكنه لم يكن متنازلا.

وكانت الصيغة بتولي الأخ سيف الإسلام عبد الله الأعمال بالنيابة عن الإمام، وأن في هذه العملية دسائس أجنبية. عندما كنت مرتابا ومذعورا تم الأمر. إذا، ما ذا سيحدث للبدر؟ وما ذا سيحدث في حجة، معقل الإمام حيث نائبه هناك؟ أوحيت لبعض الأخوان الذين كانوا هناك أن يقترحوا خروجي من تعز لإقناع البدر ونائب حجة، لأن علاقتي بهما كانت معروفة بسبب الإقامة بينهما. وافق سيف الإسلام عبد الله. تمت الفكرة بسرعة بالطائرة لأنني رأيت الجو ضائعا. ما هي هذه الحكومة التي تتشكل والإمام داخل البيت، ومقر الجيش في الجبال. والعملية لم تكن ناضجة، ولم ارتح لها في نفسي. وإذا بي أصل بعد نصف ساعة إلى الحديدة عند البدر. كانت قد انقطعت عنه الأخبار لكن كان عنده بعض المقدمات تعلمه بوجود محاولات ضد أبيه الإمام. وكتب تحذيرا إلى أبيه ولكن الأب لم يصدق ولم يرتب في إخوته. وصلت ثم دخلت إلى البدر. فلما رأي قال لي: "هل قتل الإمام؟" قلت له: "كلا. لكنه محاصر". قال لي: "إذا، سأعلن الإمامة الآن". فأجبت بأنه ليس من المستحسن أن تعلن الإمامة، بل الأفضل بنا أن ننقل إلى حجة كما انتقل أبوك حينما قتل أبوه ومن هناك نرتب الأمور. وكان كذلك. انتقلنا إلى حجة بعد أن وكل الأمر إلى بعض الأشخاص في الحديدة. وصلنا إلى حجة نحن والبدر ومن هناك فكرنا بالاتصال بالبلاد العربية. فقلت له: "علينا أن نبارد بالاتصال بالملكة العربية السعودية ومصر وكان بينهما وئام. ويجب أن يتدخل لحسم الخلاف". قال: "وهو كذلك". وهكذا سافرت وفي نيتي إن صلحت الأمور رجعنا وإلا كنا في الخارج. تذلت الأمور وكان معي السيد أحمد الشامي، أخذته معي وذهبنا إلى حرض ومنها إلى جيزان. وهناك كانت طائرة تنتظرنا من قبل الملك سعود، لأنهم سمعوا بالأحداث في اليمن، واليمن تهم السعودية لدرجة كبيرة. كما أن لمصر علاقة بالبدر وبالأحرار أيضا. أبرقنا إلى عبد الناصر، فأرسل حسين الشافعي مع وفد والتقينا بالرياض. وبينما كنا نتداول الأمر قلت للملك سعود قبل أن يصل الوفد المصري، الإمام أحمد محاصر في قصره ولسان حاله يقول:

فإن كنت مأكولا فكن خير أكل وإلا فأدركني ولما أمزق

فهو يستتجد بك في هذه اللحظة. قال سعود: سأجهز عشرة آلاف جندي وأتدبر الأمر. ونحن في هذه الحالة أرتاح الملك سعود لمشاعري نحو الإمام ، وكنت أنا مدينا للإمام ولا أريد أن تزداد الأمور سوء. فإذا ببرقية تصل تتحدث عن خروج الإمام أحمد من الحصار، وقيل لي إن الملك سعود يريد أن يكلمني بنفسه. اتصلوا بي وقالوا لي: الملك سعود يريد أن يكلمك. كلمني وقال لي: خرج أخي الإمام أحمد وأنتصر على أعدائه وقد قتل فلان ومسح عبد الله وخرج راكبا على جواده وسيفه بيده.

س - كيف حدثت القصة؟

ج - ظل الإمام في تلك الأثناء يراوغ ويبعث بأشخاص إلى أخيه عبد الله وإلى الحاميات العسكرية المحيطة بتعز، وسلطها بإطلاق المدافع على مراكز عبد الله من الجبال، فبدأت عملية الرد على الحركة. وبمجرد أن ابتدأت العملية أطلق الرصاص من قصره على المركز الذي فيه أخوه. وإذا بالأمور تتفاقم. فثار الناس على الموجودين وانتهت القصة. في تلك الأثناء كنت أنا والسيد أحمد الشامي في الرياض. فما هو المصير؟ أنرجع إلى مصر ولكن كيف؟ فقد كانت المخططات تدور في رؤوسنا تأمل أن ينتهي الذين في تعز من الإمام أحمد مع سيف الإسلام عبد الله، والبدر مع الأحرار فتقوم حكومة حرة تتعاون مع البلاد العربية، مصر وسوريا والعراق. فمشينا في هذا الخط والتقينا بحسين الشافعي عند ما قدم من مصر. وأخذنا نتخيل كيف سنرافق الأبطال، وكيف سنعانقهم ونندمج معهم، وكيف تكون القبلات للفاتحين الذين سيخرجون العالم العربي من الظلمات، لمنقذي فلسطين، لمحرري العالم الإسلامي. ونحن بهذا الحديث، اقترحت أن نبادر بالسفر إلى تعز لأن الإمام أحمد سيخرج بنفس جريحة وسيقتل بلا حساب. فعلينا أن نتدارك الأمور وأن يذهب وفد من السعودية إلى جانب الوفد الموجود من مصر ونذهب إلى تعز ونظهر أننا نهني الإمام بالانتصار. ولكن علمنا بأن الإيراني في السجن وكان قد رجع بالصدفة من ساحة القتل. وإذا بي وبحسين الشافعي والأمير فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ومحمد بن سعود ننزل في قصر الضيافة. وصعدت مع السيد أحمد الشامي. وقبل أن أصافح الإمام أحمد ذكرته بأبيات الزبيرى:

ندأ إلى آفاق عرشك يرمق
هذه السماء ثبوا إليها وارتقوا
ملكا وآمال الورى قد تخلق

العرش عرشك لا سواك ولن ترى
وإذا افتري قوم به قلنا لهم
أنت الذي خلقتك آمال الورى

إلى أن يقول له:

صنعتة مجدا في يديك يحقق
شخصا سواك لعرشها يتسلق
وغدا يصب لها النعيم ويغدق
ولدا سواه تضيق منه وتزهق
شعبا على خلق المحال يعلق

ربتك أمتك التي ترجو بما
أفهل تراها بعد هذا ترتضي
أم هل ترى أما وقد كبر ابنها
تأبي بنوية وتذهب تدعي
هذا لعمركم المحال ولن ترى

فقال: "شكر الله سعيك. شكر الله سعيك. دعني أقدر سماحتكم. قلت له:

طر حيث شئت بنا فإننا معشر سنطير إثرك في العلي ونخلق

قال: "نعم طرت. كنت تريد تمتشع" وكلمة "تمتشع" تعني تريد أن تتجو بنفسك.

في الحقيقة كان أذكى حاكم عربي. وله ذوق أدبي ممتاز. ولهذا لم يثق بعبد
الناصر أبدا. ولم يقبل أن ينزل عند مروره بقناة السويس عائدا من روما سنة
١٩٥٩م. حينما خرج عبد الناصر إلى بور سعيد يريد منه أن ينزل إلى مصر
للزيارة، فلم يقبل، وسلم عليه من مقعده. ولكن عندما دخل أمين الحسيني وغيره قام
لهم.

بعد هذا (وصول الوفدين السعودي والمصري إلى تعز) رتبنا كيفية استقبال
الضيوف حسين الشافعي والآخرين. فأمر أن يصعدوا إليه. وصعدوا فتهاللت
أساريه لمقدمهم، وأخذ يحدثهم عما صنع عبد الله وماذا صنع هؤلاء وما يريدون.
تمت المقابلة وكان ما يزال يروى لهم ويقول "أنت يا شافعي صليت في القاهرة وأنا
أصلي بعدك، أنت إمامي."

جلسنا لمقابلة ثانية في خطبة يوم الجمعة. أما في اليوم الثاني فكان متهيبا أمام
الذين جاءوا من مصر. فدفعني بأن أخطب وأصلي بالناس. فخطبنا ولفتنا نظره

للغفر، وبعد الصلاة قال: "والله كأن الإسلام كان يتكلم من فم هذا الأستاذ وإن قلبي رق" وخرج ليقتل في ذلك اليوم ثمانية أشخاص. مجموع من قتلهم سبعة عشر شخصا، ومن جملتهم أخويه عبد الله والعباس مع أنه لم يكن لنا رغبة في سفك الدماء. وكنا نحاول أن نصرفه على أن يكتفي بالاعتقال والسجن. كان عبد الله في هيئة الأمم المتحدة وتولى وزارة الخارجية.

وهكذا حدثت ثورة بلهاء. طالما حدثت ثورة في سوريا فيجب أن تحدث في اليمن ثورة كذلك. وكما قيل "المطر في موسكو والمظلة في روما".

بعد هذا اللقاء والمقابلة قرروا أن ينصحوا بالهدوء وبتغيير الأوضاع وتطويرها وتحسين الأحوال، وأن استمرار الحال على هذا النحو مستحيل، فرحب وسهل واصطفاني في تلك الأيام كثيرا. فرحبوا بهذه الفكرة.

وبمجرد ذهاب الوفد إلى الحديدة ذهبت أنا والبدر إلى السعودية ثم ذهبنا إلى مصر لمقابلة عبد الناصر. زرنا عبد الناصر على أمل أن تثبت كل من مصر والسعودية وجودهما في اليمن ويشدا أزر البدر يرسلوا الخبراء. اتفقنا نحن والإمام، وإذا به يوحى للبدر أن لا يقبل مصري. والبعثة التي كانت موجودة في اليمن يجب أن تعود إلى مصر. تفادينا ذلك بجهد عظيم وقلنا لا يمكن أن نرفض البعثة لأن في ذلك إساءة لمصر التي أظهرت التضامن والتأييد. كان يريد أن يظهر أن تلك الحركة ليست من الشعب وإنما هي مدفوعة من جهات أجنبية. ولم نرجع من مصر إلا وقد كان الإمام منقلبا تماما.

س — كان البدر بسيطا أليس كذلك؟

ج — كلا. كان ذكيا إنما بطيء الحركة.

وقبل عودتنا من مصر ألقيت حديثا من صوت العرب عن زيارتي لمصر. ثم رجعت إلى اليمن فوجدت الإمام منقلبا انقلابا شديدا وبدا كأن في نفس البدر شيء. كانوا هم أكثر اقترابا من بعضهم البعض. وكنا نجد التجاوب أينما ذهبنا، عند السعوديين وعند المصريين. فكأنه أوحى لأبيه بشيء. فقال: "يا أستاذ، نريد أن

نعرف ما هي الرجعية؟" قلت له: "ما هو الداعي لهذا السؤال." قال: "في خطبتك التي ألقيتها من صوت العرب، إنهم حرروا مصر من الرجعية." فقال أحد الجلساء: "الرجعية هم المتمسكون بدينهم وبلغتهم. هؤلاء رجعيون." فقال: "هكذا يا أستاذ نعمان، أعطاك الله بيانا لتدافع عنا؟" قلت له: "استأذنكم أن أقرب منكم." — لأنني كنت في آخر المكان — فقال: "تفضل." — كانوا يجلسون على الأرض في ديوان وكل في زاوية لا يسمع الصوت إلا بمكبر صوت — بعد أن استأذنت اقتربت منه وبقينا نأخذ ونرد حتى لانت عريكته، وقلت له: "كلمة الرجعية اصطلاحوا عليها في العصر الحديث ولها معنى ليس كما قالوا إنها تعنى الخروج من الإسلام، بل معناها الذي يجمد على وضع معين يكون غير صالح يقولون إنه الرجعية. أما نحن والحمد لله الآن عندنا المعارف والوزارات. ثم قلت له إنكم الآن تتفقون على المعارف ٣ مائة ألف ريال كل سنة. لكن هذه المدارس ماذا تخرج في كل سنة؟ قال: "والله صدقت، الآن الأستاذ يكون مستشارا للمعارف في اليمن كلها. يا قاضي محمد العمري. اكتبوا أمرا بأن الأستاذ نعمان مستشار لعموم معارف اليمن ويعمل وأنا أؤيده بقلبي وبقلمي وبكل ما عندي. استلمت مرسوما طويلا عريضا بختم من الإمام وقلت: "الحمد لله خرجنا من الجلسة بأمر".

أخيرا جاءت إحدى الجلسات فاقترحنا تشكيل وزارة وأن يكون البدر رئيسا للوزراء، وتكون أنت المرجع" قال: "ألا يكفيكم الفتنة الأولى تريدون أن تجددوا الفتنة أنت والإرياني؟" قلت له: "أية فتنة". عندئذ استدعيت البدر وواحد من أصهاره وقلت: "أنت قاتلت من أجل أن تعيد العرش لإخوتك وكنا نحن في السجن. أردنا أن نرد لك الجميل بأن نطالب بولاية العهد لأبنك. فوقف اخوتك هذا الموقف بدلا من أن يقدروا الجميل لك كما قدرناه نحن". قال: "والله صدقت والله أنني كنت محاصر والرصاص يطلق على بيتي وأن أخي عبد الله بالغرفة عندي وأنا أنصحه بعدم الخروج لئلا يصيبه الرصاص. صنعت له كل واجب. أما ابني فلا أفلته. قلت له: "نحن لم نعمل أي شيء". إلا أننا وفاء بما قدمته لنا أردنا أن نفعل ذلك. والآن إذا أردت تأجيل هذا الأمر فلا مانع من ذلك." توقفنا وبدأ حسد المقربين للإمام والذين أصبحنا أقرب منهم يتسربون إلى الإمام ليلا عن طريق النساء وغير ذلك ليرجعنا

للتعليم إلى حجة . ففي فترة من الفترات ، ونحن في جلسة دخلت لأصافحه قال :
" لا تصافحني أبداً". سألته: "لماذا؟" قال: "طلبت منك كلمة تكتبها للإذاعة ضد
الإنكليز خدمة للإسلام فما سمحت نفسك أن تكتب هذا الكلمة". قلت له: " افتروا
علي افتراء عندك. من الذي أبلغني ولم أعمل. ولكن ها هو القاضي محمد العمري
والقاضي محمد الشامي، طلعت إليهم يوم الجمعة بكلمة للإذاعة حول هذا الموضوع
الذي تطلبه دون أن يبلغني أي طلب. وطلبت منهما أن يرسلوها إليكم". فقال
القاضي العمري: "نعم أنا أرسلتها إليكم". فقال: "يمكن أني لم أقرأها إلى الآن".
حاول أن يخلق من هذا سببا. فات هذا السبب. فاقترحت عليه: بما أن الاستعمار
الآن حول اليمن ونحن صامتون، يجب أن يشكل وفد وأن نسافر إلى الحجاز،
وبمناسبة مجيء عبد الناصر وسيلتقي مع الملك سعود. فلو تقترحون سفر البدر
وفلان وفلان وإذا عندكم ثقة بي فأكون مرشحا نفسي سكرتيرا للوفد. أرسلت
الرسالة فصادفت هوى في النفس وإذا به يستدعي العمري والشامي وقال لهما :
"ما رأيكما بعمل كذا وكذا وبالسفر إلى الحج ونطلب الولد البدر من صنعاء
والنعمان يكون معكم؟". فقالا: "وهو كذلك". وكنت قد طويت النية على الخروج
نهائيا من الحج إلى مصر. وكان الزبييري يلح علي من هناك بالكتابة. وبعد اللقاء
مع عبد الناصر عند ما زرت مصر مع البدر، جذبني هذا اللقاء إليه جذبا شديدا،
لأنني التقيت به على انفراد بدون البدر. ففتحت شهيتي لأكون مع أولئك القادة،
أمني نفسي بأني سأصبح بمساعدتهم منقذاً لليمن عن طريقهم. سنلحقها بمصر
وتصبح جزاء من مصر.

استجاب الإمام طلبنا وسافرنا إلى الحجاز عند سعود. ثم أتمنا مناسك الحج
وأنا أرتب الأمر مع عبد الوهاب عزام، سفير مصر في السعودية، وهو يرتب لي
الأمر لأنه كان يحقد في نفسه على الإمام الذي رفض أن يقابله عند ما زار اليمن.
فقال لي: "خير ما أعمله أن أيسر لك السفر". ولما كنت مع البدر في سهرة في
القصر قلت له: "جاء حجاج من الحريم من اليمن من أقاربنا، سأخرج معهم لأسهر
عندهم . فخرجت إلى السفارة المصرية ومنها إلى المطار . وتوكلت على الله ،
وسافرت إلى القاهرة بمفردي .

س — في أي سنة ؟

ج — في أغسطس سنة ١٩٥٥ . افتقدوني في الحجاز . أبرقت لأبني محمد وكان في تعز . وقد تفاهمت معه إذا قررت السفر سأقول لكم نحن بعد مناسك الحج سنسافر إلى المدينة المنورة في تاريخ كذا، فيفهم ماذا أعني . وهكذا سافرنا إلى مصر العزيزة فاستقبلونا بالترحاب . وكان الحديث من صوت العرب، من أرض الأحرار، من الأرض التي أنجبت جمال عبد الناصر . عند ما بلغ الخبر إلى الإمام أحمد كان جهاز الراديو بين يديه فضرب به الجدار حتى حطمه . وأخذ يتساءل : "وفيت معه وقتلت إخواني وفعلت كذا وكذا حتى يصبح أخيرا ضدي بهذا الشكل؟"

(حصل انقطاع في الحديث في نصف الوجه الثاني من الشريط.)

... أعدنا إصدار "صوت اليمن" كما كنا قد فعلنا قبل ١٩٤٨ في عدن . أعدنا أسمها من جديد ويوضع فيها اسمي الزبيري ونعمان، رئيس تحريرها ومدير سياستها، الاثنان معا لنحيي في نفوس اليمنيين الذكرى . مما سبب ضجة كبيرة في مصر . وهدد الإمام أحمد بأنه سيلتحق بحلف بغداد . وإذا بهم يقولون لنا توقفوا، لا داعي لصوت العرب ولا لصوت اليمن . تفاهم الرئيس عبد الناصر مع الإمام أحمد والملك سعود . فأدركنا أننا ملعونين في الدنيا والآخرة، وهذا بسبب النفاق . ولكن هذا لم يجعلنا نسيء الظن، بل اعتقدنا أنها سياسة حكيمة .

س — هل واصلتم مقابلة عبد الناصر؟

ج — لم يعد يقابلنا ولم نر له وجهها . لقد ذهب البريق الذي كان لنا ونحن في السلطة وأصبحنا من أبناء الشعب . وأنتم تعرفون قيمة الشعوب عند الحكام . بقينا نحن والزبيري . انزويينا لأنفسنا وتركنا كل شيء . وساد الصمت . ماذا نعمل؟ لقد دخلنا في مقامرة وصرنا نشعر بحزن أمام الشامتين وأمام الأعداء ولسان حالهم يردد: "ماذا سيعملون؟"، ماذا عمل لهم عبد الناصر؟ لو بقوا في بلادهم لكان خيرا لهم". فأردنا أن نثبت أننا أقوياء وأن مصر أرادت أن تطبق سياسة بعيدة بهذا

العمل. وهكذا صرنا نخلق المبررات والأعذار لنحفظ ماء وجوهنا من الهزيمة البشعة والغلطة المنكرة. وهكذا تواصلت الأمور ونحن نصدر الكتيبات ونحاول الاحتجاج ولكن لم يحدث شيء إلى أن جاءت الوحدة العربية. تحققت الوحدة العربية بين سوريا ومصر . رقصنا لها مع الراقصين ، وقلنا جاء اليوم الموعود. الذي يجب على اليمن أن تلتقي مع العرب وتلتحق بهم. وكانت قصة الإمام كقصة الحاخام. يقال إنه: "كان على أيام الدولة العثمانية في حمص حاخام يضطهد اليهود اضطهادا شديدا. فقرر اليهود لكي يتخلصوا من نفوذه الذهاب إلى الوالي التركي ليعلنوا إسلامهم ليرفع عنهم ولاية الحاخام اليهودي . فعلم الحاخام بسفرهم فسبقهم. وصل إلى الوالي وأسلم على يده. فأصبح شيخا وعاد إلى بلاده. وصل اليهود ليسلموا، فظن الوالي إن ذلك بتأثير الحاخام. ففرح بهم. وحينما رجعوا وجدوا الحاخام في المئذنة يؤذن للصلاة: الله أكبر الله أكبر " .

ونحن كنا ندعو الإمام أحمد للعروبة فإذا به ينظم لاتحاد الدول العربية مع الجمهورية العربية المتحدة . وأصبح ثالث الثلاثة ، أبطال العرب التحرريين ، عبد الناصر وشكري القوتلي والإمام أحمد. وصرنا نحن خارج اللعبة. أين مقر وزراء الاتحاد؟ في القاهرة. لأن الإمكانات كثيرة. فكان من نصيب عبد الناصر ٦ وزراء يتحمل نفقاتهم ، ٤٠٠ جنية شهريا لكل وزير ، وسيارة ، وسائق وسكن . بعضهم زملاء مثل أحمد الشامي من وزراء الاتحاد . وكنت أنا والزبيرى نجري لنلحق الأتوبيس وهو يمر بالسيارة ويضرب لنا سلام . ويمزح قائلا : عيشوا مع الشعب يا أبطال. تحملنا هذا كله وصبرنا. أتى الوقت الذى اختلفوا فيه مع الإمام حينما رفض أن ينزل إلى مصر. فاحتدمت المعركة بينه وبين عبد الناصر. ونظم قصيدة شعرية يهاجم فيها التأميم والاشتراكية، ويندد بهما ويوجه الشتائم من الإذاعة إلى الإدارة. وكان الرد من عبد الناصر إن ألغى الاتحاد. فلما ألغى الاتحاد تحركت في نفوسنا الأشواق لنستغل الموقف . بما أن عبد الناصر غاضب هيا بنا ندخل المعركة . فاتصلنا بهم نريد أن نقوم بنشاط نعيد به صحيفة صوت اليمن والحديث من صوت العرب. لم يستجيبوا لنا أنا والزبيرى. لماذا؟ لأننا نحمل أفكارا صحيحة ومتعلقين باليمن ونرى تحريرها بالفعل وليس بمجرد الشعار. وإذا بنا نفاجأ

بالدكتور عبد الرحمن البيضاني يذيع من صوت العرب. استغرب اليمنيون. وتساءلوا أين نعمان والزبيري اللذين عاشا للحرية والأحرار؟ لماذا لم يتكلما؟ كانت مجلة روز اليوسف تنشر كل ما يذيعه البيضاني من هجوم سافر على الإمام وعلى أسرة الإمام. ونحن لا نقبل ذلك الأسلوب، أثار نكرة التفرقة بين الهاشمية والقحطانية والزيدية والشافعية، وأخذوا يعملون عملا دون أن نشترك فيه. فبقينا على ابتعاد. وإذا بنا نهاجم من صوت العرب. الأحرار القدامى الذين يدعون للعقل والحكمة ولا يريدون حماس الشباب ولا جنون الشباب. فصرنا وإذا بنا أيضا نفاجأ بثورة ١٩٦٢. كل ما كان للأحرار من مشاعر ومن مكتسبات، تبناها الدكتور عبد الرحمن البيضاني. وكما كان عبد الناصر يقول: البعثيون سرقوا شرف الكفاح وسرقوا شرف النضال العربي فإذا بعبد الرحمن البيضاني يخطف في ليلة كفاح الأحرار من عهد الإمام يحيى وتضحياتهم. وقامت الثورة وإذا بالدكتور عبد الرحمن البيضاني صدرها وأمها وأبوها. ونحن باقون في القاهرة. بقينا نرقب الأحداث. بعد خمسة عشر يوما أتصل بي حسين الشافعي وكان بيننا وبينه صداقة من أيام سنة ١٩٥٥ وهو ظل على علاقته بنا كصديق. وكنا نتردد إليه حينما حدثت تلك الأعمال حينما جرت تلك الأعمال ضدنا في القاهرة، استدعانا وسأل: "لماذا لم تسافر إلى اليمن؟" قلت له: "لماذا أسافر؟" قال: "كل ما كنتم تهدفون إليه تحقق. انتهت الإمامة وانتهى الإمام. قلت له: "البركة في الحاصل." قال: "لا. أريد أن أعرف لماذا؟" فقلت له: "من البداية لم اشترك في هذه العملية، فلا أريد أن آخذ كفاح الآخرين."

وحدثني عن أن الأمور في اليمن كانت قد بدأت تسوء في أول الثورة. كانت مواجهة البيضاني للناس مفاجئة لهم. كانت القبائل قد ألقت بالإمام، فمن أين جاءهم هذا البيضاني؟

ومن خلال الأخذ والرد قلت لحسين الشافعي: "لا أعرف كيف تصرف البيضاني. فهذا لم يكن تصرفا يمنيا، لا أدري كيف كان ذلك العمل؟" قال: "وأنا أيضا لا أدري بقضية اليمن، المتخصص فيها هو السيد أنور السادات." وأنور السادات له علاقة بالبيضاني علاقة صهارة. والبيضاني مولود في مصر من أم مصرية والأب غير معروف. ثم قال لي: "دعني أتصل بأنور السادات وأبحث

الأمور معه ثم نلتقي مرة أخرى " . قلت له : " وهو كذلك " . وبعد أن أتصل بأنور السادات دعاني إليه وقال : " هل تعرف أنور السادات ؟ " قلت له : " كلا . لا توجد معرفة شخصية إنما أراه في الحفلات فقط " . قال : " لا بد أن تتعرف عليه لأن قضية اليمن بيده وهو المسؤول عنها " . قلت له : " وكيف ذلك " . قال : " نحن حددنا الموعد ، في الساعة العاشرة من يوم الجمعة من شهر أكتوبر سنة ١٩٦٢ . تذهب إلى منزله " . وهكذا ذهبنا وتصافحنا وأخذنا نتبادل الأحاديث من هنا وهناك ، وإذا به يسرد لنا قصة الثورة اليمنية التي قاموا بها ولمن سردها ؟ للثوار اليمنيين . قلنا : " على كل حال كيف ما كانت الوسائل فعلينا أن نصحح من الآن فصاعدا . وعلينا أن نتعاون في العمل للتصحيح " . قال : " وهو كذلك . عليك أن تقابل الرئيس وترتب نفسك لتسافر معنا إلى اليمن " . كانت مفاجأة عنيفة بالنسبة لي . في الليل ذهبنا وقابلنا الرئيس جمال عبد الناصر الساعة الثانية عشرة ، منتصف الليل . فقلت للرئيس عبدالناصر : " هل تذكر أين التقينا ؟ " قال : " نعم ، أذكر ، على أيام البدر سنة ١٩٥٥ " . ثم قال : " نحن نعمل لخدمة الشعب اليمني . ولا بد من نتائج حسنة ، فذهبوا مع إخوانكم ونحن سنقدم لكم كل مساعدة . كنا نجهز الطائرات التي لم تزل في الصناديق ونرسلها في طائرات كبيرة ، ولم نعرف لماذا إخواننا هناك كانوا خائفين . كل ساعة يقولون نحن في حاجة إلى قوة ٥٠٪ . قلت له : " ربما لم يتخذوا بعد التدابير الكافية للعملية " . عند ما كانوا يبحثون معنا القيام بأية حركة كنا نقول إن اليمن غير مستعدة للقيام بأية حركة . فكل حركة ستقوم في اليمن معناها أنها ستؤدي إلى مزيد من الصعوبات ومضاعفة المتاعب على شعب اليمن . ولم يكن في الحسبان أن مصر ستقف تلك الوقفة الجبارة بجانب اليمن إلى هذا المستوى . لأننا كنا نتساءل عما إذا كانت أية دولة تستطيع أن تساعد اليمن إذا قامت بأية حركة . كنا نعتقد أن من الممكن أن تقدم لها الدعم المعنوي بكلمة في الإذاعة . أما أن تقوم باحتضان الثورة فهذا كان مستبعدا في نظرنا . لأنني كانت عندي نظرية استتجتها من كلام جمال عبد الناصر جعلتني على يقين بأن مصر لا يمكن أن تتدخل في شؤون اليمن . كنت أظن ذلك مستحيلا . أستخلصت ذلك مما نشره هيكمل من أن عبد الكريم قاسم عند ما كان في الأردن هو وعبد السلام عارف ، كانا يرغبان في أن يقوموا

بانقلاب في العراق، فطلبنا من عبد الناصر المعونة. فكان رد عبد الناصر بالحرف الواحد: "أكتم سرك حتى عنا، لا تطلب معونة أحد حتى معونتنا. أن كنت بنفسك فأنت ثائر، وأن استعنت بغيرك فأنت متآمر. ونحن مع كل ثائر حر بكل ما نملك وبكل ما نستطيع". هذا ما جعلني استبعد وأرفض أن تعيننا مصر، مع أنهم كانوا يقولون لنا لو قمتم بحركة فإن مصر ستمدكم بالمال والسلاح. ثم أن عبد الناصر يقول كلمة أخرى: "أية ثورة لا يوجد من أبنائها جيش يحميها، لا يمكن أن يحميها أي جيش من الخارج مهما بلغت قوته". ورفض أن يتفق مع العراقيين عند ما قاموا بثورتهم واتفقوا على أن تأتي الجيوش المصرية لتساعد الجيش العراقي. ولكن ما كل ما يقال يعمل به حرفيا.

في تلك الليلة عند ما جئنا لتوديعه قال: "الآن يقولون إننا مستعمرون". قلنا: "ينبغي أن لا تكون عندكم حساسية زائدة. ولكن ما دمتم تعملون من أجل خدمة العروبة ومن أجل كرامة الإنسان اليمني الذي أكرمه الله بها، فينبغي أن لا تعطوا أي اهتمام لذلك".

خرجنا بعد الوداع وكان معنا كمال رفعت (أحد الضباط الأحرار المصريين المقربين من عبد الناصر، وأحد المسئولين المصريين آنذاك). وصلنا إلى اليمن. ذهب أنور السادات وكمال رفعت إلى القيادة العربية (كانت هذه تسمية قيادة القوات المصرية في اليمن آنذاك)، بينما نحن دخلنا إلى القصر الجمهوري مع السلال والضباط (وهذا يعني أن استقبالا كبيرا قد رتب للواصلين في المطار، وسار الموكب وعلى رأسه الرئيس عبدالله السلال وقائد القوات المصرية في اليمن). ولكن النفوس معبأة ضدنا (أي ضد زعماء حركة الأحرار، وبالأخص نعمان) من اليمنيين أنفسهم من قبل الثورة، ومنهم الضباط الأحرار، بأننا رجعيون، وعملاء للإنجليز. كنت ألمس بأن هناك جوا غير عادي. ولكن عندما علم الزملاء والأصدقاء بوصولي أقبلوا من كل مكان. الذين جاءوا من عدن، والذين جاءوا من تعز. كل هذا أحدث رد فعل عند السلال والبيضاني. فبقينا نحاول ونعتقد أننا سنعالج الموقف. ولكن أين مكتب الحكومة؟ بل أين الحكومة؟ لا توجد حكومة. كل

ما يوجد هو الجيش المصري والسلال والضباط يقتلون ويخربون وينهبون. فأين وجه الثورة؟ لا بد على الأقل من وجود مكتب يجتمع فيه ذوو الرأي والفكر ليضعوا خطة للإذاعة، خطة لاستقبال الناس. عند ما طالبت بذلك قال السلال: "أنا موافق على هذا." وحالا خصصنا جناحا في القصر الجمهوري، واستدعينا مجموعة. استدعينا مثلا عبد الرحمن الإرياني. فقررنا إبقاء العسكريين على حالهم ونحن نعمل ما صممنا على عمله. بدأ الناس يتوافدون إلينا من أجل حل مشاكلهم. صدر إعلان من البيضاوي يمنع دخول أي فرد إلى القصر الجمهوري إلا بتعليمات منه. وإذا بالناس يصيحون من الخارج: "يا أستاذ، يا أستاذ، لم يسمح لنا أحد بالدخول. سألت لماذا هذا المنع؟ قالوا: يخشى من وضع قنابل في القصر قد يضعها المندسون. عندئذ علمنا بأن الأمر غير سليم. فماذا نعمل؟ عقدوا المجالس وقالوا إن على نعمان أن يخرج ممثلا لليمن في الجامعة العربية. البعض تساءل إذا كنت موافقا! كان الرد: "إذا لم يوافق سينفذ الأمر بالقوة". أما عبد الرحمن الإرياني فقال: "أنا أسأل نعمان." وجاء الإرياني وقال لي: "ما رأيك؟" قلت له: "هل أنت موافق على ذلك؟" لم يجبني حتى لا يقول إن الجو مكهرب ومتوتر. عندئذ قلت له: "على كل حال لا مانع عندي." ولما اجتمعنا قلت لهم: "من الأفضل أن نجتمع بالرئيس عبد الناصر ونخبره بالأمر على حقيقته." قلت ذلك ولا يزال الغباء مسيطرا على الجو. قالوا: "منسوب الذكاء عند العربي لم يصل إلى مستوى الانتفاع من تجارب غيره، حتى ولا بتجارب نفسه".

وهذا ما جدد الأمل لدي بأن للخروج فائدة. عند ذلك وجدت من الأفضل الموافقة. فقلت للقاضي عبد الرحمن الإرياني: "ما رأيك بأن تذهب معنا إلى السعودية، نطلب من الملك سعود الاعتراف بالجمهورية وتحسين العلاقات ونرفع عنكم الجيش المصري لأنه لن يعود يوجد أي مبرر لوجوده". قال: "إنها فكرة." ذهب الإرياني وطرح الفكرة علنا في المجلس. وإذا بالبيضاوي يتخذ قرارا بخروجي أنا والإرياني ومحمد علي عثمان والمروني وأحمد المعلمي، وإبراهيم الحضرائي، ومحمد الفسيل (جميعهم من الأحرار الذين شاركوا في ١٩٤٨)، وحمود الجائفي (أحد الضباط الكبار وكان المرشح الأول لتولي منصب أول رئيس للجمهورية

ولكنه لم يقبل)، ومغادرتنا اليمن جميعا حالا إلى القاهرة. وأبرقوا بهذا القرار إلى القاهرة قائلين إن هؤلاء يريدون إرجاع البحر. ولما عاد إلي عبد الرحمن الإيراني قلت له: "لم يتم مشروع أمس". قال: "لا تخف. أنا الآن معك". أتسع البرنامج وأرسلونا بالطائرة إلى القاهرة يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٦٢.

س — ما هي المدة التي قضيتها في اليمن؟

ج — أربعة عشر يوما. وصلنا يوم ١٣ أكتوبر ١٩٦٢ وبقينا إلى يوم ٢٧ من الشهر نفسه. ثم رجعنا إلى القاهرة حيث بقينا هناك وهم يعملون ما يشاءون. بعد فترة رجع الإيراني وبعض الإخوان، أما أنا فبقيت مندوبا في الجامعة العربية، أو "منذوق" في الجامعة العربية كما يقولون في اليمن. بقينا هناك ما دام الأولاد يدرسون إلى سنة ١٩٦٤. ساءت الأمور في اليمن. الجيش المصري ظل كما هو لم يتقدم. والناس يتطلعون إلى حل يعيد الجميع إلى الوطن. عندما عدت إلى القاهرة مع الإيراني أرسلت مذكرة للرئيس عبد الناصر.

ينقسم اليمن إلى قسمين. شافعية وزيدية. الزيدية هؤلاء هم أتباع الإمام وشيعته. الجنود منهم، إذ لم يكن يجند من الشافعية، وإنما يجندون دائما من القبائل الموالية لهم العساكر والعمال (مسئولي المناطق) والموظفين، وحكام المناطق، أي قضاة الشرع على اعتبار أن المذهب الزيدي مذهب الإمام وهو المذهب الذي يعتقدون أنه الصحيح وبالتالي ينبغي أن يسود في البلاد ويحكم بقواعده وقوانينه. لم يكن هؤلاء الزيود يشتغلون كثيرا بفلاحة الأرض ولا بالتجارة، بل كانوا تحت السلاح يلبون نداء الإمام للجهاد في سبيل الله. ويطلق عليهم المجاهدين في سبيل الله. حتى إنهم ينصبون أعلاما كبيرة يكتب عليها اسم الإمام "أمير المؤمنين نصره الله"، والجهاد تحت ظل السيوف. وكان شعارهم "جعل رزقي تحت ظل رمحي"، باعتبار إنهم يغزون البلاد الكافرة فتصبح بلاد الكفار غنيمة لهم. وكل من كان غير موال للإمام لا يعتبر في نظرهم مسلما كاملا إذا لم يكن مرتبطا بعقيدة الإمام وولائه ومذهبه. حتى إنهم وضعوا قاعدة يقولون فيها: "من أنكر على الإمام بقلبه فهو فاسق، ومن أنكر عليه بلسانه فهو كافر، ومن أنكر عليه بيده فهو محارب،

وفي كل الأحوال فهو عاص يستحق العقوبة". حرموا حتى الإنكار بالقلب مع أن الله سبحانه وتعالى لا يحاسب عليه. يقول النبي: "إن الله لا يحاسب أمة عما حدثت به نفسها". حتى أن الناس يساقون أحيانا إلى السجون ولا تعرف الأسباب التي أدت إلى إدخالهم السجون. ولا يمكن أن يسأل الإمام لأنه فوق الشبهات وخليفة الله في الأرض. وخليفة الله لا بد أن يكون متصفا بصفات الأصل. والله يقول لا يسأل عما يفعل. وكذلك الخليفة لا يسأل عما يفعل. وتعتبر قلة أدب أو خروجا عن المألوف أن تسأل الإمام لما ذا تصنع كذا. إذا قلت لماذا؟ يقول لك لأن الإمام ينظر بنور الله ولا يمكن أن يأخذ أحدا بدون سبب. وهكذا قد يتحدث الإمام بنفسه ويجيب عن التساؤلات التي يشعر أن الناس يتساءلون بها عن سبب حبس فلان، فيقول إن فلانا هذا خبيث لا يحبنا. أو هذا فلان نيته غير سليمة، وهكذا. فهؤلاء الشيعة موالون للإمام بهذه الروح. ولكن كيف يمولهم الإمام؟ كيف يعطي المرتبات لهؤلاء المرتزقة والموالين، منهم الجنود يوزعهم على أنحاء اليمن وفي مراكز اليمن؟ فيجعل كل جماعة منهم وكل قبيلة تحت اسم شيخ من مشايخ هذه القبائل عند الحاكم الفلاني في المنطقة الفلانية، يبقون هناك ليتكسبوا. ماذا يصنع الحاكم بهؤلاء القبائل؟ أي فلاح يبلغهم عنه خروج أو سوء أو مطالب للحكومة، أو يكون عليه واجبات، ضرائب جائرة، للحكومة، يرسلون إليه جنديا لينفذ به الحكم. وهذا الجندي يأخذ أجر المسافة التي قطعها إلى بيت الفلاح من الفلاح ويأخذ أيضا أجر المبيت إذا بات عنده ليلة أو ليلتين، فتكون ضريبة على الفلاح ويكون الجندي ضيفا عنده ويسمونها "الممسي". ثم أن الفلاح يطعم هذا الجندي مما لا يستطيع أن يطعم به نفسه. هكذا كانوا يرغمون على الاعتناء بغذاء الجنود. ولكن عند ما ظهرت حركة الأحرار وتقوت بدأت الشكاوى تزداد إلى الإمام وتضج من هذه الأساليب، وتطالب بأن يوجد جيش له مكانة وله رزقه. كذلك أحيانا لم يكن للجيش ثكنات، فكانوا يدخلون بيوت الفلاحين جاعلين منها ثكنات وعلى الفلاحين أن يخدموهم وأن يقدموا لهم كل ما يلزم من الخدمات.

هذه من الأسباب التي أدت إلى الثورة. ضج الناس وقالوا نريد إيقاف التنافذ والخطا، "التنافذ" إرسال الجنود على الفلاحين، يجب أن تنشأ خطوط للاتصالات

ويتصل بالمطلوب لحضوره بدلا من أن يستخدم الجندي ويذهب ثم يقبض الأجور مقابل الذهاب من الفلاحين. هذا من جهة التنافيذ. وهناك "الخطا"، عندما تتذمر القرية، يبعث إليها جيش من هذه القبائل ليحتل القرية ويعيش على حساب أهلها وينهب أثاثها وكل ما فيها حتى تصبح القرية معدمة. ويعتقلون الرهائن ويأخذونهم. فهذه شيعة الإمام وجنوده يعيشون معه على هذه الطريقة.

فلما بدأ الإمام أحمد بعد ضجة الأحرار وبعد أن أخذ الناس يضجون، يحاول أن يغير من هذه الأساليب، دون أن يجعل للقبائل موارد ولا مصانع ولا أعمال يشغلهم بها، عندئذ بدأ السخط ضد الإمام، لا لأنه خرج عن جادة الصواب، بل لأنهم حرموا من الأموال. ووجد للإمام منافسون من إخوته يثيرونهم أيضا، قائلين إن الإمام يستمتع بالأموال ويخص جماعة أخرى بحراسته والعمل معه ويلغيكم أنتم. كانت هذه صورة من الأحداث التي أدت إلى سخط الشيعة على الإمام ومحاولة قتله والخروج عليه والثورة، بسبب حرمانهم لأنهم لا يدرون كيف يعيشون ولا يجدون فرص عمل أخرى لكسب العيش دون حاجة إلى تسليطهم على الرعية.

كنت قد ذكرت لكم أنني رجعت من صنعاء إلى القاهرة وأردت أن أقدم رسالة إلى عبد الناصر. وكما قلت، رأينا أن الأمور لا تحتل، وأن مصر يجب أن تتخذ سياسة غير هذه السياسة التي كانت تتبعها آنذاك في اليمن. وخطر في بالنا أن عبد الناصر لا يعرف شيئا عن هذا. فلما حملونا على الخروج تحت تلك الأسباب التي شرحناها، كانت تثار ضدي بالذات دعاية بأنني أنا الذي أعمل ضد المصريين، وأن الصحف في سوريا نشرت أنباء ضد مصر حينما كان الخلاف محتدما بين سوريا ومصر، وأن هذه الأنباء لا يمكن أن تكون من أحد إلا من نعمان، وأنه هو الذي نشرها. كنت قد مكثت خمسة عشر يوما في صنعاء. ولما رجعت إلى القاهرة كانت هذه الأنباء قد انتشرت، ثم كانت تنتشر أنباء عن سوء التصرفات، وعن تدخل المصريين، و تمس بالبيضان، وتقول إن بينه وبين أنور السادات قرابة أو صهارة، وبالتالي فإن السادات هو الذي أراد أن يجعل منه واجهة. فكان السادات يسمح الجو عند عبد الناصر وقيم الحجب بيني وبين عبد الناصر. لهذا قررت أن أكتب مخلصا

رسالة لعبد الناصر على أمل أن الحقيقة محجوبة عنه. ولكن من أي طريق أبعث بها إليه؟ ثم تمكنت من بعثها عن طريق كمال رفعت الذي كان وزير العمل. وكمال رفعت من الرجال الممتازين وكان له رأي في أسلوب التعامل مع اليمنيين غير رأي أنور السادات والمشير عبد الحكيم عامر. فذهبت إليه وقدمت له رسالة وشرحت له الأوضاع. وكان يشاركني في وجهة نظري. ثم قلت له: أريد أن تقدم هذه الرسالة إلى الرئيس عبد الناصر، وكان تاريخها يوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٢، لأن الثورة قامت في ٢٦ سبتمبر ونحن رجعنا في أواخر أكتوبر من اليمن. وفي ١٤ نوفمبر قدمت الرسالة. وكان القاضي الإرياني قد وجد فرصة للالتقاء بعبد الناصر.

س - ما هو فحوى الرسالة؟

ج - فحوى الرسالة كما أذكر هو: كان في الزمن القديم سليمان بن داود، وكانت في اليمن بلقيس، وكان طير اسمه "الهدهد" ذهب إلى سليمان بن داود يقول له: (أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ بنبأ يقين). وأنا الآن أعتبر نفسي الهدهد في القرن العشرين، وقد جئتكم من سبأ بنبأ يقين، وأحطت بما ربما لم تحط به علما. لم أقل كما قال الهدهد أحطت بما لم تحط به. كنت أكثر من الهدهد تواضعا وجعلت عبد الناصر أكبر من سليمان وقلت له أحطت بما ربما لم تحط به علما. وشرحت له القضية، وقلت له إن الشلة التي تحكم اليوم مع البيضاني أسوأ من الشلة التي كان الإمام أحمد يحكم بها اليمن. وأنا أؤكد لكم أن هناك حقيقة تتصرف بحياتي وتدور معي في هذه الحياة، إنني أتعامل مع الناس ومع الحكومة على أساس مصلحة اليمن. ولولا أن هذا هو مدار تحركي في حياتي ما خرجت على الإمام أحمد الذي أنقذني من الموت وأنا متهم بالخروج عليه وبقتل أبيه، وهو الذي يقول إن البدر عيني اليمنى ونعمان عيني اليسرى. ولكن كانت اليمن وقضيتها أثمن من كسبي الشخصي. وأنت، تتعلق بك أحلام العروبة وآمال العرب، فلا أريد لهذه القداسة أن تصاب بشيء من الشبهات والشكوك فيما يتعلق بقضية اليمن. فإن الأمور تسير على غير ما يقتضيه العدل وتقتضيه المشاعر العربية والكرم العربي والخلق العربي. فأناشدك أن تستدعي من رجال اليمن الإرياني والزبيرى والشيخ محمد

علي عثمان ومجموعة من هؤلاء الرجال لتبحث معهم قضية اليمن حتى لا تذهب الأمور إلى غير ما قصدت أو أريدت. وإني أؤكد لكم أن الأمور إذا سارت على هذا النحو فإن الجمهورية العربية المتحدة ستخسر كرامتها وسمعتها وهيبتها. بهذا التحديد وهذا اللفظ أرسلت الرسالة سنة ١٩٦٢ بعد الثورة بشهر ونصف. وأخذت انتظر الرد. فلم يأتي الرد. ولكن بعد أسبوعين من تقديمها استدعاني أنور السادات، فلما أتيت جلس بوجه عابس، وهو دائما عابس الوجه، ولأن وجهه قطعة من الظلام لا يتبين زيادة الظلام فيه. وفي ما قال نوع من الكلام يوحي بالحق المريد. ومما قال: "لقد دعوتك لأحدد معك موقفا من مسألة اليمن، فسوف لن نشغل فيها إذا كنتم ستخونوننا وتتهموننا. الرسالة التي أرسلتها للرئيس عبد الناصر"، وأعطاني إياها: "ما كنت أحسب أن نعمان بهذه الروح، سوف يعمل لنا أكثر من السوريين". قلت له: "لقد قدمت الرسالة إلى الرئيس عبد الناصر، على أساس إنه المرجع وأنه الأب، فأردت أن أعطيه بحسب إخلاصي، حسبي أني كنت مخلصا، وأنا لم أقدم بيانا لدولة أجنبية ولا رفعت لمخابرات ولا نشرت في الصحف. ولكنني عرضت للمسؤول الأول عن القضية لأنها قضية خطيرة." وأضاف "جاء في الرسالة إن البيضاني صهر أنور السادات ويريد أن يؤثر على الناس بهذه الدعوة. فمن أين لك إنني صهر البيضاني". فقلت له "هذا ما يرويه ويتحدث به للناس ولكن هذا ليس بالمهم. عندما رأينا أنك تسيء الظن بنا، وجدنا أنه من الأفضل أن نعرف الرئيس عبد الناصر باعتباره المرجع الأول والأخير لنا. وأنا الآن لم يعد يهمني شيء من هذا، كل ما يهمني هو أن زوجتي مصابة بالانفصال الشبكي في عيناها والعملية لم تنجح في مصر، فأريد أن أسافر إلى ألمانيا الغربية للعلاج، وأترككم تتصرفون كما تريدون. فتلك نصيحة قدمتها." قال: "على كل حال لم أتوقع أن تشتمنا وأن تحمل علينا؟" قلت له: "هذا ليس فيه شتيمة وليس فيه أي شيء".

كانت هذه هي العقدة التي بدأت بيني وبين المصريين، ومن ذلك الحين ابتعدت عنهم وخرجت إلى ألمانيا الغربية. وكان ذلك في أواخر ديسمبر. قضيت هناك شهر ديسمبر وعدت في فبراير ١٩٦٣ إلى القاهرة على أساس أن اعتزال العمل، فألحوا

على أن أتولى منصب المندوب الدائم في الجامعة العربية، من أجل خدمة القضية. وقالوا إن الأمور تتحسن الآن، والأمور تسير إلى خير، وإن أمريكا اعترفت بالجمهورية.

عند ذلك أصبحت مندوبا دائما في الجامعة العربية وبقيت في هذا العمل لمدة سنة. وكانت الأمور في اليمن تزداد سوءا، والحرب دائمة. وأردنا أن نحل المشكلة من خلال الجامعة. كنا نتحدث إلى الأمين العام للجامعة وإلى السفراء العرب الذين يتعاطفون معنا ويتجاوبون مع سعيينا للحل. ونقول لهم يجب على العرب أن يتدخلوا لحل القضية، بينما كانت مصر لا تريد أن يتدخل أحد من العرب. كان المصريون يعتبرون أن عملي هذا ضدهم، فيثبطون كل مشروع حتى لا تتدخل أية دولة أخرى بشؤون اليمن غير المصريين. ولكن من جهات متعددة دفعنا الكثير من الدول للمحاولة، إلى أن اتخذوا قرارا بضرورة خروج لجنة من الجامعة العربية للاتصال بالسعودية وبالأردن وبالصنعاء. وقد حصل الإجماع، حتى السعوديين الذين كانوا حاضرين في مؤتمر القمة العربي وافقوا على هذا القرار. لم نطلب سوى أن تخرج لجنة للتوفيق. لا نريد أن تخرج لجنة لتدين أية فئة من الفئات، ليس بيننا وبين السعودية خصومات، وإنما نعتبر أنفسنا أخوة وجيران. وكنا نقول للآخرين إن أساس الخلاف هو بين مصر والسعودية، وليس بين اليمن والسعودية. ولم يكن دخول مصر إلى اليمن إلا لكي تتخذ من اليمن خطوة إلى السعودية. لم يكن عملها في اليمن لوجه الله أو لوجه اليمن، أو لتستنقذ اليمن وتحرره، ولكن لتتخذ منه قاعدة للوثوب إلى السعودية. أقنعت هذه الحقائق الكثيرين من مندوبي الجامعة الذين رفعوا إلى حكوماتهم. وهذا أدى إلى اتخاذ القرار بأن تتدخل الجامعة العربية. وقلنا ليست الأمم المتحدة أقرب لنا من الجامعة العربية حتى تأتي الأمم المتحدة لتتولى القضية. وإذا كانت مصر والسعودية تقبلان بتدخل الأمم المتحدة، وباتفاقية إنفكاك بين السعودية ومصر تحتاج إلى بعثة من الأمم المتحدة تصل إلى اليمن وتقيم فيها لمنع الحرب، فلماذا لا تكون الجامعة العربية أقدر منها على ذلك. فقررنا عند ذلك أن يذهب أمين عام الجامعة ورئيس الدورة في تلك الفترة، وكان رئيسها الدكتور ناصر الدين الحاني متجاوبا ومتفاعلا، وكان آنذاك وكيل وزارة الخارجية العراقية ومن

خيرة رجال العرب. اتخذ القرار وخرج الإثنان، الأمين العام ورئيس الدورة إلى الأردن وإلى الرياض وإلى صنعاء. أرادوا أن يقابلوا عبد الناصر ولكن لم يتح لهم ذلك، حتى أن الأمين العام للجامعة العربية آنذاك، عبد الخالق حسونة وهو مصري، أعطى تصريحاً بأن حل المشكلة بيد مصر، إذا أرادت مصر حل المشكلة فالحل بيدها. فلما نشر هذا التصريح أنزعج حسونة باشا لأن ناصر الدين النشاشيبي نشره في جريدة الأخبار. ويبدو أنه تحدث إليه حديثاً خاصاً ولم يكن حديثاً للنشر لكن النشاشيبي نشره مع أنه يدين مصر. عند ذلك غضب ناصر الدين الحاني وأعلن سخطه ورجع إلى بلده وقال كلهم قابلونا إلا مصر رفضت أن تقابلنا. وناصر الدين الحاني هذا هو الرجل الذي اغتاله الثوريون في العراق أخيراً، وقد كان سفيراً هنا في لبنان.

وبعد أن تكونت هذه اللجنة بدأت مصر تشعر بأن الناس بدعوا يفهمون الحقيقة، فحاولت تدارك الأمر. واتخذ عبد الناصر من قضية فلسطين ومؤتمر القمة العربي سنة ١٩٦٤ مبرراً في حين كان يريد أن ينتهي من قضية اليمن. كان يحس أحياناً بالاستتكار العالمي والعربي لهذه العملية في اليمن. وشعر بأن لا بد من أن تحل المشكلة في اليمن. ولكن كيف يمكن أن تحل وهو لم يحقق أغراضه التي دخل اليمن من أجلها، والسعودية لا تزال السعودية. وهذا غير سليم في رأيه. عقدوا مؤتمر القمة. وإذا بالملك سعود يحضر مؤتمر القمة. ولأول مرة، اعتبروا أنها خطوة توفيق بين السعودية ومصر لكي تحل مشكلة اليمن، لأن العرب كانوا متآلمين كثيراً من هدر الطاقات العربية والأموال العربية والدماء العربية التي كانت تهدر في اليمن. ففي حين نعلن للناس بأننا نحرر اليمن، هل نحررها بقتل اليمنيين؟ هذا مستحيل. كان إرهاب عبد الناصر يخيف حكام العرب في كل مكان.

ولما عقد مؤتمر القمة هيأوا وفد اليمن من أشخاص ميولهم مصرية وعلى رأسهم السلال. ومع أنني كنت المندوب الدائم في الجامعة، أرادوا أن يجعلوني عضواً بعيداً وليس عضواً أصيلاً يحضر الجلسات. وإذا بالقدر يتدخل فيمرض وزير الخارجية مصطفى يعقوب. وبلغ الإيراني بأن الأستاذ نعمان يجب أن يكون

إلى جانب السلال في كل جلسة. فحضرت الجلسة المفتوحة والجلسة المغلقة. ففي الجلسة الأولى كان السلال جديداً على المؤتمرات العربية، حتى أن المصريين أنفسهم حينما كان يتكلم يشيرون إلينا أن ننصحه بأن يسكت، فنقول لهم تفضلوا أنتم اسكتوه، فنحن لا يحق لنا أن نسكته. وكان يتكلم إلا أنه لعدم اختلاطه بالعالم العربي كثيراً، كان يستخدم الكلمات العامية اليمنية التي لا تفهم أحياناً. ومن جملتها في أول جلسة كنا أعدنا له خطاباً مكتوباً، فكبر عليه وأحب أن يرتجل الحديث. وبمجرد ما طلب رؤساء الوفود الكلمات، أراد أن يسبق شعوره بالنقص ويثبت أنه من الكبار، فأشار إلى رئيس الجلسة وكان يرأس الجلسة في مؤتمر القمة عبد السلام عارف، باعتبار أن رئاسة تلك الدورة من دورات الجامعة كانت للعراق. طلب الكلمة، وتكلم كلاماً سريعاً غير مفهوم، ومن جملة الكلمات "إسرائيل تعمل وتجمع و"تبرم" للعرب، و"تبرم" بعامية صنعاء تعني تحوك الدسائس. وسكت بعد هذا الكلام. رأى الرؤساء جميعاً يتكلمون من الخطابات التي في أيديهم. فالتفت إلينا يريد الخطاب، قلنا له: "الخطاب معك منذ الصباح". قال: "تركته في الفندق في غرفة النوم. انتوني به." قلنا له: "قد ذهب وقته فستأتي فرصة أخرى." انتقلت الجلسة إلى جلسة مغلقة. وفي الجلسة المغلقة كانت الجزائر والعراق دولتين مهتمتين بإنقاذ عبد الناصر من الورطة في اليمن. وتصدياً للأمر ليحلا المشكلة ويوفقا بينه وبين السعودية. لكن الملك سعود لم يكن أقل من السلال خبالاً وضياًعاً. فكانوا حريصين على مجيء فيصل لأن فيصل كان نائب الملك وظل في السعودية. وحاولوا استقدامه. في هذه الجلسة. دارت المحادثات وتحدث الرئيس جمال عبد الناصر عن البواعث لدعوة مؤتمر القمة العربي، وعن مد يده لكل العرب المتفقين معه والمختلفين من أجل القضية الفلسطينية. وقال إن الذي حمله على هذا أن مندوب سوريا في مجلس الدفاع في الجامعة كان يقول ليس عندنا من القوة ما يكفي وليس عندنا كذا، "وتبين لنا أننا في حاجة لكي نجمع شملنا، وأنا أشعر أن بيننا وبين سوريا أزمة ثقة". وكان رئيس وفد سوريا الفريق أمين الحافظ. فلما سمع كلمة "بيننا وبين سوريا أزمة ثقة" طلب التعليق على هذه العبارة وقال: أنا أريد أن أصحح. "أزمة الثقة آتية من أين؟ هل آتية من سوريا؟ أزمة الثقة ولدها صوت العجم

لا صوت العرب، وأنا أقسم بالله لم نجئ إلى هنا رغبا ولا رهبا، إنما جئنا مؤمنين من أجل قضية العرب وكرامة العرب. ولكن صوت العجم يشتم أعراسنا ونحن مرابطون في خطوط النار، ويفضح كرامتنا. والله إن اللسان التي تمتهن كرامتنا إنما نقصها بالمقص، ولا نقبل على كرامتنا شيء، نحن نموت جوعا ونقتطع لميزانيتنا ولجيشنا الأموال الكثيرة البالغة من أجل أن نعد أنفسنا للمعركة، ثم تقولون أزمة ثقة بينما صوت العجم وأكررها ولا أقول صوت العرب يشتمنا ويهاجمنا. وكان في كلامه هذا يشفى غليل بورقية ويقول ما في نفس الملك سعود وكل الموجودين. كان لعبد الناصر أعصاب قوية على اعتبار أنه هو صاحب الدعوة، فتحمل وصبر ولم يعلق بشيء. فجاء دور الملك حسين في الكلام وتكلم عن قضية اليمن وعن مساهمته، وقال إنه آن الأوان لكي نحل هذه المشكلة. وقال في الواقع نحن لم نعد مشتركين فيها. فرد الملك سعود بصراحة وبلهجة بريئة شبيهة بلهجة الطفل، وقال للملك حسين إننا لا نزال نعمل سوية ومازلنا نعمل الاثنين معا ما دمنا في هذه المعركة. والمعركة موجهة ضدنا. ونحن لا نقاتل. لقد آوينا هؤلاء اللاجئين من اليمن والذين تقصفهم الطائرات، نحن نطعمهم، ماذا نعمل! إنهم عرب مشردون مؤمنون بالله. وكنت قد نبهت السلال، إذا وصل دورك فقل لهم إن الوثائق مع الأستاذ نعمان وهو الذي سيتكلم. فلما جاء دور السلال قال لهم: "الوثائق مع الأستاذ وهو سيتكلم". كنت جالسا في الكرسي الخلفي، فوقفت لكي أسمعهم صوتي وقلت لهم: "لقد كانت دعوة كريمة من قلب رجل مؤمن مخلص، لقيت هذه الدعوة استجابة مخصصة من المحيط إلى الخليج والألم العربي مشدود إلى هذه القاعة في هذه اللحظات وآماله معلقة على هذا المؤتمر، والله يطل عليكم من علياء سمائه يهيب بكم عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون. يا قادة العرب، قضية اليمن هي قضية العرب جميعا، وما يهدر فيها من طاقات ومن أرواح ومن أموال ودماء، يجب أن تعد كلها من أجل المعركة الكبرى. واليوم جمع الله شمل العرب في هذه الجلسة ونحن لا نريد أن نثير خلافات ولا خصومات، ليس بيننا وبين السعودية إلا الحب والإخاء. ليس بيننا وبينها حرب ولا خصومات. إنهم جيراننا الأذنون وأبناء عمنا الأقربون. وقد نزلت باليمن نوازل كثيرة كان الإخوان

السعوديون مفزعنا دائما. ففي عام ١٩٤٨ جئنا إليهم وفي عام ١٩٥٥ حينما قامت الحركة لجأنا إليهم. وهذا الملك سعود وأنا ذهبت إليه بنفسى كما جاء وفد من الجمهورية العربية المتحدة والتقينا في الرياض. فكان الملك سعود متجاوبا معنا. وأنا أذكره الآن. ربما غاب عن ذاكرته أنه كتب للإمام أحمد رسالة ينصحه فيها بتغيير الوضع في اليمن ويقول له إن الوضع أصبح عارا على العرب أجمعين، ويجب تغييره. هذه شهادة أقولها لله بحضور الملك سعود. واليوم اليمن في حاجة إلى تغيير، وفي حاجة للأخذ بيدها.

كانت كلمة بهذا الأسلوب فتأثر بها المجتمعون. وعلى إثر الجلسة قرر الرئيس الجزائري بن بلا والرئيس العراقي عبد السلام عارف أن يتصلا بالأمير فيصل بن عبد العزيز (نائب ملك السعودية، وكان حينها الملك الفعلي قبل أن يزاح سعود رسميا ويتولى فيصل منصب الملك رسميا) تلفونيا ليذهبا إليه حتى يحضر لكي تحل المشكلة. ولكن تعذر الاتصال التلفوني فقرر مؤتمر القمة تشكيل وفد في تلك الجلسة، بحيث يذهب إلى اليمن وفد عراقي ويذهب وفد جزائري إلى السعودية. وبدأت قضية اليمن تطرح على جدول أعمال الوضع العربي منذ هذا التاريخ. وكما اعتقد، لم يكن عبد الناصر راضيا عن هذا الوضع. ولكن رأى أن الإجماع موجود فقرر مسأيرته. وأذكر أن بورقيبة، وكنت على غير معرفة به، قال: "رأيت أن هذا الأستاذ كان دبلوماسيا إلى حد كبير بحيث لم يثر في الجلسة ما يعكر صفو الحوار مع السعوديين". فقال له عبد الناصر: "هذا سجنه الإمام سبع سنين. تصور. أما دوره معى فسيأتى". كانت هذه الجلسة في مؤتمر القمة. حاول بن بلا الاتصال بالملك فيصل تلفونيا إلى الرياض هو وعبد السلام عارف على أساس أن سعود لم يكن بيده شيء في تلك الفترة، وكان فيصل هو المسؤول عمليا والمسيطر على الأمور ولم يكن سعود في الفترة الأخيرة إلا عبارة عن رمز. وحاولوا أن يستأذنوا بالذهاب إليه لكي يحلوا الخلاف بين مصر والسعودية حول اليمن. وتعذر الاتصال، فقرروا إيفاد وفد. وقيل إن مؤتمر القمة اتخذ في الظاهر قضية فلسطين هدفا له، لكن عبد الناصر كان في ذلك الوقت حريصا على حل مشكلة اليمن وعلى التخلص من الورطة التي وقع فيها. لأنهم كانوا يعتقدون أن مجرد قبلة واحدة تقتل

الإمام، حسب ما خطط وما كان قد وعده به رجال مخابراته، تكفى لحل المشكلة، تبين له أن اليمن ليست بهذه السهولة.

هكذا إذا قرروا تشكيل وفد من الجزائر والعراق ليذهب إلى السعودية لمقابلة الملك فيصل. وبالفعل ذهب وفد الجزائر برئاسة أحمد توفيق المدني، ووفد العراق برئاسة شامل السامرائي. والتقى هناك الوافدان وتداولوا كثيرا مع السعوديين حول العلاقات بمصر وتنقية الجو العربي وحل مشكلة اليمن. ثم عادوا وترددوا على السعودية، وحالوا البحث عن حل ولم يصلوا إلى نتيجة إلى أن عقد مؤتمر القمة الثاني في الإسكندرية. وكان الجو قد تحسن بعض الشيء فيما بين مصر والسعودية.

س — ما ذا كنت تعمل في تلك الأثناء؟

ج — كنت مندوبا في الجامعة العربية. لكن في المؤتمر الثاني للقمة العربية كنت قد رجعت إلى اليمن. وكانت الوساطة العراقية والجزائرية قد نجحت في تحسين العلاقات بين السعودية ومصر وبدأت حدة التوتر تخف. وكان مراقبو الأمم المتحدة قد وصلوا إلى اليمن وفقا لاتفاق سابق بوساطة أمريكية بين السعودية ومصر على أساس أن يكون في الحدود مراقبون من الأمم المتحدة كانوا برئاسة اسبنالي الإيطالي، من مندوبي الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. بعدها التحسن في العلاقات بين السعودية ومصر، وهدوء الوضع العسكري الناتج عن هذا الاتفاق قرر عبد الناصر القيام بزيارة اليمن لأول مرة، وكانت الزيارة الوحيدة له إلى البلاد. وكانت الأمور تزداد سوءا بالنسبة للوضع الجمهوري. فأراد عبد الناصر أن يتفاهم مع السعودية على أساس أن الجمهوريين برئاسة السلال لم ينجحوا في شيء، بل زادت الأمور سوءا عند ما كنا ما نزال في مصر. فبدأ لعبد الناصر أن يعود هؤلاء الذين في مصر إلى اليمن ومنهم نعمان. وأذكر أنه ودعنا في المطار عند عودتنا إلى اليمن في إبريل سنة ١٩٦٤ وقال: "شد حيلك يا نعمان. أذهبوا اعملوا من أجل بلدكم". فوصلنا إلى صنعاء وإذا به يلحق بنا بعد أربعة أيام. وقد كانت زيارته الأولى إلى اليمن. وحاول جميع الجمهوريين بمن فيهم نحن الذين كنا في

القاهرة. وكان معنا الجائفي وبعض الذين أبعدها من أول الثورة، حتى يظهر الجمهوريون مؤتلفين في موقف قوي. وقد شكل حكومة جديدة برئاسة الجائفي. على أن يتأسس مجلس الشورى ويكون رئيسه الأستاذ نعمان. فتكون مجلس الشورى في مايو ووضع دستور وقرأه عبد الناصر أمام المشايخ الذين دعاهم إلى صنعاء وعقدوا مؤتمرا وقرأ أنور السادات دستورا لليمن. فأبدا بعض الحاضرين ملاحظة كيف يسن هذا الدستور دون أن ندرسه ودون أن يكون لنا رأى. كنت أنا في ذلك الوقت أقول ربما كان هذا بداية تفاهم حقيقي فقلت لهم: "باعتبار أن مجلس الشورى الآن سيقوم وسيعرض الدستور عليه، يمكنه أن يدخل التعديلات إذا ثمة تعديلات وينتهي الأمر". وكان عبد الناصر قد أكمل الزيارة خلال ثلاثة أيام، يوم قضاه في صنعاء، والثاني في تعز وفي الثالث رجع إلى صنعاء. وبعد أن أعطانا الدستور وشكلت الحكومة ومجلس الشورى، رجع إلى القاهرة.

وبقينا نحن لأول مرة في اليمن بعد السنين الطوال التي قضيناها ما بين سجن أو تشرد. كانت هذه أول مرة نستقر فيها في اليمن خلال فترة قيام مجلس الشورى. ومن وحي وضعنا هذا قال الزبيرى رحمه الله:

رباه، مالي لم أزال في محنة متوالية
أما غريبا شاردًا أو موثقًا في هاوية

وكانت هذه أول لقاءات رجال اليمن وقبائل اليمن. وبدأنا نكون مجلس الشورى ونختار أعضاء المجلس. وكنا نريد أن نجعله مجلس شورى حقيقي. فأقمنا مبنى حديثا في صنعاء. لأول مرة يكون لمجلس الشورى مقر. جاء مهندسون مصريون تولوا بناء المجلس. واستحدثت مقاعد للأعضاء لأول مرة، ورتبت المنصات، وأتخذ الشعار، وتم اختيار شعار له علاقة ببليقيس التي حكمت اليمن قبل الإسلام، أي قبل حوالي ٣٠٠٠ سنة. وكان الشعار الآية القرآنية الكريمة:

[يا أيها الملاء أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون]

اتخذنا هذا شعار في مجلس الشورى لنقول إن اليمنيين ورثة حضارة وورثة ديموقراطية عريقة. وأنه أيام كانت جزيرة العرب في الجهل والعمى والبداءة كانت اليمن هي وحدها المتحضرة في ذلك التاريخ، تبني السدود وتشيّد القصور، وتنشئ الحدائق. فازدهرت الطريق بين الشرق والغرب ازدهارا هائلا حتى أطلق عليها "العربية السعيدة"، وبنى اليمنيون السد الشهير بسد مأرب الذي أنهدم بحكم الأطماع (الإهمال؟)، وتدفقت مياهه ودمر ما أمامه من المدن والقرى، وطمس الآثار. ولم تزل الآثار مطمورة كلها تحت الأرض إلى الآن. توجد بعض الآثار أخذت إلى الخارج وجاء بعض البحاثة للبحث والتنقيب، ولكن ليس إلى حد كبير، ولم يتم التنقيب عنها التنقيب الكامل، لأنها حضارة قرون مضت عاشت فيها اليمن مزدهرة بحضارتها. ومن الآثار عرش بلقيس المشهور الذي قال عنهم القرآن على لسان الهمداني: [وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله]، أي أن اليمنيين لم يعبدوا الأصنام والأوثان، بل كانوا يعبدون الشمس إله النور. [ولها عرش عظيم]، أي العرش الذي كانت بلقيس تجلس عليه وتستعين بقومها. فكنا نثير هذه المعاني في نفوس اليمنيين حينما جاءت فكرة مجلس الشورى.

لم يكن المصريون يرضون عن هذا الاتجاه لإحياء الذات اليمنية . وكان اليمنيون يتأثرون بهذه الأحاديث وتتبعث فيهم الحمية. أما المصريون فكانوا يتظاهرون معي بأنهم راضين عن الأسلوب، مع أنني لا أنكر أن المصريين لهم الفضل ، فقد وصلوا وساعدوا على أمل أن نجعل العلاقات بين الشعوب علاقة ود لا علاقة بغض وكراهية. وأنا حقيقة كنت ومازلت أحب مصر لأن لا ذنب عليها. كانت ترشد بالعلم والحكمة والفكر والكتاب، يعني إنها مدرسة روحية للعرب وللعالم الإسلامي. ولكن جاء العهد الذي يصدر القنبلة بدل الكتاب، ويصدر الدمار والصاروخ. حتى أنني عند ما كنت في السجن في مصر كنت أقول: "لم تكن مصر دار حقد وحرب، إنها دار ألفة وسلام". كنت بفطرتي أحرص كل الحرص على إيجاد نوع من الألفة بينما كان اليمنيون يشتمزون عندما أذكر مصر. وانصرفت عني الكثير من القبائل لهذا السبب، حتى دمغوني بأني عميل مصري، في الوقت الذي كان المصريون غير راضين عن ذلك الأسلوب الذي يبعث في اليمني ذاته

ووجوده. وبقيت أربعة أشهر حرصنا على التوصل إلى اتفاقية تتساق بيننا وبين المصريين، وكنا نقول يجب أن يوجد نوع من العلاقة الواضحة بين مصر واليمن.

س - من كان معك في مجلس الشورى؟

ج - كنت رئيسا للمجلس، والمفروض أن يكون السلال رئيسا للجمهورية والجائفي رئيسا للوزراء، وكان العمري نائبا لرئيس الجمهورية وكان متعاطفا معي.

س - كم كان عدد أعضاء مجلس الشورى؟

ج - المفروض أن يكون مؤلفا من ١٥٠ عضوا. ولكننا كنا لا نزال نختار الأعضاء. وكنا قد بدأنا ننتخب بعض الأعضاء ونكون الأمانة العامة على أساس أنني سأفتتح المجلس في عيد الثورة في سبتمبر. فكان معنا مايو ويونيه ويوليه وأغسطس وسبتمبر. بقيت أربعة أشهر انجزنا في يوليه اتفاقية تتساق بين مصر واليمن. وارتد أن يقوم نوع من العلاقات الفكرية والسياسية والاجتماعية، وأن يوجد نوع من العلاقة الحقيقة وأن لا تكون فقط علاقة عسكرية. فوقعت اتفاقية التساق بيننا وبين مصر في ١٣ يوليه في زيارة للقاهرة ثم عدنا إلى اليمن. وكان مقرا عقد مؤتمر القمة الثاني في سبتمبر. وبقينا نستكمل اختيار أعضاء مجلس الشورى. وكانت أسماء الأعضاء ترد من صنعاء، ومن تعز، ومن مختلف المناطق. وخلال هذه الفترة، قررت أن اوجه دعوة لبرلمانات البلاد العربية وإذا أمكن البلاد الصديقة، لنفتتح أول برلمان في اليمن، أي مجلس الشورى. فأعترضوا على هذا وقالوا إنه لا يمكن بأي حال من الأحوال.

س - من الذي أعترض؟

ج - الحكومة التي في اليمن، الجائفي. ولكن يظهر أن المصريين كانوا من وراء ذلك. مجيء وفود من الخارج إلى اليمن، لم يكن المصريون يرغبون في دخول أحد لا في وساطة ولا في مشاركة، حتى أننا اقترحنا ذات مرة أنه يجب أن توجد قوات رمزية في اليمن من سائر البلاد العربية لئلا يقال أنكم أنتم المصريين بالذات تريدون احتكار اليمن واستعمارها، وحتى تشعر السعودية أنه ليست مصر وحدها المتشددة. قلنا نجرب ولو رمزيا من العراق والجزائر وتونس. لكنهم كانوا

في الواقع لا يريدون أحداً، لأنهم كانوا الحاكمين في اليمن. وكل ما يذرونه من الرماد في عيوننا إنما هو للمغالطة. يقولون جمهوريتكم وبلدكم في حين ليس لنا رأى في بلدنا. فلما فكرت بهذا العمل وأردت أن أطلب الوفود رفض هذا وقيل إنه لا يمكن وأنا لا نقبل أحد.

س - إلى من توجهت بهذا الطلب؟

ج - طلبت من الحكومة، أي من السلال رئيس الجمهورية، ومن الجائفي الذي كان رئيس الحكومة. طلبت من الاثنين أن نتفق على توجيه دعوة، لأن حضور وفود إلى اليمن للمشاركة في الاجتماع سيكون قوة لليمن. ولكن رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء كانوا بيد مصر. من هنا بدأ الخلاف. فقلت إذا كان الأمر كذلك وإذا كان مجلس الشورى سيصبح خاضعاً للحكومة ولرئيس الجمهورية، فمعنى ذلك لا قيمة لهذا المجلس، بل يجب أن تكون له السلطة العليا على الكل. فقدمت الاستقالة. استقلت من مجلس الشورى. وقد فرحوا بعد الاستقالة. وتمت في سبتمبر اللقاءات بين السعودية ومصر للتوصل إلى اتفاقية الإسكندرية لحل مشكلة اليمن. وكنت عضواً في وفد اليمن مع السلال لأنني كنت ما أزال رئيساً لمجلس الشورى في هذه الفترة، ولم أعد سفيراً في الجامعة العربية. وكان المصريون والسعوديون يتفاوضون لحل مشكلة اليمن دون أن نشعر ماذا يعملون ودون أن يأخذوا منا رأياً. كان السلال يقول لي أسأل المشير عامر ماذا يعملون هم والسعوديون. قلت له : لا أستطيع أن أسأله، سأكون فضولي. هم ملغين وجودنا، نحن لسنا طرفاً في القضية. البلد بلدهم، يتفاوضون كما يشاءون. انتهى مؤتمر القمة وكان فيصل بن عبد العزيز آل سعود رئيساً للجلسة في هذا المؤتمر. وقد تحسنت العلاقات ووقعوا اتفاقية الإسكندرية، واعترفوا بوجود أطراف معنية في اليمن. فكانت هذه مفاجأة لليمنيين.

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستشهدون وهم شهود

يعني يستقوى علينا ونحن شهود ولا نسأل ! حصل عندي رد فعل، وجاء أيضاً مقترناً برفضهم للدعوة التي دعوناها من أجل افتتاح مجلس الشورى، فقررت الاستقالة. استقلت في تلك الفترة.

بعد هذا بشهر قالوا يعقد مؤتمر "اركويت" (في السودان، على شاطئ البحر الأحمر) نتيجة اتفاقية الإسكندرية، على أن يجتمع الطرف اليمني والطرف الملكي لمناقشة التوصل إلى حل. ولم يكن أحد يعترف بالملكيين بحال ومن الأحوال. فجاءت مصر واعترفت بالطرف الملكي، وعلى اليمنيين أن لا يعترفوا، أرغمتهم على أن يشكلوا وفدا يذهب ويتفاوض مع الملكيين في "اركويت" في السوان. وذهب برئاسة الزبيري رحمه الله. واتفقوا على وقف إطلاق النار وعلى عقد مؤتمر وطني في حرص، وهي مدينة صغيرة في تهامة قريبة من الحدود مع السعودية. وكان هذا مؤتمر حرص الأول وليس الثاني. وذهبنا نحن لنشارك في مؤتمر حرص. وتشكل وفد الجانب الجمهوري وذهبنا إلى حرص. انتظرنا مجيء الجانب الملكي فلم يأت، لأنه اختلف مع السعودية ومع مصر. أرسلنا المصريون إلى حرص وأرجعونا من حرص. هنا عدنا وقد تبلور لنا الفكر أنا والإرياني والزبيري بأن اليمن لا تحكم بأبنائها بتاتا. يستقبلنا المصريون في المطار، ويذهب بنا المصريون، ويعيدنا المصريون. يجب أن نتخذ موقفنا. فالتقيت مع الإرياني والزبيري وقررنا اتخاذ قرار بالاستقالة. استقلنا وبيننا أسباب الاستقالة ونشرنا موقفنا في كتيب في بيروت بعنوان "نحن والمصريون"، وكان فيه تعريض بالمصريين وملاحظات على الدستور الذي جاءوا به ووضعنا قانونا للإصلاح. فالتف حولنا مشائخ القبائل، واستقال أكثر أعضاء الوزارة التي كان عبد الناصر راضيا عنها برئاسة الجائفي، وبقي الجائفي رئيسا للوزراء وحده. انضموا إلينا مطالبين بالإصلاح وموقعين على قانون الإصلاح الذي وضعه الزملاء الثلاثة نعمان والزبيري والإرياني.

س — ماذا يتضمن قانون الإصلاح؟

ج — قانون الإصلاح موجود في كتيب صغير نشر في بيروت وأساسه المطالبة بمجلس جمهوري أدخلنا فيه إصلاحات كثيرة. وإذا بالمصريين، ماذا يصنعون؟ نرحنا أنا والإرياني إلى تعز بعد الاستقالة. أما الزبيري فغادر صنعاء وذهب إلى جبال برط حيث اغتيل. أراد السلال أن يخضع لرأي القبائل ويسلم

بالأمر الواقع فقبل بالمشروع الذي تقدم به الثلاثة. وكان كلما قبل أرغم على الرفض. وأخيرا وقد كادوا يتفاهمون ويتفقون وكاد يوقع على قانون الإصلاح الجديد، إذا به يطير بطائره هو والعمرى وبعض الأعوان إلى القاهرة في الوقت الذي كان قد وعد المشائخ بأن يوقع على القانون. وأخذت الأحداث تتفاعل داخل اليمن. وكان ذلك في ديسمبر سنة ١٩٦٤. وإذا بنا نفاجأ في ٥ يناير ١٩٦٥ بوصول حكومة تشكلت في القاهرة برئاسة الفريق حسن العمري. وتشكلت الوزارة بكاملها، واستبعدوا رئيس الوزراء السابق الجائفي لأنه كان هادئ الطبع. فوقع الضجيج حول هذه الوزارة وزاد الرعب. ووصلوا من القاهرة إلى اليمن لإعلان الأحكام العرفية، معلنين أن كل خمسة أشخاص يتجمعون يعاقبون بالسجن، وغير ذلك من القوانين. ووافق المصريون على هذه القوانين. فأمرُوا بمحاصرتنا ووضع الحراسة علينا على أن نظل في بيوتنا. وكما ذكرت لكم ذهب الزبيري إلى جبال برط وأخذ يهاجم من هناك بمقالاته الأوضاع في صنعاء و يندد بالتدخلات. وكان يقول لا نريد أن يكون فيها لا حكومة عسكرية ولا ملكية.

ولما اتخذت هذه الإجراءات ضدي وضد الإرياني، طلب منا أن نذهب إلى القاهرة، فرفضنا. أخيرا خرج المشير عامر وأنور السادات ووصلا إلى صنعاء. كان ابني محمد سفيراً في الجامعة العربية خلفاً لي، فعزلوه أثناء هذه الإجراءات. وكان ابن عمي محافظ تعز، فعزلوه وعينوا شخصاً آخر مكانه. ونقلوا كل العناصر التي كانت تتعاطف معنا من أعمالهم إلى أعمال أخرى. عندها بدأ الصراع المكشوف. وعند ما خرج المشير عامر وأنور السادات إلى صنعاء والفريق أنور القاضي أرسلوا طائرة إلى تعز لتتقلنا إلى صنعاء. لم نتردد في الذهاب. ذهبنا إلى صنعاء. وكان الناس قد تنكروا وبدأوا ينقلبون مثل الناصريين اليمنيين. فقلنا سنذهب لنخفف من حدة العداء والتوتر. ذهبنا أنا والإرياني إلى القيادة العربية، أي القيادة المصرية، فاستقبلنا المشير عامر وأنور السادات وأخرجنا الاستقالة التي قدمناها ووضعها أمامنا ثم قالوا: "أنتم تطعنوننا من الخلف؟" قلنا: "لماذا؟ نحن استقلنا." كان الرد: "استقلتم لكي تجعلوا السعودية تقوم علينا من جديد!" قلت: "كل واحد يستقيل وتنشر استقالته في كل مكان." قال أحدهم: "ولكن نحن في حالة

حرب." قلت: "هذا لا يؤثر على أي شيء. فالدولة ديموقراطية والجمهورية التي عندنا ديموقراطية، وبناء على ذلك لا يوجد أي تأثير، نحن استقلنا واليمنيون نشروها، وأنتم شكلتم حكومة ونحن ملازمون لبيوتنا. فقد نحيتم محمد نعمان من الجامعة العربية ثم نحيتم ابن عمه من تعز وانتهت المشكلة، والإصلاحات استكملت في اليمن ولم يعد يوجد أي شيء. ثم قلت عندما تسمعون ببيت نعمان أو بيت فلان فلا تظنوا أنه بيت البدرابي، أو بيت الوكيل وبيت سراج الدين (من الأسر الإقطاعية المصرية التي كانت تناصب النظام الناصري في مصر العداء)، هذه البيوت والأسر لا تملك شيئاً أبداً وليس عندها أي شيء. وعلى كل حال، الآن لماذا نحن نهدد في بيوتنا؟" قال: "كلا. لم يحدث ذلك قط". قلنا: "بلا. لقد صدرت الأوامر بمحاصرة بيوتنا والحراسة عليها وعدم خروجنا. لم نفعل سوى الاستقالة. فكيف تفهمون الاستقالة؟ وكذلك محمد نعمان في القاهرة، ما معنى إنه مراقب ولا يخرج إلا وسيارة تراقبه ليل نهار وهو عندكم في القاهرة؟ لماذا يسحب جوازه؟ قال "نحن لم نفعل ذلك، إنما حكومته التي فعلت". قلت: "أية حكومة فعلت ذلك؟ أنتم بوليس بيد حكومته؟ هذا تصرف حدث في مصر، ومصر ليست سجن، اخرجوه إلى بلده وحاكموه هناك. ولكن تسجنوه داخل مصر وتفرضوا هذه الرقابة، أين الأخوة؟" قال: "لا داعي لهذا الكلام يا نعمان. قلنا "هذا عتب. إنه ضيف عندكم وإن لم يكن ضيفاً فليكن ابناً من أبنائكم. لماذا يجب أن يعامل بهذه المعاملة؟ وأن يظل محاصراً هو وأولاده والرقابة في وجه بيته، وعند ما يخرج هو وعائلته تطاردهم سيارة أينما ذهبوا؟" قال: "نحن سنعالج هذه المسألة". قلنا: "على كل حال نحن بالنسبة لنا لا نريد أي شيء". قال: "نحن شكلنا حكومة، دعوهم يجربوا". قلنا: "نحن لم نعترض على الحكومة في شيء. ولكن لا نستطيع منع الأهالي إذا كانوا ساخطين عليها". رفض الزبيري أن يأتي لأنه بقي في برط بين القبائل ونحن بين الناصريين.

س — لماذا لم تنزحوا معه إلى جبال برط؟

ج — كانت صنعاء في الوسط وكنا نحن في الجنوب في حين ذهب الزبيري لجهة الشمال، ولم نستطع أن نخرج من صنعاء. أخيراً تم الاتفاق على أن تسير

الحكومة في عملها، وأن لا نتدخل نحن في شيء. وكانت الأمور تزداد تدهورا والحكومة لا تستقر، والأحداث والفتن داخل الحكومة عدا عن الخلافات مع الملكيين. وحدثت الفتن بين القبائل. ووقع قتل في صنعاء بين قبائل حاشد وقبائل بكيل، والحكومة لا تستطيع التدخل. وليس للقبائل سوى نعمان والزييري لأنهم يعتبروننا من القبائل وتلك القبائل متعاطفة معنا. فذهبت أنا والإرياني إلى بلاد القبائل في منطقة خولان لنحل المشكلة التي وقعت بينهم حتى لا تستغلها الحكومة. وخلال ذهابنا إلى خولان التفت القبائل حولنا بصورة كبيرة. وأكملنا رحلتنا إلى أن صعدنا إلى جبل برط. وجبل برط يبعد مسافة خمس ساعات ركوبا على الحمير. فقطعنا الوديان والمسافات إلى أن صعدنا إلى قمة جبل برط. كان ذلك في أواخر شهر مارس سنة ١٩٦٥. استقبلتنا القبائل، ذو محمد وذو حسين، وأضافونا عندهم. وبقيت القبائل تتنازع على ضيافتنا فيما بينهم دون أن نعلم الأسباب. ذهبنا مع الزييري يوم الخميس الواقع في أول يوم من إبريل. وألقى الزييري هناك قصيدة نظمها خلال الأحداث الأخيرة يتهم فيها بالسلال وبالحكومة وبالمصريين. ومن جملة أبياتها:

أتصنعون قوانين العبيد لنا	ونحن شعب أبي مارد شرس
هناة الحكم قد أطغتموها ولها	عن الكوارث واستغواكم الحرس
من حظكم أن هول الأمر مستتر	عنكم وأن شعاع الشمس منطمس
وأن صوت الخراب الفظ أغنية	ترتاح أنفسكم منها وتأتس

كانت قصيدة طويلة بهذا المعنى. بعدها ركبنا على الخيل والزييري على الحمار لأننا ضيوف عنده ورجال القبائل يمشون معنا. وخلال مرورنا في الطريق كان هناك بيت خال من السكان وفيه كمين مؤلف من ثلاثة رجال مسلحين بالرشاشات والبنادق لاغتيال الثلاثة، الزييري والإرياني ونعمان. سبقنا الزييري في المسير فأصابته الرصاصات في قلبه وقتل. أما نحن فتوقفنا في أماكننا ولم نتقدم نحو البناء الذي توجد فيه فوهات صوبت منها البنادق نحونا. توقفنا في وسط الطريق. أخذ الذين سبقونا في المقدمة ينادون: يا إرياني يا نعمان، انزلوا عن الخيل. الزييري مقتول. كنا قد سمعنا الرصاص ولكن اعتقدنا أنه رصاص الترحيب

بنا، لأن من عادة القبائل أن تستقبل ضيوفها بهذه العادة. ولكن عند ما قالوا إنه مقتول توقفنا وإذا بنا نراه جثة هامة. فدهشنا ودب فينا الرعب لهذا الأمر. فأحاطت بنا القبائل لسلامتنا أولا وسلمونا لقسم من القبائل ليوصلونا إلى المكان الأمين، والقسم الآخر منهم حاصروا المسكن. وكان كل واحد من القبيلة متأثرا بما حدث، واحد يقطع أصبعه تأثرا مما حدث في بلده والثاني يقص شعره والثالث يكسر الخنجر. وهكذا كانت الحالة في دوي عظيم . حدث هذا الفعل في قبيلة اسمها ذو حسين في حين كنا ضيوفا فيها. فانتقلنا إلى قبيلة اسمها ذو محمد، وقطعت الاتصالات والعلاقات بينها وبين قبيلة ذو حسين بحكم العرف القبلي. لأن الزبيري كان لاجئا عند ذو محمد. وحسب عرف القبائل، يطرد جميع رجال قبائل ذو حسين من أراضي قبيلة ذو محمد ولا سبيل للكلام وللتعامل حتى يتم التوصل إلى حل لهذا النزاع. وهكذا ظلت قبيلة ذو حسين تحاصر البيت التي انطلق منه الرصاص حتى قبضت على القتلة الثلاثة.

س — هل كانوا يمينيين؟

ج — نعم، كانوا من اليمينيين. ألقى القبض عليهم والتفت قبيلتهم حولهم. وبحكم العرف القبلي لا تسلم القبائل هناك ابنها للقبيلة التي تدخل معها في نزاع، وإنما تسلمه للدولة أو لقبيلة ثالثة. اهتمنا بالزبيري، خابرنا صنعاء لإرسال طائرة. وكان العمري رئيس الوزراء، فأنهار لسماع الخبر. وتركز السخط ضد المصريين لأنهم اتهموا بأنهم كانوا وراء هذه الحادثة. وكانت القرينة بأن الزبيري أرسل برقية قبل هذه الأحداث بأربعة أيام للقائد العربي (المصري) اللواء أحمد فتحي عبد الغفار يقول فيها: "بلغنا أنكم تتآمرون علينا، فنحن لن نقول كما قال الفرزدق — أبشر بطول سلامة يا مربع — ولكننا نقول كما قال هابيل لأخيه قابيل" [لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين. إني أريد أن تبوء بلائمي وإثمك ...] (المائدة، ٢٨ — ٢٩). أخوك محمد محمود الزبيري". كانت هذه البرقية من القرائن والتهم على أن المصريين كانوا وراء ما حدث. كما أنه توجد قرائن أخرى تدل على أن الأمير محمد بن الحسين، من بيت حميد الدين، قائد القوات الملكية في المنطقة، كان على مقربة من المنطقة التي قتل فيها

الزبيري. وهو أيضا متأمر وله علاقة بالقتلة. ووجد مع بعضهم رسائل من محمد بن الحسين. اهتمنا بالأمر لئلا تكون هناك فتنة. فذهبت لتشجيع جثمان الزبيري وقبره في صنعاء.

تجاوب العمري في ذلك الحادث، وتجاوبت الحكومة كلها على اعتبار أن الزبيري كان رائدا من رواد الحرية في اليمن، ولأنهم كانوا شاعرين بالإثم لأن خروجه من صنعاء كان بسبب أساليبهم. جاءت الطائرة وبعض الحرس من صنعاء وانتقلنا - أنا والإرياني مع جثمان الزبيري - وأتينا إلى صنعاء. وصلنا والناس في توتر شديد، فأخذنا نهدي مشاعر الناس. وكان المصريون في حالة ذعر من نظرات الناس المصوبة إليهم. هدأت الأحوال وشيع جثمان الزبيري في جنازة شعبية وعسكرية كانت شبه مظاهرة. جاء السلال من القاهرة على أثر ذلك. وطالبت القبائل بتغيير الحكومة بأي شكل من الأشكال. كانوا يريدون حكومة وطنية من أبناء الشعب. فضغطوا علي لكي أكون رئيس الحكومة، لأن القبائل لا يمكن أن تقبل أية حكومة إلا برئاستي.

قلنا لهم: "كان الزبيري يدعو لعقد مؤتمر للسلام يجتمع فيه اليمنيون. فلنبدا بعقد هذا المؤتمر ومن ثم نشكل الحكومة". قالوا: "أولا تشكل الحكومة، والحكومة الوطنية هي التي تدعو لعقد المؤتمر". استقال العمري وشكلت الحكومة من العناصر التي ترضى عنها القبائل. بمجرد ما شكلنا هذه الحكومة توقفت مصر عن دفع الميزانية التي كانت تؤمن مرتبات موظفي الدولة. لماذا؟ لم يبينوا لنا السبب. نحتاج إلى إجراءات ونقول الآن الناس يطالبون بالمعاشات وغطاء العملة كله في مصر، والعملية كلها في أيديكم وليس لدينا أي شيء. طالبنا بأن تجرى النفقات التي كانت تصرف في الوزارة السابقة، أي أن يستمر نفس الأسلوب في توفير الميزانية. لكن ذلك رفض. وكان هذا في ١٨ مايو ١٩٦٥. وكان مؤتمر رؤساء الحكومات (العربية) سيعقد يوم ٢٦ مايو. ولم نلتفت لهذا وإنما التفتنا لعقد مؤتمر للسلام. وعقد المؤتمر في بلاد حاشد وعرف باسم "مؤتمر خمر للسلام". وهو المؤتمر الذي كان الشهيد الزبيري يدعو لعقده في ذلك المكان. وقلت لا بد أن يكون أول عمل أعمله

عقد هذا المؤتمر. وعقد المؤتمر. وكان من أهدافه أيضا تأييد الحكومة والثقة بها ووضع الدستور الذي أردناه وتعديل الدستور السابق. وصغنا دستورا جديدا هو "دستور خمرة" الذي نص على قيام المجلس الجمهوري. وقد أجمع الناس على هذا الدستور. وسارت بعد المؤتمر مسيرة شعبية تدعو لمعاهدة سلام إلى قبر الزبيري والقيت الخطب على قبره. دعونا للسلام مع السعودية وأعلننا من مؤتمر خمرة أننا نمد يدنا للسعودية. وأبرقنا للسعودية كما أبرقنا لسائر الدول العربية لأول مرة من داخل اليمن. وقلنا أن ليس بيننا وبين السعوديين حرب، وليس بيننا وبينهم خصام. فكانت هذه كلها من الأشياء المثيرة. شكلنا وفدا برئاسة الإرياني للطواف بالبلاد العربية على أن يبدأ بغير مصر، قلنا حتى لا يتوهموا أننا تابعين لمصر. وهذا العمل هو خدمة لمصر. فأردنا أن نثبت للعالم أن اليمن تحكم نفسها بنفسها وليس المصريين الذين يحكمونها. وبذلك ندين السعوديين أمام العالم بأن المصريين لا يحكمون اليمن. وذهب الوفد إلى العراق والجزائر والكويت، واختتم عائدا عن طريق مصر. فاستقبلهم عبد الناصر مرحبا. وكان محمد نعمان من ضمن الوفد ووزير الخارجية محسن العيني، والإرياني رئيس الوفد. ولكن المصريين رفضوا تحويل الميزانية إلينا لدرجة أن الحكومة وقعت في أزمة مالية. فقلنا سنشق طريقنا إليهم من أجلها. ذهبنا لمؤتمر رؤساء الحكومات العربية المنعقد في ٢٦ مايو ١٩٦٥ في القاهرة. وقلنا سنتفاهم مع المصريين أثناء حضور المؤتمر من جانب، وملتقى ببعض الإخوان من الحكومات العربية الأخرى لنطلب المعونة من جانب آخر. اتخذ المصريون موقفهم. وجدنا الإخوان في الكويت وقلنا يمكن أن تساعدونا بخمسة ملايين ؟ لستة أشهر بينما نثبت أمورنا ونبحث عن الموارد. رحبت الكويت وقالت أرسلوا لجنة ونحن نبعث إليكم بالمبلغ. علم عبد الناصر بالأمر فأثاروا لنا مشاكل بسرعة لإجهاض الحكومة. وبينما أنا في مصر والمؤامرة داخل صنعاء بتحريض من السلال على اتخاذ إجراءات وأعمال وكذا. حاولنا التفاهم مع عبد الناصر قائلين إن تشكيل هذه الحكومة يمتص موجة السخط التي كانت موجهة ضد مصر. اليمن دائما متهمة بأن الحكومة تشكل في مصر أو برأى مصر

أو لا يكون لليمنيين رأى فيها. فأنا يشهد الله أردت بهذا التشكيل وبهذه العناصر أن نمتص السخط ليوحد نوع من العلاقة القوية المتينة. فقال عبدالناصر: "سوف لن تقنعني لا شعرا ولا نثرا. ولن يوجد أي تعاون، هذه حكومة بعثية". فقلت له: "أبدا، لا يوجد أي بعثي". قال لي: "هؤلاء بعثيون. وأنا سوف لن أتعامل مع البعثيين. هؤلاء البعثيين أول من سيدبحونك". كان محسن العيني وزيرا للخارجية وكان حاضرا معي في الجلسة، فطلب مني وأنا أتكلم مع الرئيس أن يتكلم هو معه. فقال: "نحن لسنا بعثيين، هذه تهمة. حقيقة أيام الطلب كان لنا هواية. ولكنني الآن لست حزبيا ولا مرتبطا وأنا في الأمم المتحدة أمثل اليمن حوالي ثلاث سنين، وليس لدي حزب ولا قواعد ولا أي شيء". فقال له: "أنا لم أقصدك أنت". قلنا "ومن هم البعثيون إذا؟ ربما عندكم معلومات غير صحيحة". قال: "أبدا، إنني متأكد. تتعامل أنت والبعثيين وعاوز مني ميزانية؟ أنا لا أتعامل مع بعثي واحد". فلما أشدت الحديث، وكان القاضي عبد الرحمن الإرياني حاضرا، قال له: "سيادة الرئيس، أهذا الاعتراض على سياسة الحكومة أم على الأشخاص؟" قال: "تقول ماذا يا إرياني، يعنى أنا أبو وجهين؟ أنا لست بوجهين وأنا لست بالسلال. قلت لكم ولم أخبئ ما في نفسي. أنا لا أتعامل مع البعثيين. أما سياسة الحكومة فلم أقل فيها شيء". فقلت له عندئذ: "يا سيادة الرئيس إذا لم تعترض على الحكومة وأنت واثق بي، فأنا المسؤول عن أي تصرف يخرج عن السياسة التي نتفق عليها". قال: "أبدا، سوف لن أتعامل ولن أتعاون". قلت له: "هل باستطاعتي أن ألتقي بكم على انفراد؟" قال: "وهو كذلك في الساعة الثامنة مساء". عندئذ استأذنا وخرجنا، وفي الساعة الثامنة مساء ذهبنا إليه وإذا بأنور السادات، غراب الشؤم، هناك. كنت أريد أن انفرد بالرئيس ولكنه كان محاطا بأنور السادات، بطل المجزرة وبطل الدسائس والمؤامرات في اليمن. فقال لي أنور السادات: "تشكل حكومة من الحاقدين وتأتي لطلب المعونة منا؟" قلت له: "أنا اجتهدت، فمن اجتهد وأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر. أنا اجتهدت لأن مصلحة مصر ومصلحة اليمن في حل المشكلة. وإذا عندكم رأى آخر اعرضوه". هذا قبل أن يحضر الرئيس. أراد أن يشن علي حرب

أعصاب. وجاء الرئيس وجلس. أعطاه أنور السادات ملفا وإذا بالرئيس يقرأ أسماء البعثيين في الحكومة وقال: "يا نعمان، أنت تقول لا يوجد بعثيين في الحكومة. فهناك الكرشي". فقلت "عبد الله الكرشي"، ثم قال وعبد الله سلام. قلت له: "عبد الله سلام (ناجي) طالب يدرس الآن في دمشق وليس في اليمن. والكرشي ليس ببعثي، لا هو في هذا الوادي ولا في ذاك". ثم قال: "وفلان وفلان". قلت: "هؤلاء ليسوا ببعثيين". فقال: "المهم هذه القضية، السادات وعامر هم العارفون بها، دعنا نذهب إلى المشير عامر لنتداول في الأمر". قلت له: "وهو كذلك". قال المشير عامر مريض في البيت سنذهب إليه". ذهبنا — أنا والرئيس عبد الناصر وأنور السادات — إلى بيت المشير عامر. وصلنا عند القصر وهو واضع رجلا على رجل، شجاعا جرئيا. جلسنا، أنا والرئيس وأنور السادات وأمامنا عامر متربع على مقعد تعبان على إثر إجراء عملية "الدودة الزائدة" التي فاجأته. وكنت زرتة في المستشفى فقال لي: "أطمئن يا نعمان. كل شيء على ما يرام". قال لي ذلك عند ما كان مريضا ولكنه تغير". قدموا لنا الشوكلاته، أخذ عبد الناصر واحدة وفتحها فوجد الفأل المكتوب: عدو عاقل خير من صديق جاهل" فضحك وقال: "أنظر يا نعمان، عندنا عدو عاقل". قلت له: "سأرى الفأل الذي عندي". فتحت الشوكولاتة فوجدت: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره". وقرأت له ما هو مكتوب. فبدأت أتحدث للمشير عامر على اعتبار أنه لم يحضر الجلسة الأولى. فقال عبد الناصر: "لا تتعب نفسك أخبرناه كل شيء. هؤلاء الثلاثة لا يخبئ أحد شيئا عن الآخر". قلت: "إذن ما العمل الآن وماذا تريدون أن نعمل؟ الرأي رأيكم". قال عبدالناصر: "أنظر يا نعمان، أنت وصلت إلى طريق مسدود". قلت: "يا حضرة الرئيس، ليعلم الله نحن أردنا أن نخدم مصر قبل اليمن بهذا الأمر، وأردنا أن نمتص السخط، وأردنا أن نلغي من أذهان الناس أن مصر هي التي تشكل الحكومات وأن مصر مستعمرة لليمن، وأردنا أن نعلن للرأي الخارجي بأن مصر لا تتدخل وأننا شكلنا حكومة أكثر أعضائها ممن لا ترضى عنهم مصر. وأنا المسؤول". فقال عبد الناصر: "فليقل الناس ما يريدون أن يقولوا". وضع المشير عامر يديه على

ركبته وقال: "يا نعمان، تشكل حكومة لوحذك ولا تأخذ رأينا ولا تستشيرنا ونحن شركاء؟" قلت له: "أنا استشرت سفيركم الموجود هناك وقال لي: "باسمي وباسم حكومتني، تشكل الحكومة كما تريد أنت. عتقد أن السفير في صنعاء يمثلكم ومستشار عنكم". فقال عبد الناصر: "لا نقبل إلا حكومة قومية مائة في المائة من القوميين الذين ضربتموهم في الراهدة". لأنه كان يوجد بعض القوميين الناصريين، احترفوا الفرقة. فلما تشكلت الحكومة قاموا بمظاهرات وقتلوا شخصين، فضربوهم ضربة ساحقة وشتتوهم كلهم. كانوا من الركائز القوية. وأضاف: "هؤلاء الذين ضربتموهم ...". قلت: "نحن لم نضربهم ضربهم الشعب بنفسه ... على كل حال، الآن ليس أمامي إلا أن استقيل. لن أغير الوزراء وأبقى وحدي في الحكومة". قال: "افعل ما تريد أن تفعل. هل تريد أن يقولوا لأن المصريين لم يقبلوا الحكومة استقلت؟" قلت له: "لا يوجد أي مخرج أبدا". وكنا قد بعثنا بعثة (وفدا) إلى الكويت ولكن المصريين اعجلونا وأجهزوا على الحكومة سريعا. رجعنا إلى اليمن ووجدنا صنعاء ملغمة، والوزراء في حالة خطر كبيرة، والمصريون وراءهم الجيش المصري ونحن ماذا نعمل؟ هل ننتحر ونقاومهم؟ لا سبيل لعمل شيء. عرضنا عليهم (على الوزراء) الموقف، فقالوا نحن سنخرج من الحكومة طالما المشكلة بوجودنا. فقلت لهم: "لا يمكن. أنا أول من سيخرج إذا فكر أحد بالخروج. فلما رأينا الجو مكهربا قال أحد الوزراء: ماذا ننتظر؟ أن يأتوا إلينا ويدخلونا السجن ويتهموننا بالخيانة! يجب الاستقالة فورا. فقلت له: "وهو كذلك. ولكن نحن نقرر أن نعود إلى مصر ونراجعهم مرة أخرى". وأخذت الإرياني، وتركنا الاستقالة هناك وقلت عند ما نصل إلى القاهرة سنتصل تلفونيا ونعلمكم بالاستقالة.

س — لماذا ذهبتم إلى مصر؟

ج — لأننا إذا استقلنا ونحن هناك في صنعاء سيقومون ضدنا وستحصل فوضى واضطرابات وسنتعرض نحن للخطر. ثم من جهة ثانية لأن مصر هي التي قالت لا للحكومة وحتى يعرف العالم العربي حقيقة الأمر. ولم نتوجه للرئيس

السلال بالاستقالة لأن لجنة متابعة كانت قد تشكلت في مؤتمر خمر، وهي السلطة العليا التي تقدم الاستقالة إليها. ذهبنا إلى القاهرة وقابلنا أنور السادات وأخبرناه بأنهم لم يقتنعوا باستقالتنا، وأنها رأيانهم يقسمون بأنه إذا استقالت الحكومة سيذهبون إلى السعودية بالإضافة إلى تهديد ووعد، فأردنا أن لا يحدث أي شيء ونحن موجودون في صنعاء حتى لا نقع في هذه التهمة. أرسلنا الاستقالة وبلغنا الأخوان. فلما وصلت الاستقالة حصلت ردة فعل وقالوا لا يمكن قبول الاستقالة بأي حال من الأحوال. وتشكل وفد جاء إلى القاهرة. ووصل السلال بوفد ثان والتقى الوفدان في القاهرة عند عبد الناصر. وكانت المحاولة أن لا بد من تشكيل حكومة ثانية. والقبائل التي في الداخل تقسم على أن لا تقبل أية حكومة ثانية. صممنا على أن تشكل الحكومة برئاسة العمري ويخرج السلال ونعمان وإرياني من اليمن ويبقوا في القاهرة. ولما صلوا إلى صنعاء كانت القبائل قد حشدت أمرها وسافرت إلى السعودية. وحدث ما لم يتصوره عبد الناصر، فلما سمع بأن القبائل سافرت إلى السعودية ولسان حالها يردد

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أخذ يفكر ماذا يفعل وما العمل. وطار أنور السادات إلى الإسكندرية حيث كان الإرياني في مستشفى المواساة. وعرف الإرياني بأنهم علموا قبل أن نعلم نحن. فقال له: "هل نظرت كيف طعنونا في الظهر، سوف يسلمون الجمهورية لأعدائها، الشيخ فلان والشيخ فلان" يعنى مشايخ اليمن "ما هو الحل إذا؟ يجب تداركهم وإرسال رسول إليهم. وصل الرسول إليهم وقد التقوا مع الملكيين تحت إشراف فيصل ووقعوا اتفاقية الطائف التي تنص على قيام "دولة". التقى اليمنيون هناك على نظام لا تكون فيه أسرة حاكمة. المضمون جمهوري والاسم دولة، وتنظيم استفتاء. ووقع الملكيون والجمهوريون اتفاقية الطائف يوم ١٢ أغسطس ١٩٦٥. ماذا تعمل مصر؟ دبرت الأمر في الخفاء للاجتماع في أحضان فيصل لتسبق القبائل من الجانب الآخر. اتصلوا بواسطة حسن صبري الخولي، الممثل الشخصي للرئيس جمال عبد الناصر، الذي التقى بعمر السقاف ممثل فيصل، على أن يذهب

عبد الناصر إلى فيصل. وإذا بنا نتفاجأ بمجيء السلالة والعمرى من اليمن. فقالوا
إننا مدعون جميعا إلى جلسة فى الإسكندرية للقاء الرئيس جمال عبد الناصر.
تحلقنا فى الجلسة، فقال أنا ذاهب إلى السعودية. نحن اعتقدنا أنه ذاهب من أجل
السلام وحل المشكلة. قال: عندي العلم بأن فيصل سيقول دولة، والدولة تحافظ على
كل ما تغير. وما دام الأجهزة دستورية فالاسم لا يهم. فنحن أردنا أن نجتمع هنا
لنستطلع رأيكم فى الموقف، وإذا لم ننجح بحل بالسلم سنحلها حلا عسكريا، هذا
ما رتبناه. قلنا لهم: "لقد طرحتم علينا الحل العسكري ورتبتم للأمر، والإخوان
العسكريون يقرون بهذا. ولكن نحن دعاة السلام نريد أن نرى ما هى خطة السلام".
قال: "لا يوجد فى رأسنا أية خطة". قلت: "علينا أن نتداول الرأي. فإذا كان الإخوان
العسكريون يريدون الحرب عليهم أن يقودوا المعركة بأنفسهم لا بالجيش المصرى،
وعليهم أن يعملوا كما يعمل الملكيون. هم يقودون المعارك فى قم الجبال، أما هؤلاء
فيجلسون فى صنعاء والجيش المصرى هو الذى يحارب. فإذا طلبتم السلام أكون
من المؤيدين، لأن المثل العربى يقول: لا تحرق النار إلا رجل واطيها. فالذين
يحترقون فى حرب اليمن هم المصريون والجيش المصرى، وعلى العسكريين من
اليمنيين الذين يريدون الحل العسكري أن يعملوا كما يعمل الملكيون. هم يقودون
المعارك فى قم الجبال، أما الإخوان فيجلسون فى صنعاء مرفهين مرتاحين. لهذا
نطلب أن يعد للسلام، وأريد أن أرى ما هى الصورة التى عندهم". فقال: "والله أنا
ليس لى شىء إلى الآن. ولكن كل ما أفهمه أنى لا أقبل إلا بحل مشرف، وسأخذ
معى زكريا محى الدين وسوف لن آخذ لا عامر ولا السادات". فزكريا محى الدين
من أنصار التحرر من حرب اليمن. وحدث خلاف بيننا نحن والسلالة فى الجلسة.

س - ماذا قال السلالة؟

ج - قال السلالة: "نعمان لا يريد الجمهورية". فقال عبد الناصر: "ماذا؟
لا تريد الجمهورية يا نعمان؟" أجبت: "إنى عاجز عن أن أكون مع الإمام من
العكفة، ولا أريد أن تعود الملكية لأكون رئيس العكفة" (لأن السلالة كان رئيس

حرس الإمام البدر، آخر أئمة اليمن، عند ما قامت الثورة. والعكفة تسمية كانت تطلق على حرس الإمام الشخصي، والمفرد "عكفي". ولعل التسمية مشتقة من "الاعتكاف" حين كان يطلق على أنصار الإمام تسمية "مهاجرين" وكأن من يرابطون معه لحراسته معتكفين للعبادة). عندئذ نهض السلال من الجلسة، ولم يفهم عبد الناصر الموضوع. فقال المشير عامر: "يا نعمان ليس إلى هذه الدرجة." قلت له: "هل قلت لكم أنني أريد أن أحارب الجمهورية! لماذا؟ أنا ضد الحكم الملكي منذ ثلاثين سنة، أما هو فكان يتعسكر معهم ويحرسهم". وطوينا الموضوع. انفردنا. ولما انفردت بعبد الناصر قلت له لي مدة أريد أن انفرد بك وحدك. رأي المشير عامر وأقبل. فقلت للرئيس أريد أن اشتكى بالمشير عامر، لي شهرين هنا، لم يقابلني ولم أقابله، لم يرني ولم أره، والسبب أن هيكل وجدني في اليوم الأول وقال: "كيف الحال يا نعمان؟" قلت له: "الحال، كما قلت سابقا: إن القاهرة تمشي

وعلى عينيها حجاب، وهي لا ترى مواقع أقدامها من شدة الزحام والظلام. وأؤكد لك أنها إلى الآن لا تزال لا ترى مواقع أقدامها". قال لي: "ما هذا يا نعمان." قلت له: "أنت تعرف ذلك، مع من نتفاهم." قال: "لماذا؟ ألم تقابل المسؤولين؟" قلت له: "أبدا". قال: "المشير عامر! قلت: "أبدا". السادات؟ قلت: "أبدا. لم أر وجهه". قال: "بشرفك". قلت: "بشرفي". قال: "هل من الممكن أن تقابل الرئيس غدا وتلكمه (ما دمت) لم تره؟" وكأنهم كانوا يبلغون الرئيس ببعض الأشياء ضدي. لهذا أردت أن أنفرد بالرئيس وأواجهه فيما يخص السلام وأقول له إن السلام خير من الحرب، وإنك ستنتصر بالسلام ولن تنتصر بالحرب. فشاهدوني أنفرد بالرئيس وجاءوا، أنور السادات والمشير عامر. فلما جاء المشير عامر قلت "أريد أن اشتكى بالمشير عامر". لأنني خلال كل هذه المدة لم أر الرئيس. قال عبد الناصر: "أنا سأشتكيك للمشير". قلت له: "لماذا؟" قال: "بشير القطب مندوب سوريا، ماذا كان يعمل عندك في البيت؟" قلت: "متى؟" قال: "أمس". قلت: "لم يحدث". قال: "قبل أمس". قلت له: "ولا قبل أمس، حتى أنا لا أملك بيتا في الإسكندرية". فقال لي: "ألم تر بشير قطب؟" أجبته: "لقد كنت أنا البارحة مع محمد حسنين هيكل. أما القطب

فأنا دائما أراه لأنه في الجامعة العربية ويزورني وأزوره." قال: "ألم يقل لك شيء عن الإخوان في سوريا". أجبتّه بدوافع النكتة "الإخوان في سوريا قالوا إنهم سيخرجون الجيش المصري ويأتون بجيش ثان إلى اليمن" قال: "ياريت، سوف أمدّهم بخمسين مليون مساعدة، إنما مطالبيهم من باب الدعابة" قلت له: "لا يوجد شيء من هذا". إنما هذا دليل على أنه توجد مخابرات لأن بشير القطب زارني قبل مدة، فكان المخابرات بلغته وأتى يشتكي لي. وهذا ذكرني بخلاف وقع مع المشير عامر في صنعاء وأنا أسأله عن مراقبة محمد نعمان ولأي الأسباب فقال: "قابل رشاد فرعون ليطلعه على أسرارنا". قلت له: "ما هي الأسرار التي يطلعها محمد للسعوديين، والأسرار تذهب من اليمن إلى السعودية، من مكتب رئيس الجمهورية ومن مكتب رئيس الوزارة، وسكرتيرا رئيس الوزراء هربوا إلى السعودية في هذا الأسبوع. فهل هم بحاجة بعد لمحمد نعمان كي ينقل لهم المعلومات وهو في القاهرة؟ ثم أن محمد سفير في الجامعة العربية ومن المفروض أن يلتقي بأي إنسان، وأنتم تلتقون بالسعوديين".

بعد هذا اللقاء سافر عبد الناصر إلى جدة في اليوم الذي مات فيه النحاس، حتى أن بعض الصحف في لبنان قالت: "ذهب عبد الناصر اليوم ليقابل فيصل ويأخذ الدروس من زملاء النحاس الذي مات ولم تشيع جنازته". ذهب إلى فيصل والهدف من وراء هذا ليرد على اتفاقية الطائف التي تمت بين اليمنيين. والعرب سامحهم الله، ذابوا أمام جلاله وهيبته، ونسوا أن اليمنيين اتفقوا على خطة، فوقعوا اتفاقا مع عبد الناصر، بدلا من أن يقولوا هذه قضية اليمنيين، واليمنيون حلوا قضيتهم بأنفسهم ولا تدخل للغير. فإذا بهم يورطون فيصل بتوقيع اتفاقية تجعله شريكا في اليمن. وهكذا سارت السيادة العربية على اليمن على هذا النحو. ووقعت الاتفاقية مع مصر. ولما انتشر الخبر بأن فيصل وقع الاتفاقية، صعد السلال وصعد العمري وصعد الناس جميعا. لأن الاتفاقية لم تذكر الجمهورية. وتم الاتفاق مع السعودية على إدخال قوات سعودية إلى اليمن بجانب القوات المصرية للإشراف على الاستفتاء، وعقد مؤتمر حرض، ووجود إشراف سعودي، وغير ذلك. فوقف

السلال مكتوف الأيدي والإرياني أيضا. دعاهم عبد الناصر ليبلغهم بما حدث، ودعا الإرياني مع أنه كان عازما على إلغاء الاتفاقية. لكنها قد وقعت في وقتها. ودعوا الإرياني ولم يدعوني، فأرسل الإرياني يبلغني وقال لي: "إنهم حاقدين عليك حقدا أسودا، ولا يريدون أن يروا وجهك". فقلت لماذا؟ قال "لأنك نشرت كلام عبد الناصر في الجلسة السرية التي عقدناها في الإسكندرية عن طريق وكالة الأنباء الفرنسية في اليوم الثاني!" قلت: "وأي سر في الجلسة؟ جاءني مراسل وكالة الأنباء الفرنسية يسألني عما جرى في الجلسة، فشرحت له ما كان في الجلسة، ثم قلت: يوجد خطر في اليمن على المصريين." قال إن عبد الناصر قال: "حتى المثل الذي قاله لنا في الجلسة قاله لهم". قلت للإرياني: "ألم تدافع عني وتقول لهم بأن ليس في الحديث شيء، وأنتم سمعتم وليس فيه شيء يستدعي أن يلام فيه الإنسان". قال عبد الناصر: "وأنا ذاهب إلى السعودية في الباخرة اسمع الإذاعة تذيع ما جرى في الاجتماع!". قال الإرياني: "والله، نحن لا نتدخل بأحاديث من هذا النوع، وهذا بلدهم". قلت أخيرا. "طيب وماذا؟ قال: "اتفقوا على تشكيل حكومة. وأنا نصحتهم بأن لا تشكل الحكومة بدون نعمان. فقال عبد الناصر: نحن لن نضع يدينا في يده ولن نتعامل معه". قلت: "وهو كذلك. أنا سعيد بغيظهم وخبثهم". اتفقنا نحن والسلال والعمرى وقلنا لهم: "الآن اتفقنا وتآمر الجميع علينا. لا مصر معكم ولا السعودية معنا، ورجعنا يمينين". واتفقنا على أن نكون إخوة ونكون كتلة واحدة. وخرجنا ونحن كتلة يمنية واحدة. وأصدرنا بيانا نريد جمهورية ثالثة، وليس من حق مصر أن تتفق من دوننا ولا أن تكون وصية علينا. أعجب هذا الموقف فريقا من المصريين لا يريدون نجاح الاتفاقية، دعاة الحرب، فساعدهم. أما نحن فقد وجدنا المجال للتعبير عن موقفنا، فانتصرنا وانتصر غيرنا؟ وبقينا في نطاق الاجتماعات. كيف نوفق بين موقفنا أمس من الحرب بيننا وبين السلال والعمرى اليوم؟ وماذا نقول للناس؟ والناس الذين سجنوا بسببنا؟ فالسجون مملوءة بأصحابنا من يوم تولى السلال والعمرى وأنا في القاهرة مع الإرياني. ولكن فضلنا الرجوع إلى اليمن لكي نطلق سراح هؤلاء المسجونين. أخرجناهم والقيت خطابا: "من أجلك يا شعب اختلفنا

ومن أجلك اتفقنا". لأنه وقع خلاف جديد. قلنا وستأتي خطوة أخرى. وهكذا سارت اللقاءات والاجتماعات. ولكن كان يوجد اتفاق على أن تأخذ مصر السلال وتأخذ السعودية بيت حميد الدين ليحدث الاتفاق في اليمن. سحب المصريون السلال إلى القاهرة. وسرعان ما بدأ السلال يتقلب في مواقفه. وضائق مصر بهذا الأسلوب. صادف أن وقع مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء. فمن يذهب؟ اتفقوا على أن أذهب أنا والسلال. ذهبت أنا والسلال إلى الدار البيضاء وكان الجو متوترا بين الجزائر ومصر، على أعقاب انقلاب هواري بو مدين على الرئيس بن بلا. وفي الوقت الذي كنا نلتقي فيه مع بومدين، قال لنا سيصل الآن عبد الناصر. وسينزل إلى هنا. قلنا هازلين الآن سنقبض عليه هنا. وصل وخرجنا نلاقيه عند نزوله من الطائرة ومعه زكريا محي الدين وأنور السادات. جلسنا قليلا، قال: "كيف اليمن الآن؟" قلنا له: "بخير". قال: "أكتبون لها شعرا؟" ولهذا عند ما كنت في السجن قلت:

إذا كان لا شعر يفيد ولا نثر فليس لكم إلا القبائل والبدر

فتذكر الشعر وقال: "هل ستنظمون شعرا (لحل مشكلة اليمن)؟" قلنا له: "والشعر ينفع. قد كان حسان جيشا في قصائده أشد من كل زحاف وجرار.

وجلسنا. وكان مقعدي بالقرب من عبد الناصر.

س — من وضعه؟

ج — بالترتيب. صدفة القدر. وكان إلى يساره بومدين، وإلى جانب بومدين السلال، وأنور السادات في البعيد. جلسنا وإذا بعبد الناصر عن يساري فقلت له: "الآن سنحت فرصة ألقينا فيها القبض عليك اليوم". ضحك وقال لبومدين: "نعمان يقول إنه ألقى القبض علي في الجزائر". قلت له: "هل نقل لك البيان أو سمعت من الإذاعات؟ لم يكن في حديثي كلمة واحدة فاسقة، ولم أتحدث إلا بما تحدثت به الصحف، كيف التقينا وكيف تحدثنا". قال: "كلا. حتى المثل الذي ذكرته قلته لهم". قلت له: "كنت في معرض دفاعي عن المصريين. نحن ندين أنفسنا نحن اليمنيين بأننا لا نقاتل. فمما يتهمون به على السلال قولهم إنه سيقاقل إلى آخر قطرة من

دماء المصريين. ليس إلى آخر قطرة من دمه وإنما إلى آخر قطرة من دم المصريين. لهذا أردت الدفاع عنكم. كما إني أرجوك يا سيادة الرئيس، بما أن الصدفه جمعتنا بك، عندي شعر أريد أن أسمعك أبيات منه تدل على وجود نوع من التجاوب بينك وبين هذه الأبيات. "قال: "قم وألق الشعر". فقلت:

وقد صار قلبي قابلا كل صورة ... وليـلـل لرهـبـان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وإنجيل داود ومصحف قرآن

يعني قد ذابت في نفسك المذاهب والملل والخلافات، فأصبحت للحكم وما جلبنا لك إلا الدعوة للحكم. فستتصر على أعدائك بهذا الأسلوب. وأؤكد لك أنه ليس عندنا أي سوء نية نحو مصر. وإني أعتبر نفسي ابن مصر. فقد تخرجت فيها ودرست فيها. وأعتبر أن لها دين في عنقي. والآن الحمد لله وقد تمت هذه الاتفاقية بينكم وبين إخوانكم السعوديين، أريد أن آخذ رأيك: هل نقابلهم ندخل معهم في المؤتمرات؟ قال: "قابلوهم وبادلوهم المعاملة. لا يوجد أي مانع." قلت له: "وأنا أعاهدك بعد الآن، إذا سمعت عني شيء فاطردني حتى لو كنت في اليمن." قال: "أنا أعرف أن الناس تتقل الأشياء السيئة عن الإنسان. قال: أكمل الأكل. قلت: لا أريد وإنما أريد أن أتحدث. ولاحظت أنور السادات يبخلق فينا بعينيه من آخر المكان. وأخيرا انتهت الجلسة والتقينا في مؤتمر القمة نحن والسعوديين. ولكن لا يوجد حقد بيننا. عدنا نحن والسلال إلى اليمن من أجل التحضير لمؤتمر حرض الثاني. وكان السلال يعرف أنه ثمن أي اتفاق معنا. فظل يثير المشاكل. لذلك سحبوه إلى مصر.

ملاحظة: نهاية الشريط الثالث.

(الصفحات الثمان التالية التي تروي ذكريات الطفولة تقطع النص الذي يتحدث عن الإعداد لمؤتمر حرض)

من ذكريات الطفولة

(يوجد انقطاع في بداية الشريط) ... رشيدة، كانت من بنات الأسر ولها مركز اجتماعي متميز بحيث أنها تهيمن على الجميع. ففي إحدى البيوت حدث أن وضعت امرأة ولدا غير شرعي، إذ لم يكن لها زوج. فلما علمت رشيدة بهذا الحادث ذهبت إلى المرأة التي كانت قد أغلقت على نفسها ووضعت الطفل بطريقة بدائية دون أية مساعدة، ثم خنقته لتدفنه ولتخفي العار عن نفسها. ولكن الناس والجيران أسرعوا في الحضور فذهبوا يصرخون أن المرأة وضعت "زنوة"، وهذا يسبب عارا كبيرا للبلد الذي ولدت فيه. فخرجت رشيدة إلى المرأة لتسألها: لمن هذا الولد؟ ومن أبوه؟ فألصقت المرأة هذا الفعل بشخص كان برئيا في نظر رشيدة ومقدسا، فهوت عليها بإناء الطعام الخشبي ضربا على رأسها. وأرادوا في تلك الأثناء أن يخرجوها من المنزل وهي على تلك الحالة، يعني دون علاج. بلاد بدائية ليس فيها شيء من هذا. وأنا في سن صغير. كنت واقفا أشهد وأرتعد وهي تُضرب.

س — كم كان عمرك تقريبا؟

ج — كنت في الثامنة تقريبا. أخرجت من المنزل، وكان الوقت في آخر النهار، تجري في الشوارع وهي على هذا الحال. ولها ولد من زوج سابق، أحس بالعار وأخذ يرميها بالحجارة وهي تهرب لتلوذ بنفسها. غابت عن الأنظار، وأنا أنظر إلى المشهد، كيف أن أبنها الكبير يصرخ ويبكى ويرميها بالأحجار، إلى أن أوت إلى إحدى القرى. ظل هذا الانطباع مؤثرا على نفسي دائما، على اعتبار أن في الشريعة الإسلامية إذا زنت المرأة ترمى بالحجارة حتى تموت. هذا إذا كانت متزوجة، أما إذا كانت بكرا، فيكتفى بالجلد. تجلد مئة جلدة.

س — والرجل ماذا يفعلون به؟

ج — والرجل كذلك، إذا كان بكرا يجلد مئة جلدة ويغرب عن البلد عاما كاملا حتى تطمس جريمته من ذاكرة الناس، ثم يعود بعد عام. هذا أصل الشريعة. وإن

كان محصناً يرمى بالحجارة حتى يموت. مثله مثل المرأة. وفي القرآن سورة كاملة عن هذا. ولهذا يعاني السلمون عذاباً كثيراً (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة)، هذا إذا كان بكراً. أثرت في مشاهدة هذا المنظر تأثيراً كبيراً. وكنت دائماً أتذكره، وأتذكر طبيعة المجتمع، مع أن في الأحاديث "من ستر مسلماً ستره الله" حتى أنهم كانوا يأتون إلى النبي، كما يروى في الأحاديث، يعترفون بسيئة فيحملهم على الإنكار. مثلاً يأتي الرجل فيقول له أني زنيت يا رسول الله. فيقول له لعلك قبلت، لعلك لامست. لماذا؟ ادروا الحدود بالشبهات، ولو بأقل شبهة. يكفي أن تدرأ عنها الحالة. كان أساس التشريع رحيماً. ولكن جاء الفقهاء المتشددون الجامدون، الذين ما فقهوا سر التشريع، فأكتفوا بالنص وعاملوا الناس على هذا الأساس حتى وجدت نفرة من الدين عند الكثيرين وتركوا دينهم كله نفوراً من إرهاب الجامدين. ولهذا يقال إن الإسلام ضاع بين الجامد والجاحد، الذي ينبذه نهائياً والذي يتشدد فيه إلى النهاية. بهذا ضاع الأساس. فكان هذا من الأشياء المؤثرة التي تعطي صورة عن المجتمع كيف يصنع بالإنسان إذا زلّ أو أخطأ. لا يرقّ الابن لأبيه ولا لأمه. فتحدث هذه المعاملة، على الرغم من أن المرأة التي شاهدها كانت تستحق الإسعاف والعلاج. دخلوا مباشرة عقب الولادة وإذا هي مغسولة بالدماء والأرض كذلك، وهم يستنطقونها فقط عمن أتاها. فكانت هذه إحدى القصص التي أثرت في نفسي.

حدث هذا بعد جلاء الأتراك عن اليمن وتولي الإمام السلطة. وكان المفروض أن الإمام إمام الزيدية. وقد كان الشافعية خاضعين للأتراك. وبعد انسحاب الأتراك تعرضوا للضغط الشديد من الإمام، باعتبار أنهم كانوا مواليين لدولة عدوة وأجنبية. فكان يبعث إليهم الجنود (سبق أن تحدثنا عنهم). وكان هؤلاء الجنود يقتحمون المنازل، فتكون المرأة مغلقة للباب ولكنهم يقرعونها بأعقاب بنادقهم ليدخلوا على النساء. فمن جملة البيوت بيت محمد حجاب. جاء هذا الرجل والعسكر قد دخلوا بيته وكاد يغمى عليه، فهرب وترك البيت والبلد إلى عدن. هاجر من كثرة عبث الجنود. وهذا المشهد كنت أشهده أنا أيضاً. وأنا أقرأ في للمعلامة عند الفقيه. كانت هذه العملية تحدث في نفس القرية التي كنا نقرأ

فيها. كان الجنود يوزعون على القرى، إذ ليس عندهم سكن. يخرجون النساء من البيوت ويأوون في بيوت الفلاحين ويعتدون على المواشي ويقتربون غير ذلك من الأعمال. كثيرا ما كانت تحدث في القرى مثل هذه الأحداث، فيهجر الناس القرى ويتركون النساء تحت رحمة الجنود لخدمتهم. ولهذا ازدادت هجرة اليمنيين إلى عدن وإلى الحبشة والسودان من آثار هذه العمليات.

أما قصة عمي عبد الوهاب فقد كان من أيام الأتراك حاكما على منطقة الحجرية، المنطقة التي نعيش فيها نحن. فلما جاء الإمام ليقضي على كل الرؤوس التي كانت موجودة في تعز وفي الحجرية وفي العدين منذ عهد الأتراك، استدعوا هؤلاء جميعا إلى مركز اللواء في تعز، إلى نائب الإمام الذي كان علي الوزير. استدعاهم جميعهم إليه على أساس أن يتفاهم معهم حول الضرائب التي ستدفع من الأهالي، وفي طريقة توزيع الجيش، ليأخذ كل مسؤول مجموعة من الجيش معه. وأخيرا أشاع أنهم تأمروا لقتله. فألقى القبض عليهم وهم في البيوت في مركز لواء تعز (في مدينة تعز). وكانوا كلهم وجوه البلد. وبعد أن ألقى القبض عليهم وكتبهم بالقيود، أرسلوا إلى صنعاء إلى الإمام، على اعتبار أن هؤلاء يريدون أن يقوموا بانقلاب لاغتياله لكي يستولوا على البلاد مرة أخرى ويأتون بالأتراك، مع أن حكم الأتراك قد قد زال. وأرسل بعد هذه العملية من يصادر كل ما في بيوتهم. فجاء مجموعة من الجنود إلى قريتنا وكان والدي موجودا. وكان الإرهاب شديدا. فلما وصلت مجموعة الجنود جاءوا ببعض الفلاحين وبعض الخدم الذين كانوا تابعين للعم، ليدخلوا معهم إلى البيوت لأخذ ما فيها. ماذا يفعل الناس؟ أخرجوهم من البيوت لكي تبقى مركزا ومسكنا للجنود. ثم أخذوا كل ما في البيوت من أثاث حتى الحصير، وأخرجوا النساء جمعيا. ونقل هذا الأثاث كله على الجمال. فبقيت هذه العائلة طيلة سنين تعاني، الأب معتقل في صنعاء والنساء دون أية نفقة، وكل أموالهم مصادرة. فكانت هذه أيضا من العوامل التي طبعت في الإنسان روح السخط على النظام الذي يحكم في بلادنا. والمجتمع الذي لا يوجد فيه روح التأثير

ولا روح الإحساس مجتمع متبادل الأحاسيس تلبدا عظيما. أولا بسبب الجهل ثم الفقر. هذا يقطع قطعة زجاج، وآخر يخلع النافذة، وذاك يأخذ حصيرة، حالة يرثى لها.

هل سمعتم بالجن؟ الجن لا يراهم الناس. توجد سورة في القرآن هي سورة الجن. وقد جاءوا إلى النبي. وهم يرونكم من حيث لا ترونهم. هم يروننا ويعيشون معنا ويتخللون البيوت ولكننا لا نراهم. لا يزال هذا المفهوم منتشرا في اليمن، حتى أن الطفل لا يزال يخاف أن يمشي لوحده خوفا من أن يخطفه الجن، وحتى أن النساء عندما يصاب بعض أبنائهن بمرض يقلن إن الجن سكنوا رأسه. فما علاج هذا؟ يحمل الطفل إلى قبر من القبور المشهورة للأولياء. يوجد رجال صالحون عرفوا بالتقوى. هناك مستشفى على القبور حيث يجلبوا الطفل ويجلبون معه ثورا أو كبشا. إذا كان فقيرا يكتفى بكبش، وإن كان غنيا فيأخذ ثور. يضعون الثور والولد المصاب بالمرض على القبر ويذبح الثور. فيخرج الجن من رأس الطفل ليلحق الدم ويكون في هذا شفاؤه. يشفى الولد من هذا المرض. وأحيانا قد تصاب المرأة بشيء من هذا. مثلا عندما تلد المرأة ما هو علاجها؟ يعطونها شيئا من الأعشاب مع القهوة ويسمى الزعتر، تغلى وتشربها المرأة لتعالج نفسها. ولكن أحيانا تصاب بمرض في أعصابها من الجوع وسوء الغذاء فماذا يفعلون؟ يطوفون بالكبش على رأسها سبع مرات ثم بعد الطوفان يذبح الكبش ويغلقون الباب عليها هي والكبش حتى يخرج الجن ويلحق بدم الكبش، ثم يدخلون ويجدون أن الدم قد أختفى، فيعتقدون أن الجن قد خرج ولعقه الجن. ولكن في الحقيقة يكون الدم قد جف على الأرض. هذه أيضا من وسائل الطب الشعبي في اليمن. كذلك يوجد طب الكي بالنار واستعمال الإهليج، نوع من الأعشاب يغلى ويشرب. ثم توجد الشربة وغير ذلك من الطرق. إنما كلها طرق طبية بلدية لا تزال موجودة حتى الآن. عندما يصاب أحد بطلقة نارية أو برصاصة، ينتزعونها بأن يغمس الشخص في السليق، يفورون عصير الكركر ثم يوضع فيه نوع من النيل الأسود، ويغطس الشخص فيه عدة مرات، ويظلون يضغطون على هذه الدهانات حتى يسهل سقوطها، وبعد أيام يستطيعون نزع الرصاصة. هذه طريقة من طرق الطب الذي

كان منتشرًا. وكذلك يوجد نوع من البخور يسمى الفارقة الذي يطرد الجن، عند الغروب. يحرقون هذا البخور لتتغير الجن. فكنا نحن نتخوف من أن نمشي وحدنا في الطريق لئلا يخطفنا الجن، أو أن ننام في الظلام حتى لا يأتي من يمسكنا أو يقبض علينا. هذه كلها تهاويل تصنع في نفس الإنسان مخاوف كثيرة. ويظل بعض الأهالي حتى الكبار منهم يستشفون على القبور إذا أصيبوا بأي مرض، أو يغتسلون بالماء الراكد حول قبر من قبور الأولياء، والذي يكون عرضة للأوساخ ولكنهم يتبركون بها. هذه من الأشياء التي لا يزال لها آثار في الكثير من القرى ولم يبق منها إلا الشيء البسيط في المدن، لأن تغييرا كبيرا قد حدث في اليمن. فبدأوا يستعملون الإبر والأدوية. بعض الناس لم يعودوا يعتقدون بها ولا يقتدون. وقد كان بعض الأشخاص يكتب آية من القرآن في فنجان ليصب عليها الماء ويشرب. وهذا من العلاج الذي يعطى للمرأة بعد الولادة. كان هذا جزء من الطب الشعبي.

وعن التعليم عند ما كنت أعلم على الأسلوب القديم، كنت أكلفهم بأن يحفظوا بعض المثنون التي تحفظ وكأنها رطانة أجنبية بالنسبة للطالب. فهو لا يفهمها ولكن عليه أن يحفظها غيبًا، وإذا لم يحفظها عن ظهر قلب يضرب. فمحمد ابني ممن ضرب لعدم حفظ ألفية ابن مالك. ضربته لأنني كلفته بحفظ الألفية التي تجمع قواعد نحو اللغة العربية كلها. وتقول في مقدمتها:

واستعين الله في الألفية مقاصد النحو بها محوية

إنها سهلة لتعليم الإنسان نحو اللغة العربية لكن عليه أن يحفظها غيبًا.

س — من كم بيت تتألف؟

ج — من ألف بيت. لكل قاعدة من قواعد النحو باب، مثل باب الإعراب، وباب المبتدأ، وباب الخبر. وكلها نظم قديم ليس فيه ما يُلذ، وأسلوبها الأدبي لا يشوق القارئ للقراءة، وإنما عبارة عن معلومات منظومة.

س — كم كان عمر محمد عند ما فرضت عليه حفظ الألفية غيبًا؟

ج — كان عمره ١١ سنة، والمفروض عليه أن يحفظ غيبا ألف بيت. هذا في النحو، وعليه أن يحفظ غيبا أيضا مثلها في الفقه، هو مجموع متن "الزبد"، ومثلها في التوحيد في الكلام عن صفات الله. فتجتمع عنده حوالي ثمانية متون، كل متن في فن من الفنون. ولكن كنا نكتفي بالحفظ، فلا نتذوق اللغة العربية تذوقا حقيقيا، ولانطبق قواعد القراءة. المهم أن الطالب يدرس النحو. كذلك يجب أن يحفظ منظومة في تقسيم الموارد، وفي المعاملات وفي النكاح، في أبواب الشريعة. فلا بد من حفظ هذه الأشياء، وكلها عبارة عن متون تطبع ويغيبها الطلاب. كانت تطبع في مصر. وكان التعليم على الأسلوب القديم كله. يكتفي بمجرد الحفظ،. تحشى أذن الطلاب حشوا لا يفهم معناه. لهذا كان أكثر الطلبة يهربون من التعليم. فمحمد أيضا ممن أصابه هذا الأمر. جاءني ذات مرة زميلي الزبيري، وقال لي: "يا رجل أضحك. أبناك محمد قال والله إن ألفية ابن مالك لو قذفنا بها ألمانيا لأخضعناها قبل أن يخضعها الحلفاء (أثناء الحرب العالمية الثانية). لذلك رفعنا عنه ألفية ابن مالك. وكان أسلوب التعليم الضرب. كان الإنسان يرث بعض القسوة التي تعلمها من المعلمة، وبدوافع مخلصه. فمن الموروث قولهم "لولا المربي ما عرفت ربي"، و"العصا لمن عصى المعلم".

كان أبي كثير الحرص على أداء الشعائر الدينية. يقوم لأداء صلاة الفجر في منتصف الليل. وكان يهوي على من لا يقوم من الأخوة لأدائها معه بالعصا وهم نائمون، ثم يصب عليهم الماء البارد. كنت أنا أصغرهم سنا وأخاف من هذه المناظر فأنام مذعورا، وأقوم قبلهم فيعجب والدي بوجودي إلى جانبه. أما أنا فلا أفهم شيئا، وإنما أصلي بدافع الخوف منه، وأحضر المسجد معه، ويكلفني بالذهاب لإيقاظهم. أذهب وهم مستغرقون في النوم، البعض منهم كانوا قد تزوجوا وأنا صغير.

س — متزوجين ويعيشون سوية؟

ج — نعم. كان المتزوج يسكن في إحدى غرف البيت، كل واحد مع زوجته وأولاده إذا كان عنده أولاد. كنا نعيش في دار واحد تحت رحمة الأب، ولا يجرو الولد أن يخرج عن سلطة أبيه. فيظلون كأنهم أطفالا تحت رعاية الأب كما ترون محمد مع أولاده. فكان يحدث في نفوس الأخوة شيء ضدي فأرهبهم. كنت أرهبهم لأنني أصغرهم، فكنت أظل بجانب والدي في الليل ليوقظني، أحمل له السراج خوفاً وليس محبة ولا رغبة، إنما بدوافع الخوف. فكان أكثر الإخوة مسلطين علي لأنني أصغرهم كما قلت والصغير في اليمن يجب أن يخضع للكبير ولو كان أكبر منه بسنة واحدة. الكبير يؤدب الصغير. وليس للصغير الحق في الكلام. وحتى لو ذهب إلى الأب ليشتكى، يرد عليه أبوه بالقول: "أخوك أكبر منك. يجب أن لا تشتكى". وكانت هذه عوامل تدفعني للخلاص من هذا الطغيان الكبير، طغيان الأسرة. لا قيمة للحياة مع الزوجة. كان الإنسان منصرفاً للعلم.

ما لذة الخمر والحلوى ولا الطرب ولا عنق الغواني
كلذتي في اتخاذ العلم أجمعه من المحابر والأقلام، في الكتب

ما قيمة المرأة، ما قيمة الولد، ما قيمة الدنيا دون أن تأخذ الكتاب وتلقى الله تعالى. إن طالب العلم أفضل عند الله من ألف عابد. حتى أن الملائكة تفرش أجنحتها له وهو يمشي على الأرض. فطالب علم الدين يرضي الله كثيراً. ومن سخرية بعض الناس أنه رأى بعض الطلاب يجرون ذات يوم فقال لهم أحذروا أن تكسروا أجنحة الملائكة، على اعتبار أنهم طلبة العلم. فكانت الزوجة محبة وحريصة وعندها تقدير بأن رجل الدين يصبح له قداسة. فكنا لا نقيم للزوجة أي اعتبار على أساس أنهم جاءوا بها لتخدم. يقول الأب للولد: "تريد أن نزوجك حتى تأتي زوجتك لتساعد أمك". فكنت مع الانشغال بطلب العلم وحلقات التدريس، لا أدخل إلا للنوم، وعلي أن استيقظ في منتصف الليل وأوقظها لتقوم وتعد القهوة والطعام للذين يتعلمون عندي. وكانت تتحمل هذا وتخرج إلى باب المسجد لتعطينا ما أعدت. وذات يوم وأنا أقرأ الحديث وأقول: "حدثنا أبو هريرة، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء. قيل لم يا رسول الله؟ قال:

"يكفرن." قيل: "أيكفرن بالله؟" قال: "كلا. يكفرن العشير، أي الزوج. لو أحسنت إلى إحداهن مدى الدهر ثم رأيت منك شيئاً قالت ما رأيت منك قط." فسمعت الزوجة الحديث. فلما أتيت في الليل، قالت لي: "ما قال هريرة؟ نحن كفار، نكفر بالعشير والزوج." وأخذت تعاتبني. قلت لها: "هذا حديث الرسول. وليس أنا الذي قلته."

وكانت كلما طلبنا شيء قالت ما حدثنا رسول الله عن أبي هريرة؟ هكذا كانت حياة الزوجة. الرجل نائم في البيت وهي تعمل وتتعب وعليها أن تتحمل كل شيء.

س — كم كان سنك عند ما تزوجت؟

ج — تزوجت ابن أربعة عشر سنة. ولكنني ذهبت لطلب العلم. وعند ما رجعت كنت في سن العشرين حينما تزوجت الزواج الحقيقي. وكانت هي أيضا صغيرة السن. فالعادة في اليمن أن يختار الأب أية بنت لابنه ثم يتفق مع والدها وتبقى عند أهلها.

س — هل ابنك محمد أكبر أولادك؟

ج — له أخت أكبر منه ولكنها لم تعيش طويلا.

(نهاية الوجه الأول من الشريط الرابع)

(بداية الوجه الثاني من الشريط الرابع):

(ملاحظة: الصفحات الثمان السابقة التي تتحدث عن ذكريات الطفولة تقطع نص الحديث عن مرحلة الإعداد لمؤتمر حرض والخلافات في العهد الجمهوري. وحرصا على ترك الأصل كما هو تركت في محلها، ويمكن لمن يقرأ أن يقفز فوقها ليوصل قراءة النص).

ترك المصريون عبد الله السلال في القاهرة وبدأ الإعداد لمؤتمر حرض. ولكن المصريين كانوا منقسمين. منهم من يدعم بقاء الجمهورية وعدم التنازل عن أي

شيء، ولا يرى الوصول إلى أي حل وسط في شأن الحكم والاستئثار به، وبعضهم يرى العكس. فكان عبد الناصر يظهر بأنه يريد حل المشكلة بأي ثمن، والمشير عامر يتشدد ويقول إنه لا يستطيع التساهل لأنه ضحى بـ"أولاده وبكل شيء". فكنا نرى أن الجانب الأقوى هو جانب المشير عامر والعسكريين. والعملاء الذين في اليمن هم عملاؤهم الذين كانوا قد جندوهم. يهتفون هتافات ضد الملك فيصل، وضد السعودية، وضد الملكية، وضد الحل، وضد مؤتمر حرض. ولكن المصريين ضغطوا ضغطا شديدا وقالوا إنه لا بد من الوصول إلى حل ولا بد من اللقاء، لأن الجانب الآخر قد أعد الوفد وجهاز قوائمه وسيصل في الزمن المحدد في حين يكون الجمهوريون لم يشكلوا بعد وفدا منهم. كان هناك انقسام بين المصريين يؤيدهم فريق كبير من اليمنيين ممن يرون أن الحرب هي الطريق الأسلم لهم ولمناصبهم ومكاسبهم، كي يستمروا في هذا الوضع. لأن السلام سيكلفهم ثمنا غاليا. وكما يقول الفلاسفة إن الحرب هي طريق سهلة للجبناء الذين يفرون من مواجهة السلام. إنها أسهل طريق. فكانت الحيرة بين الذين يشددون علينا من المصريين، سفير مصر في صنعاء وغيره، للذهاب إلى المؤتمر، في حين نرى أنصاره والمرتبطون من الهتافة يطلقون الهتافات رفضا للمؤتمر ويهددون من سيذهب إلى المؤتمر. فقال الإيراني للسفير: "نحن حائرون، أنتم أما منقسمون على أنفسكم أو لا يثق بعضكم ببعض، واحد يعطينا التعليمات لنذهب والآخر يقوم بالعكس، من الذي نأخذ بكلامه؟" قال: "لا يوجد غير السفير. وتم الاقتناع بالسفر إلى مؤتمر حرض. التقينا هناك بالوفد الملكي وإذا نحن كلنا إخوة، كل واحد يلتقي في الطرف الآخر بزملائه، ولكن فرقتنا المشاكل التي فرضت علينا من الخارج وليس من ذات أنفسنا. تم التلاقي وتبادل الآراء والمشورة. اختاروا لجنة محدودة من الأشخاص: من الجانب الجمهوري، أنا والأرياني ومن الجانب الملكي أحمد الشامي رئيس الوفد ومحمد عبد القدوس الوزير لنحضر عند اللجنة المصرية السعودية لنتدارس الأمر من أجل تهيئة المؤتمر لكي يكون مؤتمرا ناجحا. فإذا بنا نلمس الفرق في هذه الجلسة المحدودة بين السعوديين والمصريين، أي بين مندوب مصر ومندوب السعودية. قال السعوديون: "أتينا إلي هنا على أساس أن النظامين معلقان أو مجمدان

أو ملغيان، لا جمهورية ولا ملكية. وإنما هنا لقاء بين اليمنيين لاختيار حكومة مؤقتة تهىء للاستفتاء. وينتج عن الاستفتاء ما ينتج. ولا يقر المؤتمر أي نظام." قال المصريون: "كلا. ليس كذلك." أجاب السعوديون: "هكذا اتفقوا، وهذا هو الاتفاق، وماذا عندكم؟" أجاب المصريون: "سوف نرجع إلى القاهرة ونرى." قال السعوديون: "ماذا أتيتم تعملون هنا ومن أجل ماذا؟" وهكذا بقينا شهرا في حرص نعيش في الخيام، في أرض صحراء نتعرض للأتربة والرياح. وكل يوم لقاءات بين الطرفين وكل واحد يخطب من جانب، الفريق الجمهوري والفريق الملكي. قلنا: "لنضع لائحة للمجلس." قالوا: "كلا. لسنا في حاجة إلى لائحة." وظل الخلاف على وضع اللائحة. وإذا بالأمر تسير في الاجتماع على غير رأى ولا خطة. نذهب إلى اللجان، ولكن لا التقاء بينها. فقلنا: "إذا كنتم أنتم المصلحون ليست عندكم خطة وليس لكم رأي محدد، فلماذا تلوموننا نحن. نحن مسوقون." وفي إحدى المرات قلت لليمنيين: "نحن اليوم ما بين عملاء مصريين وعملاء سعوديين ولا يوجد عملاء لليمن. فعلينا أن نبحث عن عملاء لليمن. وكان المراقبون موجودين وقد سجلوا هذا الحديث. ظل الموقف على ما هو عليه وكأن المصريين قد بدأوا يتلاعبون من جانب والسعوديون يقولون هناك موقف اتفقنا عليه وهو صريح. أن النظامين لا شأن لهما ولا دخل، وقد تتفقون على حل وسط ثم يعاد للاستفتاء ليطلع بأية نتيجة. فظل التلاعب. أنا تركت حرص قبل أن ينفذ المؤتمر ورجعت إلى الحديدة. ثم قلت للإرياني اتفقوا كما تريدون. أخيرا قالوا يؤجل. وهكذا تأجل مؤتمر حرص. لم يعلنوا فشله ولا إلغائه، ولكن قالوا يؤجل، وتأجل. وثارت ثائرتنا. وبعثنا برقية لعبد الناصر وفيصل من الجمهوريين: "أنتم الذين أضرمتم هذه الحرب في اليمن، وأنتم الذين قدمتم السلاح للطرفين وأنتم القادرون على أن تفرضوا السلام في اليمن. أما نحن فلا نملك شيئا."

أخيرا انفض هذا المؤتمر. وذهبنا بعد ذلك إلى القاهرة وعاد الملكيون إلى قواعدهم. بقينا في القاهرة أياما ثم عدنا إلى اليمن. كانت الأمور هادئة والحرب واقفة. قضينا فترة لم يرجع خلالها السلال إلى اليمن، بل بقي في مصر منذ ذلك الاتفاق، وقد كان رئيسا سيئا. فكان العمري يقوم بعمل الرئيس. التقينا فيما بعد نحن

والعمري والإرياني وأصبح بيننا نوع من التقارب على الرغم من أن المصريين كانوا يعتبرون أن العمري رجلهم، وأنه يجب ألا يقع بين أيدي هؤلاء السياسيين الفاسدين. ولكن العمري تجاوب معنا.

فقد وجهت إليه الدعوة لحضور مؤتمر رؤساء الحكومات العربية لأنه كان رئيس حكومة. وأنا أصبحت عضواً في المجلس الجمهوري. فأراد العمري أن أنوب عنه في رئاسة الدورة، فأكون نائباً لرئيس الحكومة في رئاسة الدورة. أعدنا كل شيء وذهبنا إلى القاهرة. فدعاه حسن صبري الخولي، الممثل الشخصي للرئيس عبد الناصر حينذاك، وزكريا محيي الدين وقالوا له لا يمكن أبداً ولا نقبل بأن ينوب عنك نعمان. الدورة دورة اليمن. أحضر أنت وترأسها. نعمان لا ينبغي أبداً أن يرأس الوفد. أصبح عندنا حقد شخصي. عقد مؤتمر رؤساء الحكومات العربية وترأس العمري الدورة وتسلم الرئاسة فيما بعد العراق، لأنها كانت بعد اليمن في الترتيب الهجائي. وبقينا في القاهرة جميعاً، الإرياني والعمري وأنا وتركنا المصريين يحكمون اليمن. لأنهم بعد ما وقعوا الاتفاق مع السعودية بدعوا ممارسة الحكم. وقررنا خلال هذه الفترة أن نعود إلى البلد لنمارس أمورنا. وكان المصريون موافقين على عودة الإرياني والعمري. كانوا يدعونهم دائماً إلى العودة. واتفقوا مع الإرياني والعمري على أن عند وصولهم إلى اليمن يتم إرسال السلال من القاهرة إلى اليمن، "وحينما تحلق الطائرة أعلنوا عدم موافقتكم على القبول وأعلنوا تنحيته عن رئاسته"، ويصدر سفير مصر في اليمن اليمن البيان. وسينزل السلال في الحديدة أو في أي مكان ويقرأ إعلان تنحيه. هكذا كان الاتفاق. ثم أوصوهم على عدم اطلاعي على هذا الموضوع، "ولا تطلعوا نعمان على هذا أبداً". وشددوا على ذلك. ولكن ما ذا قصد الإرياني؟ وكانوا قد دعوهم إلى عدة جلسات. هذه أول مرة ينكت فيها الإرياني العهد بيننا. لم يخف عني شيئاً إلا هذه القضية، فكانهم استحلفوه. ثم إن الإرياني كان يدعى إلى عدة جلسات.

من المحتمل أن يكونوا قد استحلفوه ثم فكر وقال: بما أن الأمور ستتم، فالأستاذ نعمان في أيدينا. عادوا إلى اليمن ولم يقترحوا علي العودة معهم، ولكن أنا قررت أن أعود فوافقوا. عادوا غاضبين من المعاملة التي لقوها في آخر الأيام.

فعدنا في يوليه سنة ١٩٦٦، لأن مؤتمر حرض كان في يناير. حدثت قضية العمري، حينما دعي إلى مؤتمر رؤساء الحكومات العربية وأراد أن أنوب عنه ولكن المصريين رفضوا أن أنوب عنه. وكان الأمين العام قد سجل اسمي، فتداركوا الأمر وألغوا مسألة أن أنوب عنه من الأساس.

وزار كوسجين (رئيس الوزراء السوفيتي آنذاك) القاهرة وكان العمري قبل ذلك ينوي أن يزور روسيا. فقال له المصريون لا لزوم للتعيب، فهو سيزور مصر وعند ما يكون في مصر تعال. فصادف أن عقد مؤتمر رؤساء الحكومات العربية ومجيء كوسجين في مايو ١٩٦٦ إلى القاهرة. وتم ترتيب مقابلة العمري لكوسجين بواسطة السفير الروسي، علم المصريون ورتبوا لقاء مع كوسجين. وكان اللقاء في الساعة الثانية عشرة ظهرا في قصر القبة (القصر الجمهوري المصري). وقبل أن يذهب العمري ومعه الإيراني بلّغوا بأن الموعد تأجل إلى الساعة الثالثة بعد الظهر، فتأخروا إلى الساعة الثالثة وذهبوا. وحين وصلوا نزل أحد الضباط المصريين وقال للعمري: "إنه مشغول مع الرئيس ولكن ستلتقي به أثناء العشاء." قال له العمري: "ولكنني لست مدعوا لحضور العشاء." قال: "إنما الدعوة للعشاء." قال العمري: "لم آت من أجل العشاء وسوف لن أتعشى، إنما أتيت بحسب موعد محدد من كوسجين في الساعة الثانية عشرة تماما، ثم تقول لي أحضر وقت العشاء! بلغه سلامي وأخبره بأنني ألغيت الزيارة وقطعت العلاقة، وإني لا أتحمل إهانته اليمن بهذا الشكل." ركب السيارة وذهب. وكان المترجمان الروسي وهو يجيد اللغة العربية موجودا مع الضابط المصري وسمع هذا القول، فبلّغ كوسجين بما قال العمري من أنه سيلغي الزيارة، وسيقطع العلاقة بين اليمن والاتحاد السوفيتي ردا على إهانته اليمن، فالعمري رئيس حكومة اليمن. وقد قاد السيارة وذهب. ولم يكن كوسجين مع عبد الناصر، بل كان في انتظار العمري. وقد سأل: "أين العمري؟". ويبدو أن السفير قد بلّغه فقال: "إذا سأخرج أنا إليه. أين المنزل." قال الرئيس عبد الناصر: لا داعي لذلك، سوف ندعوه نحن إلى هنا. هم أولادنا. أتصل عامر تليفونيا، فرد عليه الإيراني. قال عامر: "ما القصة؟ أين حسن؟" أجاب: "حسن غضبان ونحن جميعنا غضبانين لأن هذه إهانته لليمن، فنحن إذا تقبلنا منكم هذه المعاملة، فلا يمكن

أن نتقبلها من أي أجنبي، ولو كان سيسكننا القمر ويعطينا الشمس، ما نتقبلهاش أبداً." قال عامر: "لا داعي لذلك." قال الإرياني: "وقد حلف أن لا يرى وجه كوسجين." قال عامر: "أعطني حسن." وكلم عامر حسن العمري وأخذ يقول له: "إن الرئيس يتشفع بك." أجابه: "أنا لا أعرف الرئيس، أنا لا أعرف إلا اليمن فقط. وأنا لا أريد أن أري الروسي ولا أريد روسيا." قال عامر: "سوف تعلن الحرب على روسيا يا حسن!" أجابه: "أعلن الحرب عليها وعلي أبوها، وسوف أعيد العلاقات مع أميركا من اليوم." قال عامر: "الرئيس يتشفع بك يا حسن." رد عليه: "أبداً." بعد أن انتهت المكالمة التلفونية، خشي حسن من أن يأتوا ويخرجوه، ترك البيت وذهب. فظلوا يفتشون عليه طوال الليل ولم يجدوه، فكان كوسجين منزعجا. فما العمل، أتوا بالسلال (قطع الشريط)

قال كوسجين: "الذنب ليس ذنبك." قال له: "أنا فاهم." فرد كوسجين: "على كل حال اعتبر الموقف قد انتهى." وحلت المشكلة. وخرج العمري ليودع كوسجين إلى المطار. وهناك التقى بعبد الناصر. وكان كوسيجين في نفس اليوم قد أخبره بأنه خارج إلى المطار. فشرح له عن مشكلة الأسلحة. فقال عبد الناصر: "أنا لا أقول أزيك يا حسن، إنما أقول أزي اليمن." بعدها توترت العلاقات بينهما. ونحن وجدناها مكسبا. عدنا إلى اليمن جميعا، وبعودتنا كنا ولا شك نريد أن نرتب أمورنا. فأرسلوا السلال. دهش الجميع لوصول السلال، وخرجت القوة المصرية كلها إلى المطار لتستقبله. وأنكر المصريون وصول السلال. والمصريون لديهم تعليمات بأن يستضيفوه ويستقبلوه. فاستعد المصريون لحكم اليمن مباشرة. فأرسلوا السلال، وكانوا متفقين مع الإرياني على الرأي الأول ولكن أمروا القوات المصرية بأن تدخل وتحيط بالسلال ولكن لم يستقبله أحد. العمري رتب نفسه مع الجيش. لم يريدوا أن يدخلوا في صدام مع القبائل المجهرة (التي أيدت الجمهورية). اضطربت القبائل وقالوا لا بد من حرب مع المصريين. كتبوا لنا، أنا والإرياني، وكنا في تعز، ونحن أبرقنا إلى العمري. صادف أن مات أخو الإرياني الأكبر فبقي في إريان. وصعدت أنا والشيخ محمد علي عثمان. وجدنا القبائل متوترة والجيش في حالة طوارئ متضامن، يصر على عدم قبول السلال بأي شكل من الأشكال،

وأن مصر لا يمكن أن تفرض عليهم بقوة السلاح أي شخص أيا كان. وصمموا على هذا. تفاهمنا مع العمري وانعقد مؤتمر للقبائل خارج صنعاء. خرجنا معه لحضور المؤتمر. واتخذت في هذا المؤتمر قرارات رفض عودة السلال ليمارس الحكم، ورفض تحكم المصريين باليمن. وتم إرسال برقية لعبد الناصر من القبائل تقول في الوقت الذي تدعون فيها للوحدة العربية تمزقون اليمنيين وتفرضون عليهم حكومة مصرية. وفي الوقت الذي تتددون بالإنكليز لأنهم يفرضون حكومات عميلة في الجنوب تأتون فتفرضون في صنعاء كذا وكذا؟ هذا باسم القبائل، وقالوا إن الجمهورية العربية المتحدة أصبحت

كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

ولكن اليمن لن تؤكل أبدا. هذا ما صدر عن مشائخ القبائل. ووزعت البرقية على المشاركين ووقع عليها جميع القبائل. لا ندري من أوصل البرقية إلى راديو عدن وأذيعت باسم القبائل اليمنية قبل وصولها إلى القيادة العربية. وزاد التوتر. ونحن عملنا عملا لا مبال وظننا بأن الأمور ستسير.

وجاء الفريق (عبد المحسن كامل) مرتجى من القاهرة وجمعونا للتفاهم والاتفاق، فإذا به فراق ولم يكن وفاقا. ما هو الحل؟ قلت لهم: "أما أنا فسيصبح شعاري من اليوم بعد أن رأيت هذا الموقف وبدء التفرق: "إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك — يعني ارجع إلى القرية. أنا علي بخاصة نفسي، لست معكم لا في الحكم ولا في السلطة ولا في أي شيء". ونقلت حقائبي وذهبت إلى القرية إلى الحجرية لأول مرة، تلك القرية التي عشت فيها في طفولتي. بقيت هناك وإذا بالإرياني والعمري يلحون علي إلحاحا شديدا ويقولون: "لا تفشلنا بهذا الموقف. نحن إخوة وعلينا أن نتعاون تعاوننا وثيقا وسوف نلتقي في تعز و نتفق على رأي. رجعت من الحجرية والتقينا في تعز. تشاورنا وقلنا ما هو الرأي؟ الأمور تتوتر، والمصريون يجندون أنفسهم بجانب السلال. قالوا الرأي أن لا ندخل في فتنة ولا نفجر معارك، نلتقي ونذهب إلى القاهرة، نذهب الحكومة بكاملها ومعها المجلس الجمهوري، فنذهب إلى القاهرة

ونبقى هناك وندعهم يتصرفون كما يريدون. والقبائل سيردون عليهم بنشورات. لم أوافق على هذه الفكرة. وافقت على أن نذهب ولكن ليس إلى القاهرة. فلنذهب إلى الأمم المتحدة حتى يسمع صوتنا. قالوا لن يستقبلنا أحد، وسنظل وحدنا، لأن العرب قد أصبحوا آلة مسخرة بيد عبد الناصر خلال حكمه. فقررنا أن نذهب إلى القاهرة وكان الإيراني متشددًا في هذا الرأي. ذهبنا إلى القاهرة. ولما وصلنا استدعينا لمقابلة المشير عامر وشمس الدين بدران وزير الحربية حينذاك. أنا لم أذهب، بل ذهب العمري والإيراني والوزراء وأركان حرب الجيش. لأن الذين ذهبوا إلى القاهرة حوالي ٦٠ شخصا، حملتنا طائرة مليئة. وصل العمري والإيراني إلى القيادة في القاهرة، ولم يكن المشير عامر موجودا. فسألا من الذي سيقابلنا؟ قالوا لهما شمس الدين بدران. قالوا نحن لسنا بهذا المستوى، سنرجع. فرجعوا والأستاذ (نعمان) كان ملهما حين تأخر. دخل الوزراء والضباط عند شمس الدين بدران. جلسوا بالترتيب وجلس شمس الدين بدران ومعه حسن صبري الخولي وسفير مصر في اليمن اللواء أحمد شكري الذي كان مديرا في اليمن وبسط بين يديه جريدة النهار وفيها مقال وصورة البرقية التي أذيعت سابقا من إذاعة عدن (التي كانت ما تزال تحت الاحتلال البريطاني). وعنوان المقال "هل سيتكرر في اليمن ما حدث في ٢٨ أيلول (سبتمبر) في سوريا؟" ويقصد الانفصال؟ وسردوا القضايا والقصص، وصورة للمذكرات التي حررها القبائل، والقرارات والرسائل إلى المشير عامر وجوابه عليها وغير ذلك. سألوا: من الذي خان، من الذي نقل هذه الشفرة؟ أما واحد منكم أو من الذين لم يأتوا. وقف رئيس أركان حرب الجيش اليمني علي سيف الخولاني وقال: "من فضلكم، هل تسمحوا لي بأن أتكم؟ قال له شمس الدين بدران: "أنت لا تتكلم ولن تتكلم. إنما أنت تسمع فقط." فضرب علي سيف الطاولة بيده وقال نحن سوف لن نستمع لك ولن نبقى، ومع السلامة. خرج اليمنيون وهم يتذكرون كيف سمعوا الرئيس الملهم وكيف كان الموقف. رتب المصريون الخطة، وهو القبض عليهم في هذه الليلة، كل واحد في بيته. اجتمعت القيادة العسكرية العليا وخططت للغزو الكبير، لغزو شارع الدقي (في القاهرة، وهو في حي الدقي الذي توجد فيه السفارة اليمنية منذ أيام الإمام وعادة ما يتجمع

اليمنيون فيه). بعد رجوع الإخوة مما حدث لهم، اتصلوا بالقاضي عبد الرحمن الإرياني وقالوا لا يبقى أمامنا إلا الرجوع إلى اليمن الليلة. فقلت للقاضي الإرياني: "يا قاضي: لا يقضي القاضي وهو غضبان. وليس هذا هو الدواء." قال: "لا يمكن البقاء قط." وأنا لا أعلم ما جرى. وكان ذلك يوم الجمعة ١٦ سبتمبر ١٩٦٦. قلت قصوا لنا القصة، ما ذا جرى؟ فقال: "الآن سوف آتي إليك." قلت له: "أهلاً وسهلاً." أتى الإرياني، وجاء العمري من بيته وبعض الوزراء والضباط. واجتمعوا عندي في البيت لتداول الرأي. فقلت لهم: ما دام الأمر قد وصل إلى هذا الحد، فإن الحل أن تتصلوا بالسفير اللواء أحمد شكري لتخففوا من حدة التوتر، ولتفاهموا مع الأخوة. وبينما كنا نحن في الأخذ والرد وتداول الرأي، فوجئنا بالعقيد نور يدخل ومعه عدة جنود، وزعهم في الصالة وكلف أحدهم بأخذ التليفون ومنع الاتصال. وقال: "عايز الاستاذ نعمان، أريد أن أعرف من هم هؤلاء؟" فقلت: ادخل. هؤلاء الإرياني وأنا عندي عائلتي. وكان عندي بعض الإخوان وكانوا قد اتفقوا على مغادرة القاهرة والعودة إلى اليمن. وكانوا ينوون بعد الاجتماع عندي أن ننقل إلى السفارة (انقطاع قصير في الشريط). خرج الضابط وتكلم بالتليفون. انتظرنا ساعة. وبعد ساعة قال: الأستاذ نعمان والفريق العمري مطلوبون إلى المشير عامر. وظل الإرياني وبقية الأخوة باقين، ولكن الشوارع كانت مملوءة بالسيارات والبوليس والمباحث. قلت: وهو كذلك. سأدخل لأرتدي ثيابي لأنني كنت بالجلابية. نصفي "أدلة الجريمة تماماً"، وما يوجد من أدلة الجريمة؟ أوراق وكذا. صفيناها تماماً وخرجنا. ركب العمري في سيارة بمفرده وأرسلوه إلى بيته في مصر الجديدة. أما أنا وابن عمي محافظ تعز (أمين عبدالواسع نعمان) وسعيد مرشد، القائم بأعمال السفارة، فقد ركبنا بسيارة واتجهنا إلى مصر الجديدة، شارع الخليفة المأمون. وفوجئنا أن نرى أمامنا "السجون الحربية للتأديب والتهذيب والإصلاح"

«أبعد شيبى يبغى عندي الأدب»

دخلت بنا السيارة البوابة. وصلنا إلى عند اللواء حمزة الذي كان العميد حمزة وتمت ترقيته خلال الخطب وهو الآن معتقل (سنة التسجيل: ١٩٦٩). دخلت. قال:

أهلاً وسهلاً. لم أعلم ماذا همس المراقب في أنفه. تركونا وذهبوا. بقيت في السيارة مع السائق (الخاص بنعمان) الحاج عثمان عطية من السودان. حرصت على استصحابه حتى إذا أدخلوني السجن يعود ويعطي خبراً عن سجنى، فإذا بهم يدخلونه هو والسيارة، وإذا بي أجني على هذا البريء المسكين. أخذوه وأغلقوا عليه زنزانته ووضعوا السيارة في مكان آخر. وبقينا صامتين منتظرتين ماذا سيجري. أخيراً بعد أن طال المقام من الساعة التاسعة ليلاً وحتى الساعة الحادية عشرة ليلاً، قلنا: "نحن دعينا على أساس مقابلة المشير عامر وكنا نعتقد أنه في بيته في الجيزة." قال: "كلا، إنه في الحلمية." قلت له: "طيب." وخرج. وبعد وقت قصير رجع وكأنه يتلقى تعليمات. وكان خجلاناً. قلت له: "تريد أن نعرف ما هو المراد! هل نحن باقون أم نخرج؟" قال: "أفكر بأنكم الليلة ضيوفنا." قلنا: "وهو كذلك، ولكن أسمح لنا بالاتصال تليفونيا إلى البيت لجلب ملابس." قال: "كلا. اطلبوا ما تريدون فيحضر لكم." طلبنا ثياب النوم وسجادة الصلاة والمصحف. أخذنا وأدخلنا من ممر، سوق مغلق، فتحنا ودخلنا حوش آخر مغلق، فتحه ودخلنا إلى ممر طويل، الغرف على اليمين وعلى الشمال. دخلنا إلى غرفة رقم واحد في سجن رقم اثنين، لأن السجون الحربية مجمعة. فهذا السجن رقم اثنين والغرفة رقم واحد أقرب غرفة إلى المراحيض. كانت النافذة في أعلى الغرفة لدخول الهواء كأن الإنسان في بئر. الباب مغلق. والصراصير تعيش في دولا ب مهجور. والجدران ملطخة بالأوساخ. يعني سجون يمر عليها القتلة. وقد كتب أناس على الجدران: سارق ٧ سيارات، سارق ٩ سيارات، طالب من كلية عين شمس، أستاذ من الإسكندرية، كأنهم قد مروا في هذه الزنازن. وكانت الزنزانات على اختلافها معدة على أساس أن الزر الكهربائي من داخلها، فنزعوه، ليضيئوا للسجين من الخارج. وكان في الباب ثقب مفتوح أغلق بخشبة وسدّ. وسدوا النوافذ الأرضية المعدة لكي يتسلل الهواء فيدخل ويخرج، حتى لا يرى أحد هذه الإصلاحات التي أدخلتها الثورة لتصفية آثار الاستعمار؟ وكانوا يغلقون الأبواب من الخارج. وإذا أردت الذهاب إلى الحمام عليك أن تفرع الباب. فكنا نقرع فلا يفتح لنا أحد، لأنه لا يفتح إلا حينما يريد هو في الساعة المعينة. إذ يوجد مئة سجين ومئة زنزانة، ويجب أن يخرج كل واحد بمفرده حتى لا يرى

الآخرين ولا يرونه، حتى لا يعرف من في السجن. وإذا قرع الإنسان هجموا عليه. مرة اضطررت للقرع ثلاث مرات. قال لي: "أقول لك بعد خمس دقائق." قلت له: "شوف، عداد البول ليس في رأسك. أنا محاصر وتقول لي بعد خمس دقائق! لا نريد حرية القول. أعطونا حرية البول." استلطف الحكاية وقال لي: "اخرج ولا تكرر ها ثانية." قلت له: "حاضر." كانوا فاتحين مرحاض واحد على الرغم من وجود ثلاثة مراحيض وثلاثة حمامات حولت غرف. هكذا رتب الاستعمار أكثر من مرحاض. أما هم فجعلوا مرحاض واحد لمئة زنزانة. وقلعوا الدوش وحولوه إلى مزبلة. وقلعوا الدوش الثاني وحولوه إلى زير. وعلى السجين أن ينظف المرحاض، وينزح الماء ويملا الزير، ويغترف الأذى. هكذا طلب من المصريين، أساتذة ومدرسين من حزب الإخوان المسلمين. أما نحن الضيوف فلم نكن مكلفين بذلك. بل من حقنا أن نتأذى في الغرف إذا شئنا ويعطونا "قصریات" يحملها السجين الآخر المكلف بمسح الأرض والمراحيض. حتى أننا مرة كنا في حالة ضيق من الوضع. قلت له: "إلى متى السجن." قال: "سجن! لا تقولها، أنت ضيف، أنت لا تعرف من هو السجين، السجين يضرب بالكرابيج، السجين راقد على البلاط والكرابيج على رأسه، حامل الجزمات. من الذي ينظف لك المرحاض، من يحمل الزبالة، من يحمل الماء.

س — كم بقيت من الوقت هناك في السجن؟

ج — بقينا تسعة أشهر وعشرة أيام في الزنزانة، ثم نقلنا إلى سجن القلعة. وهكذا لم يكن أي سجين يعرف عن غيره، ويلاقي العذاب نفسه، يأنس لنفسه، لا يتكلم مع أحد، ولا يكلمه أحد. لا يري الشمس ولا يعرف من أين تشرق، ولا يعرف أي شيء وهو في الزنزانة. يرمون له الأكل في الوقت الذي يريدون. يعطيك الفطور الساعة ١٢، ويعطيك الغداء الساعة ٦ بعد الظهر، ويعطيك العشاء في منتصف الليل. يوقظك وأنت نائم. والسبب أنهم يستخدمون عددا محدودا في السجون حتى لا تنتشر الأخبار. أحيانا عندما يجدون من يأنسون به يشكون حالتهم.

دخلنا الزنزانة في ١٦ سبتمبر ١٩٦٦ وبقينا حتى ١٥ يونيه ١٩٦٧ بعد الهزيمة في الحرب مع إسرائيل بعشرة أيام. ولم نكن نسمع أو نعرف عن الحرب أي شيء إلا حينما فتح علي الباب أحد السجانين كأنما يريد أن ينتقم من الهوان الذي حصل منهم ليتشفى كأنه منتصر، وقال لي: "عم نعمان، الفرج جاء." قلت له: "هل سيخرجوننا؟" قال: "كلا. ليس كذلك، جيشنا انهزم، وإسرائيل في السويس، والرئيس استقال، وكلهم استقالوا وسيكون حكم جديد." قلت له: "ماذا تقول؟ دع عنك هذا الهزار." قال: "بشرف أبي إنني أكلمك من صحيح وسوف آتيك بالجريدة. وذهب ليطلب الجريدة لأنه كان في ذلك اليوم مثل السكران. ومدير السجن حمزة بسيوني الذي كان قد قضى ١٣ سنة مسئولا عن السجون الحربية قد اعتقل بتهمة أنه من فريق المشير عامر. انطلق المسجونون والسجانون مرتاحين بالكلام وبدعوا ينفسون علينا. وفي تلك الليلة، ليلة الإنفراج هذه، كانت الحراسة مسئولية هذا السجان، فجاءني بزميل قديم لم أكن أعلم أنه دخل السجن، وهو محمد حسن صبرة، وكان مديرا في مكتب رئيس الوزراء. جيء به من إحدى المستشفيات بعد أن مرض وأشتد عليه المرض في الزنزانة نقلوه إلى المستشفى. فلما قامت الحرب واحتاجوا للمستشفيات أعادوا المسجونين إلى السجون. قال محمد حسن صبرة: "أريد أن أرى الأستاذ نعمان." قال له السجين: "الليلة ستذهب إليه." وفي الليل فتح الزنزانة وأدخله ثم أغلق علينا. التقينا كأننا خارجين من القبور. كل واحد يري الآخر في شكل غريب، وكل واحد يتحدث من جلده وليس من لسانه. وبعد قليل جاء السجان بابن عمي الذي كان في زنزانة بالقرب مني. فتح له وإذا بابن عمي مصاب بداء السكري متعب. سأل: "ألا يوجد فرج؟" قلنا له: "فرج فوق ما تتصور." قال: "لا تطلقوا أملنا في حدوث فرج كبير دون فائدة." قلنا له: "اقرأ الجريدة." هذا يوضح الصورة التي كانت نفوس الناس قد وصلت إليها.

بعد هذا نقلونا وجاء الأمر من القائد العام الجديد بإلغاء السجن عن اليمينيين والسماح باختلاط بعضهم ببعض. وإذا بنا نلتقي بالمجموعة الموجودة كلها، وزير الخارجية، ووزير التربية والتعليم، ورئيس أركان الحرب، العقيد والملازم فلان،

إلخ. فكانت فرحة وانطلاقة في السجن، لأن الناس كانوا يشعرون أنهم قد قبروا أحياء وأن الحياة لم تعد من نصيبهم أبدا. ولم يكن الإنسان يؤمل في هذا. بعد عشرة أيام من هذه اللقاءات، جاء الأمر بأن انتقل إلى القلعة. لم يبلغونا بأن ننقل إلى القلعة، إنما قالوا انقلوا أغراضكم واخرجوا. فدخلت الفرحة قلوبنا على اعتبار أننا كنا ذاهبين إلى بيوتنا. وإذا بنا نلاحظ أن السيارة تنطلق بنا إلى سجن القلعة، وإذا بنا ندخل إلى سجن جديد. عندئذ اشمأزت نفوسنا وكنا نفضل أن نبقي هناك لأننا كنا مرتاحين مع إخواننا وفي الصحراء. ومادام الحبس الانفرادي قد زال فلا يهمنا شيء. قال: "والنبي أتتنا توصية بكم من محلات عليا من أجل راحتكم." قلنا: "أترىحوننا بهذه الراحة؟ أنعيش هنا وحدنا! ماذا نعمل؟" أدخلونا إلى القلعة وإذا بهم يأتون بالعمرى إلينا وكان في المستشفى. ثم جاءوا بسعيد مرشد وكان قد نقل أيضا إلى المستشفى. فجمعونا في سجن القلعة. وبقينا نقرأ الجرائد ونسمع الراديو. وسمعنا بوجود لجنة ثلاثية (شكلها مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الخرطوم في آخر أغسطس ومطلع سبتمبر ١٩٦٧). وسمعنا ذات يوم من إذاعة لندن أن اللجنة الثلاثية وصلت إلى لبنان للاتصال باليمنيين، وأنها طالبت عبد الناصر بالإفراج عن المعتقلين ومن بينهم الأستاذ نعمان والفريق العمرى. فكنا نسمع الإذاعات ونرتاح. وذات يوم فوجئنا بهم يأخذون منا أجهزة الراديو، وإذا نحن في غم. سألناهم عن السبب، قالوا: "والله ما هو من أجلكم." أصبحوا يأتون لي بالأكل من البيت يوميا. فبدأت الأمور تخف ونحن في القلعة لكن لا نكتب ولا نقرأ (انقطاع في التسجيل).

أصبح وزير الحربية (شمس بدران) عندنا في سجن القلعة. أدخلوهم (انقطاع ...)

ونحن نجول وندور في الطابق الأعلى، ومسموح لنا بأن ندخل المراحيض. وكنا نرى حينما نخرج شمس بدران ونحييه (انقطاع ...).

وكنا نبقي كل الوقت نسمع ونتابع تحركات اللجنة الثلاثية. كان بعض السجنانيين يأتون ويطمئنوننا ولكن لا يصرحون بشيء بوضوح. وبعد أن قضينا ثلاثة أشهر واثنا عشر يوما، بالتمام سنة واثنان وعشرون يوما، جاءت اللجنة

الثلاثية مصممة على إخراجنا من أجل أن تعرف رأينا في قضية اليمن. حينما جاءوا ليخرجونا ألح العمري على أن لا يخرج، وأصر على الرجوع إلى السجن. ألححت عليه وقلت له سنخرج لكي نشكو حالنا، لأن لا أحد ينظر إلينا ونحن داخل السجن. فدعنا نخرج لنشكو حالنا إلى اللجنة الثلاثية. أخرجونا إلى قصر الطاهرة الذي ينزل فيه رئيس وزراء السودان محمد أحمد محجوب، رئيس اللجنة الثلاثية. وجاءوا بالإرياني من منزله، والتقىنا الثلاثة في القصر، نرى الدنيا وجمالها. صعدنا وجلسنا مع محجوب، فقلنا له: "قبل أن تبحثوا قضية اليمن، ابحثوا قضيتنا. بأي ذنب قتلت؟ لما ذا نحن في السجن؟ من أجل ماذا نحن هنا. العرب ملأوا الدنيا ضجيجا لأن ملك المغرب اعتقل الصديق بن محجوب بسبب خروجه على القانون في بلده (وكان مندوب المغرب أحد أعضاء اللجنة الثلاثية). ونحن حكومة بكاملها وأقطابها ورجالها مسجونون مهانون ولم يسأل أحد عنا. نحن لا نطلب شيء إلا أن نعامل معاملة حسنة. حسنوا أحوالنا ودعونا هنا إلى أن تفتحوا الصين إن شاء الله". قال محجوب: "سوف لن أتكلم إلا فيما بعد، لأنني قد تعبت وقلت للرئيس عدة مرات على الأقل دعهم يخرجون لنسمع رأيهم. قال لي أطلع إلى السجن وأسمع رأيهم. فقلت له ولو طلعت إلى السجن وحبسوني هناك من سيخلصني ومن سيطالب بإطلاقي!" أخيرا قال محجوب: "إن شاء الله الفرج الليلة، فمندوب العراق إسماعيل خير الله سيقابل الرئيس وسنرى." قلت لإسماعيل خير الله: "ما دمت ستقابل الرئيس لم يبق لنا أمل إلا فيك. نحن دائما لا نهتف إلا بالرئيس، وما اجتذبنا للعروبة إلا الرئيس. وهؤلاء الذين ادخلونا السجن قد رأى فيهم الرئيس ما يسوؤه، عامر وأصحابه. لم يبق إلا هو مخلص، نريد أن نضعه مع القديسين. ثم قلت له تصور، عند ما كنت في السجن قيل لي إننا ضيوف في السجن وكان البرد قد أشد علينا، نريد دفء القليل من الشمس، نريد شيء من الماء النظيف لنغتسل به، أي شيء أعطونا إياه." قال: "ألم تقل شعرا؟" قلت له: "عادة لا أقول الشعر ولكن الحاجة وعدم القلم والورق جعلتني أعود إلى سنة العرب وما كانوا يفعلون وهم لا يكتبون ولا يقرءون. فقد كانوا يسجلون خواطرهم شعرا. وهكذا رأيت أن أهون على نفسي

في السجن وأقضي بعض أوقاتي بنظم شعر يصور الخواطر التي تمر بي. فمن
الخواطر التي مرّت بخاطري أيام الشتاء:

منوا ورقوا بأهل مصر	ففـيكم الذوق واللطافة
ونحن في سجنكم بخير	لا جوع، لا عري، لا مخافة
فأكملوا فضلكم علينا	بالشمس والجو والنظافة
جاوزتموا الحد في قرانا	حتى اختتننا من الضيافة
الضيف من حقه ثلاث	من الليالي بلا إضافة
لو زاد يوما أو بعض يوم	يكون في منتهى السخافة
فسرحوه بلا وداع	وطاردوه بدون لهفة
صبوا على رأسه رمادا	وما تبقي من الكنافة
ثم اكسروا الزير من وراه	وأحرقوا بعده الحافة
يغنيكم الله من ضيوف	كانوا لكم محنة وآفة

فضحكوا قليلا وثرثروا.

س - هل يصل هذا الى من ينشره؟

ج - كلا. لا يوجد لا ورق ولا قلم. لكنني بعد أن خرجت سجلت كل ما كنت
قد ألّفت في ذاكرتي من أشعار.

وبعد هذه الجلسة تبادلنا الرأي مع اللجنة في القضية، فقالوا إن شاء الله سنقابل
الرئيس وينتهي كل شيء. فقلت لهم: "ولكن نحن نريد أن نقضي بعض الوقت
عندكم لنذوق طعام أهل الدنيا اليوم ونرى جو الدنيا. فإذا سمحتم مروا بزيادة الغذاء
لنستمتع بقضاء بعض الساعات خارج السجن." قالوا: "وهو كذلك." وقضينا الوقت
نأكل ونستمتع هناك في قصر الطاهرة. ظن الإخوة في السجن أننا قد أطلقنا من
السجن، فقلنا لهم: "كلا. نحن راجعون." قالوا: "تريد أن تخرجوا." قلنا لهم: "نحن
لم نخرج من أجل أغراضنا وحقائبنا."

كنت في الزنزانة محروما من إمكان القراءة والكتابة، استعرض شريط الحياة، واستعرض الأيام والأشخاص والعلاقات. وكانت الذاكرة تسعفني بذكريات من الصغر كانت قد اختفت، ولم أكن أتذكرها خلال الانهماك بشئون الحياة. منها أذكّار، وأحيانا أدعيات إلى الله وضراعات، وأحيانا آيات قرآنية كنت قد نسيتها، وأشعار، وحكم. فكنت أظل أسرح فكري وأتساءل أين كانت كل هذه وكيف تعي ذاكرة الإنسان. فقرأت في الأيام الأخيرة لوزير الدفاع الأمريكي السابق روبرت مكنمارا كتاب اسمه "جوهر الأمن" تحدث فيه عن أن الناس بدعوا يعتقدون أن ظهور العقل الإلكتروني سيلغي عقل الإنسان. ثم قال ولكن أنا أقول لهم كلا، لأن هذا العقل الإلكتروني من ثمار عقل الإنسان. إن في دماغ الإنسان، الذي لا يزيد وزنه على أوقيتين، عشرة آلاف مليون خلية، يوصل بينها خمسة وعشرون ألف موصل. فلو أردنا أن نضع عقلا إلكترونيا بقدر عقل الإنسان لاحتجنا لمثل مساحة الأرض. بقيت استتبط من الذاكرة وما توحى به وما يفيض منها. فكنت أجد في هذا عزاء في وحشة السجن. وصورت هذا في أبيات قلت فيها:

لا يشتكى منها ولا يتوجع
ليظل في ظلماته يتلدع
ندعو الإله على الدوام ونخشع
نجترها ونلمها ونرقع
ماتت وأفكار نيام هجع
ولساننا يشدو بها ويرجع
فكأنها الشمس المنيرة تسطع
متوافدات صاعداً شرع
للكائنات بعقله مستودع

حظروا عليه بكاءه وأنينه
حظروا عليه صلواته وكتابه
أما الصلاة مع الدعاء فإننا
وقراءة القرآن من أذهانا
وشوارد نثرا وشعرا في الحجا
خرجت من الأجداث تسترق
الخطى
فالنفس حين صفت تألق نورها
وإذا الخفايا في عميق بحارها
ماذا حوى الإنسان في أعماقه

لقد كنت أرى أن الحياة أحيانا بمشاغلها تحجب الكثير من الحقائق التي في نفس الإنسان، ومن الصور التي سجلتها الذاكرة، أو ما في خلايا الدماغ، الملايين من الخلايا وما تخزن، كأنها تساعد الإنسان في وقت صفاء النفس أو انقشاع الهموم عنها، فتعود هذه الأشياء.

كنت استعرض وأتذكر وأقول من أين وكيف بدأت حركتنا هذه؟ ومن قلدنا فيها. وانتقلت إلى أن سوريا التي كانت من الطلائع التي بدأت فيها فكرة العروبة في العالم العربي. إلى متى يرجع هذا؟ إلى أيام الخلافة العثمانية حين بدأ رجال الشام دعوتهم. كانوا من طلائع الانفصال عن الدولة العثمانية منطلقين من فكرة أن العنصر العربي مضطهد من الأتراك. فبدعوا يوحون بهذه الفكرة العربية. ولكن كان للعرب مضمون هو الديانة الإسلامية. إذا، عند ما جاءت الدعوة الإسلامية كانوا في الجزيرة العربية عبارة عن لصوص وقطاع طرق يعيشون في جهالة عمياء إلى حد أنهم كانوا يدفنون بناتهم أحياء من العار. جاء الإسلام ليحرر العقول ويخرجهم من ظلمات الجهل والبداءة. حينما انفصل العرب عن الأتراك لم يتمسكوا بروح الدين وجوهره، وتلك الدعوة التي كانت منبعثة من جهة متسامحة غير متعصبة ضد دين من الأديان. لم يكن الإسلام في جوهره روح تعصب. فما جاء في القرآن "لا إكراه في الدين". وفيه: [قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ...] (البقرة، ١٣٦). فكانت روح الإسلام روح تسامح. فقلت نحن أيضا جلبنا إلى اليمن هذه الدعوة العربية وقلدنا الآخرين في حركتنا. ولكن حينما فوجئنا بأن العروبة تصنع بنا هذا الصنيع، وتدخلنا في ظلمات السجون، وتتفنن في تعذيبنا العذاب النفسي إلى أن تحرم علينا أن ننطق، وتحرم علينا أن نسمع، وتحرم علينا أن نرى الوجود وأن نرى الشمس، أي بشر هؤلاء! أي معني لهذه العروبة! كانت كل هذه الخواطر تعتمل في نفسي وأنا أستعرض النهضة العربية واليقظة العربية وكيف تاه الناس عنها، ضربوا بدون علم وبدون دراسة. فقط يهتفون للعروبة ويموتون في سبيلها وهم لا يفقهون منها شيئا. إنما

يرددون "تعيش العروبة، في سبيل العروبة." فما محتوى هذه العروبة؟ هل حقيقة جمعت العنصر العربي وألفت شمله؟ أبدا. إنما كانت أسلوبا من أساليب تمزيق الشعب العربي، وأتخذها بعض الماكريين من القادة وسيلة من الوسائل وشعارا يرفعون ليتوصلوا به إلى السلطة لا غير. ولكن هل أفادونا؟ فنحن أتينا من اليمن بكل براءة وبكل إخلاص مؤمنين بهذه العروبة لتأتي إلينا وترفع من مستوانا وتأخذ بأيدينا. ولكن لم تأت إلينا إلا لتفعل العكس حتى أدخلتنا إلى هذه الزنازن التي نعاني فيها. إذا، لا بد أن هناك شيء مفقود يجب أن نبحث عنه. ما هو الشيء الذي يجمع شمل العرب حقيقة. ثم قلت:

كل شر ومحنة وخصام	ما كسبنا من وحدة العرب إلا
من شقاق ومن صراع دام	فدعونا من وحدة العرب نهذا
وكما شاء تحت أي نظام	كل شعب كما يريد ويهوى
جمع الأمس فارسا بالشام	وكفى بالإسلام جامع شمل

تأمل أن الدعوة الإسلامية عندما كانت دعوة محبة وأخوة وصدق، وكانت الرسالة السماوية رسالات نظيفة وطاهرة، استطاعت أن تلم البشر وأن تؤلف بين الأسود والأبيض وأن تجمع الناس على اختلاف لغاتهم حول عقيدة واحدة، وحول أهداف واحدة، ولكن هذه العروبة جاءت لتمزق الشعب العربي تمزيقا. كيف كانت فارس والشام؟ كيف دخلت هذه البلدان التي كنا نقول إنهم أعاجم؟ كيف اعتنقوا هذه الدعوة الإسلامية وكانوا من أكبر أنصارها. هذه كلها من الذكريات التي مرت في ذهني. في ليلة من ليالي الكرب حقيقة، والإنسان في السجن يكاد يختنق، أشير إلى الذكريات التي فاضت في النفس، وقلت كأنها جاءت لتطلب منا أن نكتب الماضي كله وأن نحاسب عليه.

ومضى شريط الذكريات بذهننا نتصفح الأيام بابا بابا

أحبابنا، ذكرياتنا، المنازل التي نمنا فيها، الإخوان الذين كانوا لا يقدرون ظروفنا وهم عاتبون علينا لأننا لم نحقق لهم شيئا وإنما سببنا لهم المتاعب. لكننا

نحن كنا أيضا مخدوعين بقوم كانوا هم أيضا مخدوعين بشعارات جلبوا بها المتاعب على بلادهم وعلى أنفسهم. هذا جانب من الذكريات. حينما وردت هذه الأسئلة كانت نبشا للماضي، لا بد أن يحتاج إليه الإنسان يوما ما.

ثم انتقلنا بعد الخروج من السجن في مصر إلى بيروت. وحدث تغيير في اليمن، لأن اليمنيين في الواقع فوجئوا بشيء لم يخطر على بالهم. كانوا يعتقدون أن مصر دخلت اليمن ببواعث إنسانية. إذ كانت تعلن أنها دخلت لإنقاذ الإنسان اليمني من التخلف، ولتعيد إليه الكرامة الإنسانية التي كرمه الله بها. كان هذا الانطباع عند كثير من اليمنيين الذين لم يفقهوا ولم يدرسوا هذه الدعاوات وهؤلاء الحكام الذين اتخذوا الشعارات مبررات فقط كي يتمسكوا بالسلطة ولكي يحاربوا الدنيا وكل شيء من أجل هذه السلطة ولو احترقت الشعوب في سبيلها. فبدأ اليمنيون ينقبضون من التصرفات التي رأوها. وكان هذه القوات ما دخلت إلا لكي تجعل من اليمن قاعدة تنطلق منها نحو شبه الجزيرة العربية. وطالت المعركة في اليمن. وكان من الممكن أن لا تطول ولكن لكي يتخذوا منها مبررا للبقاء في اليمن. كانوا يوسعون الحرب ويختلفون الأسباب والمشاكل. فحينما انسحب الجيش المصري من اليمن بدأ اليمنيون يتنفسون الصعداء. ولكن كان هناك مجموعات مضللة بالشعارات مستمتعة بها، ترى أن التحدث أو الإساءة إلى الجيش المصري أو الحديث عنه يفضي إلى القتال، وهكذا ستدور حرب أهلية. فكان أول شيء هو تنحية السلال لأنه كان يمثل ركيزة للقوى الخارجية داخل اليمن. وقد ضاقت اليمن به ذرعا وعملوا على إخراجه من الحكم باعتباره تابعا للقوات المصرية. وبعد أن خرجت هذه القوات لا بد أن يخرج ركانزها من السلطة. وتشكل المجلس الجمهوري بدلا عن رئيس الجمهورية ورشحت أنا لأكون عضوا فيه لكنني رفضت نظرا للظروف التي أوردناها في الحديث السابق، وهو أنه لا بد من إعادة دستور خمر وقراراته، ولا بد من التعاون مع اللجنة الثلاثية التي انبثقت عن مؤتمر الخرطوم لكي يوجد بين اليمنيين جميعا نوع من التفاهم حتى لا يبقى منقسما إلى قسم ملكي وقسم جمهوري. لأن الكل يمنيون. وما حدث من حرب وانقسام كان بفعل الغزو المصري لليمن، فهو الذي أوجد هذا الشقاق، وأوجد الانقسام بين اليمنيين. وهم كلهم ليست لهم عقائد

مختلفة، ولا لغات ولا قوميات تستغل كما في سائر البلدان الأخرى. إنما كلهم يمنيون وكلهم عرب مسلمون، يتحدثون لغة واحدة، ولهم تقاليد واحدة، وعادات واحدة. ولكن حين لم يجدوا أن هذا مسيحي وهذا مسلم، أوجدوا ملكي وجمهوري. يعني نقلوا لنا الوباء الذي صنعوه في البلاد العربية ليمزقوا به شعوبها. أرادوا أن ينقلوه إلى اليمن. لم يجدوا قوميات ولا ديانات مختلفة ولا جنسيات (جماعات عرقية) مختلفة، لا أكراد لا أروام، لأن هذا مفقود في اليمن الذي كله شعب واحد، ولا وجود فيه لملة أخرى ولا لجنس آخر. كان اليمنيون متضايقين من هذا التقسيم. فلما نحي السلال، بقيت هناك أسلحة مرتبطة أيضا بالتعليم الخارجي وبالنفوذ الخارجي، حتى أن القيادة التي كانت وعلى رأسها الإرياني كان مسيرا لا مخير، اتخذ القرارات ضدي (التجريد من الجنسية اليمنية) دون أن يكون راضيا عنها ولكنه لم يكن قادرا على منعها. وظل الصراع الخفي بين القوى اليمنية الخالصة وبين القوى المتأثرة بالنفوذ الخارجي. لكنهم بدعوا يتراجعون شيئا فشيئا ويترحون الآراء التي تدعو المواطنين لأن يلتقوا على صعيد واحد. فثارت ثائرة العملاء كما يسمونهم ونحن نقول المتأثرين بالنفوذ الخارجي عن جهل. لما رأى هؤلاء أن الإرياني والقيادة بدأت ترجع إلى طريق العقل وتدعو الملكيين اليمنيين لأن يعودوا إلى بلادهم، لأن الوطن مشترك للجميع، ثار أولئك المتأثرون بالنفوذ الخارجي وقالوا إن الجمهورية ستباع للملكيين، وكأن الجمهورية سلعة في نظرهم وليست نظاما. لأنهم لا يفقهون. الجمهورية عبارة عن كنز أو ثروة تسلم للأجنبي. حملهم هذا لأن يوجهوا كل أسلحتهم من الصواريخ والمدفعية والمظلات والصاعقة ليدمروا صنعاء. وكان هذا في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٦٨، وليضربوا القصر الجمهوري الذي يعمل منه القاضي عبد الرحمن الإرياني والعمرى وكل الأشخاص الذين بدعوا يتراجعون ويرون أن استرجاع اليمنيين اليوم إلى وطنهم أصبح أمرا لا مناص منه، وأنه لا فرق بين الملكي والجمهوري. كلهم يمنيون. فأنذر هؤلاء بوقف هذه الهجمات، فلم يقبلوا. أرسلت القيادة إلى القبائل، والقبائل هي القوة الضاربة في اليمن والتي لا تزال على خطتها. ودخلت القبائل إلى صنعاء وأطبقت على هذه الأسلحة: الصاعقة والمظلات والمدفعية والمشاة، على أربعة أسلحة ودمرت

قواعدهم ومدارسهم واستولت عليها وسيطرت على الموقف. ونفوا هؤلاء إلى الخارج.

في هذا الوقت من أغسطس سنة ١٩٦٨ بدأت الأمور تتجلي في اليمن وتتفتح انفتاحا آخر. وبدأت الدعوة تعتمد على اليمنيين أولا وقبل كل شيء. فأقبل الملكيون الذين كانوا لاجئين في السعودية والذين كانوا في الكهوف والجبال، وبدءوا يتوافدون إلى صنعاء، ومنهم قادة كانوا يقاتلون قتالا مريرا ضد إخوانهم الجمهوريين أيام وجود المصريين. ما حدث لليمن واستمر لسنين، من الممكن أن يكون درسا للبلاد العربية، بينما نرى في سوريا اليوم لا يقبلون أن يعود إلى البلاد إخوانهم بل أسأذتهم. وليس بينهم إلا خلافات فكرية. ففي اليمن يفتح الأخ على أخيه الذي كان يطلق عليه الرصاص ويصوب عليه الرشاشات ليدخل ويقاسمه في كل شيء، في أرضه وفي السلطة وفي أي مكان. بدأت هذه الروح الآن تغطي في اليمن، وإذا بهم يعيدون لنا اعتبارنا، ويبحثون إعادة الجواز الدبلوماسي الذي كان سحب عند ما كان البيضاني هنا (سفيرا في لبنان). والبيضاني هذا بوجه صريح لم يكن يمنيا حقيقيا في فترة من الفترات، ولكنه استطاع أن يحصل على جواز يمنى وينتسب لليمن. فاتخذته الحكومة المصرية أداة لها وسلطته على أبناء اليمن بحيث كانت السفارة في لبنان عبارة عن وكر للتجسس على اليمنيين إلى أن جاءت هذه القيادة الجديدة فأخرجته من السفارة وأدانتته بالسرقات.

س — حدثنا عن نشاطات حركة الأحرار في اليمن؟

ج — أية حركة أو دعوة لا بد أن تلقى معارضة وخلافا. أية حركة في الوجود تقوم، حتى دعوات السماء والرسل. تفرق حتى أتباع الرسل. هذه دائما أشياء طبيعية. حتى أنهم يجعلون الخلاف بين الأمة رحمة. النبي يقول اختلاف أمتي رحمة، وفي القرآن [ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك. ولذلك خلقهم...] (هود، ١١٨ — ١١٩)، أي أنه خلقهم للخلاف. فهذه الخلافات والانشقاقات شيء طبيعي. سنة الخليفة.

بدأت حركة الأحرار تقليدا للحركات في البلاد العربية. حينما كنا نرى أن البلاد العربية ديموقراطية، فيها برلمان وصحافة وأحزاب، وكانت اليمن لا تزال محكومة برأي الإمام، ليس هناك أحد له حق التصرف أو أن يبدي الرأي إلا الإمام وحده. فبدأت حركة الأحرار على هذا النحو. ونشأت وكان من روادها في بادئ الأمر داخل اليمن مجموعة هم: محمد المحلوي، والسيد أحمد المطاع، وعبد الله العزب، والعزي صالح السنيدار من أبناء صنعاء. وكان هؤلاء على اتصال بي وأنا في الحجرية. وكان عندنا مدرسة ونادي يستقدم الصحف من الخارج، وقد كان هذا شيئا غريبا في اليمن، ونادي للمحاضرات ومكتبة للمطالعة.

س - ما هو نوع الصحف التي كنتم تجلبونها؟

ج - كانت الصحف تأتي عن طريق عدن من مصر. كانت تأتي صحيفة "الشروق" وهي أهم صحيفة كانت تقرأ. ثم كانت تأتي صحيفة "الجهاد"، وصحيفة "كوكب الشرق"، و"الأهرام" و"المقطم". لكن حدود الاهتمام وحدود طاقتنا على أن نقرأ ونفهم جعلنا أكثر قراءة وفهما لجريدة "الشورى" التي كان يصدرها أبو الحسن محمد علي الطاهر. فبدأ الاتصال بيننا وبين هؤلاء الإخوان في صنعاء وعلى رأسهم السيد أحمد المطاع. كان يأتي من صنعاء إلى لواء تعز بمهمة رسم خريطة لليمن كلف بها من الحكومة. فلما رأى النادي ورأى هذه النهضة أراد أن يرتبط بها وأن يوجد بيننا وبينه ارتباط. ونحن كنا نأتي بهذه الكتب إذ كان هناك أحد حكام الإمام وهو القاضي حسين الحلالي وبعض أقاربي، أخي الأكبر الشيخ علي محمد نعمان وعمي محمد أحمد نعمان، كانوا أيضا موظفين مع الدولة وكانوا مقيمين في الحدود ما بين اليمن وعدن (ما بين مملكة الإمام والمحميات). فكانت تأتي إليهم الكتب الحديثة والصحف فيرسلوها إلينا إلى مدرسة الحجرية ونادي الإصلاح في الحجرية أيضا، وهذا أول ناد في اليمن.

وحينما خرجت أول بعثة مصرية في عهد الملك فؤاد إلى اليمن سنة ١٩٣٦ زارت الحجرية ورأت النادي والمدرسة وكتبت شهادة بأن هذا من بواكير النهضة الموجودة في اليمن. وكان زميلنا في الحجرية محمد أحمد حيدرة.

وأثناء الحرب السعودية اليمنية الذي هزمت فيها اليمن أمام السعودية حتى وصل فيصل إلى الحديدة، وفيصل بن عبد العزيز آل سعود هو الآن ملك، واحتل أكثر المدن التهامية من حدود الحجاز إلى مدينة الحديدة. وكان ذلك بسبب الخلاف بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود. وتطور الخلاف إلى حرب بين البلدين سنة ١٩٣٤. ولكن كان السعودي يملك قوة حقق بها الانتصار بسرعة على الإمام يحيى واحتل مناطق كثيرة من اليمن، مما اضطر الإمام إلى أن يطلب الصلح. وتدخل لحل المشكلة من رجال العرب شقيب أرسلان وأمين الحسيني ومحمد علوبة باشا وهاشم الأتاسي. قبل أن تكون هناك دول عربية مستقلة جاءوا كأشخاص بغيرة على العرب والعروبة ووصلوا إلى اليمن والسعودية وأوقفوا الحرب بين البلدين وتوصلوا إلى صلح واتفاق. وهذا ما جعلنا نأسف لأن البلاد العربية وقد أصبحت دولا مستقلة لم تستطع أن تحل أية مشكلة في أي بلد، بل تضاعفت المشاكل. وبعد أن أنهزم الإمام يحيى بدأت قداسته تهبط وهيبته تتراجع. فتجراً السيد أحمد المطاع وأربعة من رفاقه على أن يقدموا مذكرة يطالبون فيها بتغيير طرق إدارة الحكم ويقدمون النصائح للإمام. وكان شيئاً غريباً على الإمام أن يتجرأ هؤلاء هكذا، فسيقوا إلى السجن. وهكذا كان أول اعتقال سياسي سنة ١٩٣٤. وظلت المخاوف في نفوسنا من أن يسري الحبس إلينا باعتبار أن لنا ارتباطاً بهؤلاء. ولكن بقينا نتربص لكي ننفذ من اليمن ونخرج إلى الخارج. وبالمصادفة وصل إلى الحجرية أحد اليمنيين سنكون فيما بعد سوية وشريكين في القضية ورفيقين وزميلين إلى أن استشهد، وهو محمد محمود الزبيري. كان عمه قاضياً شرعياً في صنعاء وحاكماً

من حكام الإمام ومستشاراً للإمام يحيى. مات والد الزبيري وهو يتيم، ولكن رزق شاعرية مبدعة. ولما زار مدرسة الحجرية في فترة من فترات هذه المدرسة، تأثر بما فيها من نهضة وأدب وصحافة.

س — لماذا زار مدرسة الحجرية؟

ج - جاء مرافقا للأمير السيد علي الوزير الذي كان يحكم لواء تعز. كان الزبيري هذا من جملة أولاد يرعاهم. فلما زار الأمير الحجرية كان الزبيري معه. فتكونت عنده انطباعات. ولم يحدثني ولم يتكلم معي، مع أنني أعرف أباه من أيام دراستي في زبيد، وهو القاضي محمود الزبيري، الذي أعرفه وكان بيني وبينه بعض الصلة بحيث كلفني أن أنقل له بعض الكتب بخط يدي من الإجازات العلمية التي تصدر في اليمن. كانوا بدلا من أن يكتبوا شهادة للطالب يكتبون له إجازة، والإجازة معناها تصريح لهذا الطالب الذي أخذ العلم بأن يعلم وأن يصدر الفتوى عن مشايخ العلم. ولفظ الإجازة: "أجزته رواية كل ما تجوز روايته، وتثقل درايته، من معقول ومنقول". فتصبح هذه الإجازة مثل الشهادة العلمية. عرفت أب الزبيري وأنا في زبيد أقرأ، وكتبت له هذه الكتب بخطي. فلما جاء ابنه هذا اليتيم الوديع وهو شاعر في طور الشباب، لم يعمل شيئا ضد الحكم لأن ذلك كان هذا محظورا. افترقنا، ثم حدثت ضجة حول مدرسة الحجرية. وحينما ثارت ضجة حول المدرسة من السيد علي الوزير الذي كان يحكم لواء تعز، أثارت ضجة بحجة أن هذه المدرسة تعلم أفكارا عصرية وتخرج الناس من عقائدهم وتعلمهم العلوم الجديدة وأنها ضد الإمام. فاستتجدنا بولي العهد أحمد الذي أصبح إماما بعد أبيه فيما بعد، وبعثنا له الرسائل إلى حجة، لكي نكون تحت حمايته وتكون هذه المدرسة تحت إشرافه، ويكون النادي تحت إشرافه. وأجاب علينا أيضا وشجع المدرسة. فعملت هذه الأمور عند الوزير شيئا في نفسه ضدنا. وظل يعقب علينا إلى أن وصل الأمر إلى إغلاق هذه المدرسة.

بعد إغلاقها وجدت أنه لا مناص من السفر إلى مصر على أساس أنني ذاهب للدراسة، لكن بيني وبين نفسي كنت أنوي أن أنشر عن المظالم التي تجري في اليمن. وكان يخيل لي أنه بمجرد ما تطرح القضية، سترتاع حكومة اليمن من الكلام عنها في الصحف في الخارج، وخاصة جريدة "الشورى" لأن صاحبها أبو الحسن كان يهاجم الحكام بجرأة. فكان الحكام يحسبون له حسابا كبيرا في اليمن، سيما وهو معروف أنه لا يرتشي ولا يكتب في جريدته حتى ولا إعلانا واحدا، بل يكتب فيها مظالم العالم العربي. فقلت سأسافر إلى مصر وجعلت مبرر

الخروج الحج. وفي الحج حدثت لي قضية، وهو أنني أردت أن أذهب إلى مصر من الحج، وكان جواز السفر غير متعارف عليه في اليمن، إنما يكتبون ورقة فيها اسم الشخص، وأوصافه الظاهرة، وسنه، ويوقع عليها أي حاكم من الحكام في منطقته. فكتبت هذا الجواز بنفسى. ودخلت به السعودية. فلما ذهبت إلى السفارة المصرية أريد السفر إلى مصر رفضوا هذا الجواز ورموا به على أساس أنه لا يعتبر جوازاً، فذهبت إلى جدة، إلى قائم مقام جدة، ابن معمر، ليكتب لي توصية إلى السفارة المصرية لتسهيل سفري، لأننى أريد أن أذهب إلى مصر، فأبدى اهتماماً بي. وكان سفير العراق موجوداً عنده، فسألته: "هل أنت عراقي؟" أجاب: "بماذا عرفتني!" قلت له: "ملاحك تدل على أنك عراقي." فقال: "هذا ذكاء يمني عجيب. تفضل، نعم أنا عراقي وسفير العراق، فماذا تريد؟" أخبرته قصتي. قال: "أتريد الذهاب إلى العراق، فأنا أيسر لك السفر بأسرع ما يمكن." قلت له: "وهو كذلك." قال: "هذا عنواني في السفارة تأتي إلي في الساعة الفلانية." وقد ذهبت لمقابلته. وبعد أخذ ورد معي في الحديث رتب مذكرة واتصل بالسفارة المصرية ورتب السفر على ضمانته لكي أذهب إلى مصر. وقال لي "أنا وجدت أن مثلك يجب أن يدرس في مصر لأن مصر أوسع علماً من العراق، وليس في العراق سوى مدارس محدودة حتى الآن." فقلت له: "لكن حيل بيني وبين مصر." قال: "تفضل، هذه ضمانتي ومذكرتي. وقد تفاهمت مع السفارة المصرية." ذهبت إلى السفارة المصرية فاستقبلني السفير بنفسه مرحباً وأعطاني التصريح بضمانة السفير العراقي.

ذهبت إلى القاهرة، وأول من سألت عنه هو أبو الحسن، أريد أن أذهب إلى أبو الحسن. هذا هو الغرض الرئيسى. ولكن المبرر للدخول إلى مصر أنى أريد أن أدرس في الأزهر. لكننى قلت لنفسى لن أدخل الأزهر لأن الدراسة في الأزهر لا تختلف عن الدراسة في اليمن، فلا بد أن أذهب إلى الجامعة المصرية. وبعد أيام، وفد الزبيرى إلى القاهرة. فبدأت أكتب في الصحف، في صحيفة الشورى. فجاء الزبيرى وأردت أن أردف القضية به. جاء الزبيرى من الحجاز، لأن علي الوزير كان قد تضايق من قدوم سيف الإسلام أحمد، ولي العهد الذي كنت أكاثبه، لينحيه

من السلطة ويقعد مكانه في لواء تعز. فهاجر الوزير إلى السعودية يريد أن يلوذ بعبد العزيز آل سعود. وكان الزبيري معه مرافقا. وصل الزبيري إلى مصر. وأول ما وصلها بحث عني. فجاء إلى الأزهر. وبقينا نتذاكر سوية ونتدارس. ودخلنا في مشاور من أجل القضية اليمنية. وارتبط بنا جماعة من أبناء الجنوب: محمد علي الجفري الذي هو الآن (عام ١٩٦٩) رئيس رابطة أبناء الجنوب العربي، وسالم الصافي وهو عضو في رابطة أبناء الجنوب، على أن نضع مخططا لتجمع نسميه "الكتيبة اليمنية". وهناك في مصر التقيت بالأمير شكيب أرسلان، ويلقبونه "أمير البيان". جاء من جنيف. وهو ممن ذهبوا إلى اليمن لحل المشكلة بين اليمن والسعودية وهو متعلق باليمن ويقول: "نحن وإن كان لنا سبع مئة سنة في لبنان لكننا من قبيلة لخم، وهي قبيلة من قبائل اليمن". تعرفت عليه عند أبو الحسن. وذات ليلة أراد أن يكتب مقالا، ولكن يده كانت ترتعش عند الكتابة، فسأل هل يوجد أحد يجيد الكتابة؟ قالوا له عندك نعمان. أملى المقال وأنا أكتب. فلما انتهيت من الكتابة استعرضه ولم يجد ما ينتقد. أعطى المقال للنشر وقال: "أستطيع يا ولدي أن تساعدني على الكتابة كل يوم حوالي ساعة؟" فانشرححت نفسي لأن أكون كاتباً مع أمير البيان واستفيد من علمه، فلازمته. وخلال ملازمتي له جاء الفضيل الورتلاني. تعرفت به عند الأمير شكيب أرسلان. وقد كان مهاجرا من الجزائر هاربا منها، وكان من أحرار الفكر في الجزائر. ارتبطت بالزبيري وبالورتلاني وكنا دائم الاتصال ببعضنا البعض. الورتلاني جزائري ولكنه نشيط في جماعات الأخوان المسلمين، وفي التحركات السياسية في مصر، وبخاصة في الجمعيات، وكان مفكرا عربيا كبيرا.

بدأت الاتصالات، وبدأت أكتب المهاجرين اليمنيين خارج اليمن وأنا مقيم في مصر، لإصدار صحيفة تعنى بشؤون اليمن. لكن حيل بيننا وبين هذه الصحيفة. وكان التفاهم بيني وبين الزبيري أساس العلاقات بيننا وبين القضية اليمنية.

وبعد هذا تركت مصر ورجعت إلى اليمن، فاستقبلني ولي العهد أحمد الذي كنت أكتبه أيام علي الوزير. فالتقيت به وقد أصبح يحكم المنطقة التي نحن فيها. فرحب بي. بقيت في تعز. وبعد فترة من الوقت وصل الزبيري إلى صنعاء من

مصر متأثراً بالأفكار التي كنا نتداولها. وارتبط بمجموعة من الشباب ليقدّموا للإمام يحيى مذكرة تطالب بتغيير الأوضاع. وكتب لي إلى تعز، فكتبت له أنصحته بأن لا يتعجل. فرد عليّ دون ذلك "أيمان وطيد وقلب أشد من الحديد وستسمع". وإذا بي أسمع أنه اعتقل هو وأحد عشر شخصاً في صنعاء. أما أنا فكانت أسير في هدوء مع أن الزبيري قبل خروجنا من مصر وجه لي نصيحة وقال لي إياك أن تصب أفكارك على مواطنيك صبا فتصدمهم. "قول معروف خير من صدقة". ولكنه أورد هذه الآية مازحاً وهو يقصد السجن في صنعاء واسمه "صدقة". ولما عاد إلى صنعاء من مصر كتبت له من تعز وقلت له: "قول معروف خير من صدقة". فأنت لم تهتد فيجب أن تتنبه." لم يصل كتابي إلا وقد أصبح في السجن. فقد اعتقل مع مجموعة من اليمنيين الذين ينتقدون الأوضاع وينكرون على الإمام. بقيت متعلقاً بالزبيري أريد إطلاق سراحه.

س — في أي سنة كان ذلك؟

ج — سنة ١٩٤١ ، لأننا كنا في مصر بين سنة ١٩٣٧-١٩٤٠. رجعت أنا في سنة ١٩٤٠ وهو رجع في سنة ١٩٤١ واعتقل. وكنت في تعز مديراً للمعارف بعد أن عينني ولي العهد أحمد في هذه الوظيفة. ولكنني كنت إلى جانب ذلك صديقاً لولي العهد أحمد، يأنس بي ويألفني، وكذلك ابنه محمد البدر.

ظل الزبيري حوالي تسعة أشهر يرسل إلى الإمام يحيى قصائد من السجن. ومن جملة ما وجه إليه قوله:

نور النبوة من جبينك يلمع والملك فيك إلى الرسالة ينزع

إلى أن يقول فيها:

رحلوا بنا منذ الصباح ولم نكن	ندري أرحلة سائح أم مصرع
عرضت لنا تلك المطي كأنها	نعش يؤم بنا المقابر مسرع
وأنت مواكب أهلنا لتردنا	بنحيبها عما إليها نزمع
قلنا لهم أن لنأسف إذ نرى	أكبادكم من أجلاً تتقطع
فاسعوا إلى المولى الإمام لعله	يحنو على هذي القلوب ويخشع

وتحملوا معكم صغارا رضعا فعسا يعطفه الصغار الرضع
صبوا المدامع تحت ظل حنانه إن المدامع للشفاعة أسرع

وصلت القصيدة إلى الإمام وهي طويلة، فتأثر بها وقال: "القصيدة طنانة. ولكن من أين لنا رجوعه، فإن أفكاره مسمومة." ظلوا يتضرعون إلى الإمام إلى أن أخرجهم من السجن. وعند ما خرج من السجن لم يبق في صنعاء إلا ساعات ثم جاء إلى تعز. فالتقينا مرة أخرى سوية في تعز. وأصبحنا عند ولي العهد معا نتناجى ونتنادم ونتبادل النكت والآداب والآراء والأفكار. وكنت أنا ألقى خطبة في المناسبة وهو يلقي قصيدة. وحصل صراع بين الشعر والنثر، ونظم تلك القصيدة التي أشرنا إليها آنفا وقال فيها لولي العهد أحمد:

أن تنصر النثر في حرب عليه فقد جازيته مثلما جوزي سنمار

لبثنا في تلك الفترة نحاول أن نؤثر في ولي العهد أحمد لكي يحدث نوعا من التغيير والتعديل. ولكن كنا نلتقي معه بالعواطف ونختلف بالعقل. كانت العاطفة قوية بيننا وبينه إلى حد كبير حتى أنني كنت أكتب له شيئا وهو يكتب شيئا في طريقه إلي حول نفس الفكرة. فكتب إليه مرة أن الأرواح تتصل بعضها ببعض ويتناجى بعضها مع بعض. فلما يئسنا، وكنا في مجلس ولي العهد أحمد، أثاره أن بعض المحتكين بابنه من الأدباء يطرحون أفكارا يشم منها رائحة التمرد. وقال إن هؤلاء "العصريين" لا بد أن يعاقبوا. وباعتباري من خاصته ومديرا للمعارف، حضرنا إحدى الجلسات وهو يسأل ويناقش هؤلاء الذين أطلقوا بعض الأفكار ويقولون ما هو الفرق بين علي بن أبي طالب وبين أي رجل من الرجال؟ كان رجلا شجاعا، ولكن يوجد رجال شجعان كثيرون. وعلي بن أبي طالب في نظر الإمام من الأئمة المقدسين. فكيف يقارن بشخص آخر. وكيف يقال إنه لا يوجد فرق بينه وبين أي شخص آخر؟ كانوا يطرحون هذه الأفكار فتثير الشكوك والشبهات حول الدين وحول قادة الإسلام وحول الإمام. غضب ولي العهد غضبا شديدا في ذلك اليوم، وظل يسأل: أنت يا فلان، أتقرأ الألب؟ أجابه: "لا يا مولاي أنا

لا أقرأ الأدب." ثم سأل الزبيري والزبيري شاعر وأديب: أقرأ الأدب؟ فتحير وصمت. فسأل شخص اسمه السراجي أقرأ الأدب فرد قائلاً "اقطعوا رقبتني بالحذاء لو قرأته. لم أقرأ الأدب ولم أعرف ما هو الأدب." والتفت إلي وقال: "وأنت ما الذي تدرسه في المدارس، أدب طه حسين؟" قلت له: "كلا. نحن نعطيهم محفوظات من الشعر." قال: "ولكن قلت محفوظات أدبية." قلت له: "محفوظات من الشعر تتحدث عن فضائل الإمام ومن هذه الأبيات الشعرية :

العرش عرشك لا سواك ولن ترى ندا إلى آفاق عرشك يرمق

وكان بجانبني كتاب لطه حسين أهدي للإمام بواسطتي! فقال: "وقالوا إن من الأدب كتاب لطه حسين." قلت: "أبدا". وطويت الكتاب تحت إبطي دون أن أقدمه للإمام. ورجعت إلى البيت فلحق بي الزبيري وقال لي: "لم يبق لنا مجال، نحن معرضون للسجن. فليس لنا إلا أن نشد الرحال." وسبق أن ذكرت أنني كنت قد كتبت رسالة إلى الإمام فيها نصيحة وفيها إخلاص وصدق، وكتب له الزبيري ولكن بدون علمي. فكنا دائما نلتقي في تعز ونتشاكى مع الأدباء.

وقررنا الهجرة معاً، أنا والزبيري. فهربنا من تعز وتركنا نساءنا. بدا لنا أن هذا الأمر لا يجوز السكوت عليه، وأن بلادنا يجب أن تخرج من هذا الظلم والظلام. وكان الارتباط بيني وبين الزبيري وطيداً. من الذي دبر خروجنا ويسر أمرنا؟ جازم الحروي. ذلك الشخص الذي كان ثالثنا بتدبير الخروج، وهناك أخوة آخرون. هنا يجر الحديث بعضه وتتشابه هذه الأسماء، بحيث لا يستطيع الإنسان أن يحدد شخصاً بعينه. دبر جازم لنا الأمر. وقضينا اليوم عند ولي العهد. إذ كان من الضروري أن نحضر يومياً مجلسه. فرتبنا الجلوس عنده بعد العصر لكي نخرج آخر النهار ونقضي الليل كله في السفر بحيث لا يلحق بنا أحد إذا عرفوا بفراقنا. ودعنا عائلاتنا ونحن لا ندري إن كنا سنلتقي بهم فيما بعد أم لا. سيطرت علينا عقيدة أننا مسئولون أمام التاريخ إن لم نقل كلمة الحق من أجل هذا الشعب، وقطعنا العهد على أنفسنا. غادرنا تعز، وكنا نحس بإحساس إنسان يرى أن لا عودة إلى الوطن ما دام هذا الوضع قائماً. وما دام معرضاً للمطاردة فإنه الآن يودع الوطن

الوداع الأخير. أيعود أم لا يعود؟ حدث ذلك في سنة ١٩٤٣. وكانت عدن مركزاً ومنطلقاً بسبب وجود الإنكليز فيها، ففيها صحافة وفيها طباعة وفيها حرية. وهي مركز لليمنيين وأكبر مهاجرهم. لأن ليس بينهم وبين اليمن سوى ساعات. والحدود بينهما مثل الحدود بين لبنان وسوريا. فكان الناس ينزحون إليها، الهاربون من الظلم، والهابسون من الفقر، والباحثون عن العمل، والباحثون عن التجارة. إنها سوق تجارية تكاد تكون سوقاً لكل شبه الجزيرة العربية بوجود الإنكليز فيها. فمركز عدن شهير.

حينما وصلت أنا والزبيري إلى عدن احتفل بنا اليمنيون. وكانت أسماؤنا قد اشتهرت من خلال جلوسنا بجانب ولي العهد أحمد في الاحتفالات. ولهذا قال لنا أحد الأخوة، وهو جازم الحروي: "بدلاً من أن تظلوا تبعثرون أدبكم وأفكاركم في تقديس الحكام، اخرجوا نحو الشعب." قلنا له: "ولكن قد تعوزنا المادة." قال: "أنا أرسل لكم." كان تاجراً كبيراً وشخصية نادرة في التجارة. فلما خرجنا إلى عدن واستقبلنا هناك الأخوة، أراد الناس أن نقوم بحركة. وكانت جماعة قد خرجت قبلنا وتحدثوا في الصحف، لكن خروج الزبيري ونعمان كان له أثره، وأحدث ردة فعل داخل اليمن، وبخاصة أنهما كانا يمثلان القيادة الفكرية داخل اليمن، في المناسبات والأعياد، بالخطب، وبالأشعار. ولم يكن نعمان والزبيري يفترقان، وكانا السبب في ظهور حركة الأحرار وشيوع فكرتهم.

هذه هي البداية بعد اعتقال الأخوة الذين في الداخل. لفتت هذه البداية أنظار الناس إلينا. ولا شك في أنها تثير في نفوس الآخرين المنافسة، لكن هؤلاء الناس غامروا وأقدموا بهذه الجرأة. فبدأنا نحقق شيئاً فشيئاً بعض النجاحات. كانت عدن خلال الحرب العالمية الثانية لا تسمح بأي نشاط سياسي لئلا تحدث بينها وبين اليمن خلافات. لذلك منعنا من النشاط السياسي بعد أن كنا قد عقدنا ندوات جمعت كثيراً من اليمنيين للحديث عن اليمن، لأن الكتابة في الصحف كانت ممنوعة. فكنا نحتال على المنع ونقدم كتاباتنا على أساس أنها مواضيع أدبية في صحيفة "فتاة الجزيرة" التي كان يديرها محمد علي لقمان. وهذا أيضاً مصدر من مصادر الفكر في جنوب الجزيرة. كنا نعقد ندوات، وأسسنا نادي الأحرار، وأصدرنا أول ميثاق لحزب

الأحرار حددنا فيه مطالب الأحرار في اليمن. وقد طبع هذا الميثاق ووزع وأحدث ضجة. بدأ ولي العهد أحمد يسعى للتفاهم مع الإنجليز لإسكات صوت الأحرار ومنعهم من أي نشاط. وخرج الإنجليز على قانونهم ومنعونا من أن نتكلم أو أن نقوم بأي شيء. وفرضوا علينا أن نجلس لاجئين سياسيين دون إحداث أية ضجة. وهكذا توقف نشاطنا واجتماعاتنا ولقاءاتنا. وكنت أنا والزبيري. والتحق بنا في عدن السيد أحمد محمد الشامي والسيد زيد الموشكي. السيد أحمد الشامي هو الآن وزير خارجية الملكيين. كان زميلنا ضد الإمام. والسيد زيد الموشكي من سادة اليمن ومن رجالها الافذاذ، وقد أعدم سنة ١٩٤٨. بقيت أنا والزبيري في عدن. أما الإخوة جميعا ومن ضمنهم الشامي والموشكي وآخرين مثل مطيع دماج، وعقيل عثمان، وعبد الله بن حسن أبو راس، وكان هؤلاء قد ارتبطوا بنا، وكذلك بعض مشايخ القبائل مثل الشيخ محمد بن ناجي القوسي، والشيخ مقبل جميزة. جاءوا إلى عدن يظنون أننا سنقوم بحركة عسكرية. وتبين أننا حركة فكرية سياسية. ولكن بمجرد ما سمعوا أننا في عدن اعتقدوا أننا سننظم غزوا لليمن لندخلها فاتحين. رجع الأخوة جميعهم وبقيت أنا والزبيري رفقاء. بقينا الاثنان لأننا قطعنا خط الرجعة.

ظل ولي العهد أحمد يبعث إلينا رسائل يستميلنا للرجوع إليه، ويقول إنه لا داعي للبقاء في عدن، وإننا بخروجنا نكون عوناً للأعداء عليه. ولكننا كنا نقدم المطالب، ونقول حينما تتغير الأوضاع وحينما يوجد دستور وحينما يوجد مجلس شورى وحينما توجد حكومة مسؤولة نعود. أما أن يظل الحكم بيد الإمام وأولاده فهذا غير مرغوب فيه. هذه هي مطالبنا كنا نكتبها وننشرها ونقول إننا نريد حكما دستوريا في اليمن، ولا يهمنا أن يكون الإمام يحيى هو الحاكم. ولكن يجب أن تكون الوزارة من أبناء الشعب ويؤسسوا مجلسا للشورى. كانت هذه المطالب تعتبر خيالية بالنسبة لليمن في ذلك الوقت. إنما كنا نحن متأثرين بالبرلمانات التي في البلاد العربية وبالديمقراطية ونريد التغيير وفقا لها. ولكن ظروف الحرب كانت تمنعنا من القيام بأية حركة، وكان الإنكليز يريدون هدوءا شاملا وإن كانوا يرون أن منعنا خروجنا على دستورهم، لأن الدستور عندهم يسمح بالحريات.

بداية الوجه الثاني من الشريط الخامس

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سمح لنا بتأسيس الجمعية اليمنية الكبرى وإصدار صحيفة "صوت اليمن". كان الجو ملائماً، وافقوا على هذا وأعطوا التصريح. سمعوا في اليمن بأن التصريح قد أعطي لنا. وكانت في مصر حرية صحافة، وكان هناك صحيفة يصدرها عبدالغني الرافعي بعنوان "الرابطة العربية"، تبنت قضية اليمن ووقفت إلى جانب الأحرار. فكنا نبعث الأخبار إلى الرابطة العربية في مصر، فتنشر كل شيء. وبعد ذلك حصلنا على جريدة اسمها "الصدقة" كان يديرها الشهيد محمد صالح المسمري والسيد يحيى أحمد زبارة وسلام فارع (الاسم غير واضح في التسجيل). كان هؤلاء يصدرون الجريدة وكنا نحن ننفق عليها وننفق على الصحف لأن مركز تمويل الحركة كان في عدن. وتأتي التبرعات للحركة من التجار. كان التجار يدفعون المساهمة باسم مساعدتنا شخصياً وليس على أساس رصيد معين، ثم لنا علاقات بأشخاص أصدقاء كانوا يرسلون لنا ما ننفقه وننفق نحن على أنفسنا ثم نصدر هذه الصحيفة ونمولها ونمول القائمين عليها. عند ما علم ولي العهد أحمد، الذي كان في تعز أقرب ما يكون إلى عدن، بأن الإنكليز أعطونا تصريحاً للصحيفة، قرر أن ينزل إلى عدن بنفسه ليقوم بعلاقات مع الإنكليز حتى يسحبوا التصريح. اقترح الإمام يحيى عليه أن يرسل القاضي محمد راغب، وزير خارجية. وكان القاضي راغب من رجال تركيا الذين بقوا في اليمن بعد خروج تركيا من العالم العربي ومن اليمن، وكان رجلاً متديناً ويتكلم اللغة العربية. وقد أخذ يحسن العلاقات بين اليمن والدول الأخرى ليقوم دولة في اليمن. فجاء بنفسه إلى عدن وأخذ يتصل بي وبالزبيري ويسأل: "هل أعطي لكم التصريح؟" قلنا له: "نعم." قال: "سيكون رفض طلبكم عبثاً، لأن هذه دولة ديموقراطية لا يمكن أن ترفض." اتصل بالحاكم الإنكليزي في عدن فقال له الحاكم: "نحن لا نستطيع أن نلغي شيئاً يقره القانون، ولا نستطيع تغيير القانون البريطاني لمنع الحريات، بالإضافة إلى أن معاملة اليمنيين في اليمن معاملة سيئة، فقد وصل إلى عدن حتى الآن ٢٥ ألف لاجئ غير من هم أصحاب أعمال ويبلغون حوالي مئة ألف قدموا من اليمن. فما هذا؟ لماذا لا تحسنون الأحوال في اليمن؟"

فشل وزير الخارجية فنزل ولي العهد أحمد بنفسه. واستقبلته عدن واليمنيون استقبالا كبيرا. خشينا على أنفسنا أنا والزبيري، واختفينا في تلك الليلة لئلا تهاجمنا الجماهير المتأثرة بمجيء "ولي عهد اليمن سيف الإسلام أحمد". خشينا أن يقتحموا منزلنا لأنه بعث من يدعونا إليه وأرسل لنا رسائل فرفضنا. وذات يوم أحسنا بأنه سيرسل جماعة لاختطافنا، فاخفيت أنا والزبيري عند رجل اسمه الشيخ خير الدين علم الدين، من لبنان، وهو شيخ طائفة البهرة في عدن. وكان رجلا خيرا، ووجهها وضاء. وكان يعطف على قضيتنا لأن الإسماعيلية في اليمن من أتباعه وهم مضطهدون من الإمام. فكان مغتبطا بوجودنا لأننا ضد الإمام. إذ يوجد خلاف بين الطائفة الإسماعيلية وأئمة الزيدية في اليمن. وكان الشيخ خير الدين علم الدين هذا شيخا لطائفة البهرة، يتقاضي منهم الزكاة، ويعلمهم معالم الدين، ويصلح شؤونهم، ويقضي بينهم. والبهرة تجار من الهند ومن كل مكان. آوينا إلى داره في تلك الليلة. وبلغ الإنكليز أنه توجد نية لاختطافنا. بحثوا عنا فلم يجدونا، فظنوا أننا اختطفنا، وثارَت أزمة بينهم وبين ولي العهد. قالوا هذا فعل لا يمكن قبوله. وأطلقوا البوليس في شوارع عدن للبحث عنا. كانوا يأتون يطرقون الباب على الشيخ خير الدين، على وهم ربما نكون عنده. فكان يخرج وينزل إليهم، ونحن مختفون في غرفة صغيرة. وكنا من جانب نعيش حالة خوف، ومن جانب آخر كنا نعلق في مرح ونبادل النكت. قلت للزبيري: "يا قاضي محمد الليلة ستعلن الحرب بين بريطانيا واليمن." قال: "لماذا." قلت له: "لأننا لاجئون سياسيون، وتسليم اللاجئين السياسي محرّم، وإذا اختطفته دولة أخرى تقطع العلاقات وتعلن الحرب." قال: "إذن ما رأيك بدلا من أن نخلق حرب ومشكلة لليمن نسلم أنفسنا بدلا من القتل والقتال." قلت له: "لا تفكر بهذا،

فلو كان لي رأسان جدت بواحد ولكنّه رأس إذا راح أعطى

بقينا مختبئين في هذه الغرفة المغلقة. وجاء الشيخ خير الدين أثناء الليل يقرع الباب ويقول: "ابشروا يا أبنائي خيرا، إن شاء الله." فتحنا الباب، قال: "إن البوليس الذي يبحث عنكم إنما يفعل ذلك ليحميكم. خشيت الحكومة في عدن من أن تكونوا قد اختطفوكم وهذا لا يقبله أحد. فاخرجوا الآن من مخبئكم." أخرجنا وأدخلنا غرفته

وهو ينام على سرير يتهدل في الهواء، وجاءنا بالأكل أثناء الليل. وفي الصباح خرجنا وإذا منازلنا قد أحيطت بالحراسة لحمايتها من أن يتسلل إليها أحد. وكانت هناك تعليمات لحراسة منزل أحمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري، ومنها أن لا يزورهم أحد إلا بإذن منهما مكتوب وموقع منهما. هذا ما فعله الإنكليز لأن ولي العهد موجود والجماهير في عدن يمنية كلها. فربما يختطفوننا، وخوفا علينا بقينا في البيوت. فكر ولي العهد أن يأتي بنفسه لزيارتنا، لكن الإنجليز منعه فرجع. وبعدها خرجنا.

زاد هذا الحادث من مشاعر الناس نحونا. وجاءت البرقيات من المهاجرين اليمنيين في مهاجر مختلفة إلى حكومة عدن تحثها على حماية الزعيمين. بعدها، سمح لنا بإصدار جريدة "صوت اليمن". ما ذا نعمل ومن يطبعها؟ الإنكليز سمحوا بصورها، ولكن منعت المطابع من طبعها. كانت قد جرت على جازم الحروي أحداث كثيرة بعد أن خرجنا، واتهم بأنه الذي أخرجنا إلى الخارج فأعتقل وأُخرب بيته، وسيق يمشي على قدميه مسافة ٧ أيام، ما بين صنعاء وتعز، هو ومجموعة من أشخاص آخرين اتهموا وقيدوهم بسلسلة من حديد. كانوا قد اطلعوا على أبيات قالها الزبيري في مدح جازم تقديرا لمواقفه يقول فيها إنه لشيء غريب أن يوجد إنسان بهذه المزايا، تاجر يسخر ماله من أجل القضية الوطنية، ويساعد الأحرار من أجل القضية. فعلم ولي العهد بهذه الأبيات، مما زاد تأكده من أن جازم هو مصدر القضية، لأن الزبيري يقول فيه:

تغذى به أيامها والعزائم
ملاكا طهورا أنجبته الغمام
ظروف فؤاد أثقلت المكارم
هي الزور إن حقتها والمزاعم
لقد بعدت عنك اللدات التوائم
كما أخرجت تبرا نظارا مناجم
نبيلًا وما بالحي إلا السوائم

إلا فليعيش في مهجة الشعب جازم
فتى راعني بالبذل حتى ظننته
تبسم لي بشرا فخلت ابتسامه
وكم بسمة لاحت بثغر منافق
فيا ملكا من أمة سبئية
لقد أخرجتك الأرض وحدك معجزا
فبالله قل لي كيف جئت مهذبا

بلغت هذه لأبيات إلى الإمام فاستقرت ولي العهد بالذات عبارة "وما بالحي إلا السوائم"، أي أنه لا يوجد في اليمن من الرجال الكرام غير جازم؟ ومن جازم وما قيمته عند ولي العهد؟ سجنوه وبقينا في عدن مذهولين متخوفين عليه. وممرت الأيام، وإذا به يخرج من السجن. ولما خرج، هرب هو نفسه إلى عدن وجاء إلينا. في الوقت الذي أردنا أن نقدم له ما كان قد أعطانا عند خروجنا واصل مساعدتنا أيضا من أجل قضية اليمن. تاه الزبيري بهذا، والشاعرية توحى للإنسان بهذه المواقف. وجلس يقص علينا ما لقيه في السجن هو وأصحابه، وكيف خرب بيته. أخيرا ماذا يعمل؟ خرج بنفسه إلى المهاجر اليمنية من أجل أن يجمع قيمة مطبعة تكون خاصة بصحيفة صوت اليمن. خرج وجمع التمويل. ولأول مرة يقوم اليمنيون بحركة من هذا، جمع النقود لشراء مطبعة للأحرار. وصل جازم بالمطبعة بنفسه إلى عدن، وركبها. تحيرنا فيمن يطبع. أتى برجل من أديس أبابا، يمني يجيد الطباعة. بدأ الإنكليز بمضايقتنا بمسألة إصدار الصحيفة، ولكن القانون كان قد صدر. فأتينا بهذا الرجل إلى البيت في الليل، وكان يرصف الحروف في البيت وفي الليل يطبع. وتدريب على يده مجموعة من اليمنيين، وحالا أجادوا الطباعة. صدر العدد الأول من "صوت اليمن" والعدد الثاني وإذا بضجة هائلة في اليمن من أقصاها إلى أقصاها، ماذا يحدث؟ وخرج سيف الإسلام إبراهيم بن الإمام يحيى وانضم إلى الأحرار. وإذا بقضية الأحرار تنتشر. كان سيف الإسلام إبراهيم معتقلا في سجن أبيه، هو وأخواه إسماعيل وعلي، ثلاثة من أولاد الإمام يحيى كانوا يترددون على السجون.

س - لماذا؟

ج - كانت عندهم أفكار حرة وتطلعات وتطرف. وكان أبوهم يجازيهم بالسجن. خرج الأمير إبراهيم بحجة المرض ليتعالج في أسمره. ومن أسمره ذهب إلى الحبشة واستقبله إمبراطور الحبشة باعتبار أنه ابن الإمام يحيى. وأتصل به الأحرار إلى أسمره ورتبوا معه الانضمام إليهم. جاء إلى عدن أولا لينزل ضيفا على حكومة عدن. فاستقبلته الحكومة واستقبله سلطان لحج، وانزلوه قصر السلطان في عدن إلى أن رتبنا له سكنا ودبرنا الأمور. ثم خرج وأعلن دعوته وانضمامه إلى

الأحرار وأصدر بياناً. شكّل ذلك وثبة في قضية الأحرار. وبهذا الانضمام تجاوب مع قضية الأحرار الإخوان المسلمون في مصر. وكان الإخوان المسلمون في ذلك التاريخ يدعمون هذه الحركة. وكان الورتلاني، صديقنا الذي تعرفنا عليه في مصر، من الرواد الذين خرجوا إلى عدن وطافوا باليمن. بدأت قضية الأحرار تنتشر، وكانت القضية في اليمن بسيطة فاستجاب لها الناس. وكان الزبيري ونعمان هما الرائدان اللذان أطلقا هذه الحركة، وباسمهما كانت تصدر صحيفة صوت اليمن. وكنا نحن لا نفترق ولا نختلف. وينضم إلينا اليمنيون تحت مظلة حركة الأحرار. لا يوجد خلاف ولا شقاق. بعض من الإخوة، وأحمد محمد الشامي وزيد الموشكي، رجعوا من عدن، وبقينا. ترك هذا في نفوسهم شيء (انظروا انشقاقات الأحرار من أين جاءت). كانوا يرون أننا محتكرون للقضية. أنا احتكر المال والزبيري مرتبط بي. ولكن العلاقات بيني وبين الزبيري علاقات إخاء وعلاقات تفاهم فكري والتقاء من أيام ما كنا في مصر ثم بعد عودتنا إلى تعز. كان ارتباطي به ارتباطاً يمتاز عن الارتباط بالآخرين. نتشارك في السراء والضراء. والزبيري أظهر مخلوق عرفته الدنيا، حتى أنني كنت أقول فيه معنى حديث عن الرسول في أبي ذر: "ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الحمراء رجلاً أظهر من أبي ذر" فكنت أطلقه على الزبيري. حقيقة، كان يعرف أن لي أقارب في عدن، ويكاد أن يكون أبناء اليمن الموجودون في عدن من أبناء قضاء الحجرية، وقضاء الحجرية هذا يبلغ سكانه حوالي ٢٠٠ ألف نسمة، كانت زعامة الحجرية معقودة في بني نعمان. فكان بعض المهاجرين في عدن مرتبطين بي بحكم الأصول، مع أن النكبة قد نزلت ببني نعمان بالاعتقالات التي جرت لمشايخ اليمن حين جاء الإمام يحيى. ثم كنت مدرسا في بادئ الأمر كما أخبرتكم سابقا. وكان أبناء الآباء يدرسون عندي ويتعلمون، وعند ما كنت في مصر تعلق بي بعضهم أيضا. فأصبح للإنسان أولياء كثيرون. ولذلك كان الناس لا يثقون إلا بي خوفا من أن تعرف الحكومة أن لهم صلة بحركة الأحرار. كانوا يأتوني سرا للمساعدة، وأنا كان عندي حالة زهد، يعني أعد نفسي مسؤولا عن كل جبهة (عن كل قضية). قد أتصور جوعا لكي لا أنفق أي مبلغ إلا في سبيل القضية، في طباعة، في نشر، في برقيات، في مذكرات، لمن يعمل

(في مقابل عمله). وأنا مع أولادي نعيش في عدن كأبأس المخلوقين. وكان الزبيري يعرف الحقيقة ويشاركنا في هذا.

س — هل انتقلت عائلة الزبيري إلى عدن؟

ج — طبعاً، وعائلتي أيضاً، أم الأولاد محمد وعبدالرحمن. ماتت بعد هربنا في عدن. وكان لها تأثير إلى حد بعيد، حتى أن موتها كان أول محنة بعد خروجنا. ولما رأني الزبيري متأثراً نظم أبياتاً يعزيني بها، منها:

كفكف الدمع وأعتصم بالعزاء ليس في الحرب فرصة للبكاء

ومنها أيضاً:

يا صديقي في مبدئي يا زميلي	في جهادي يا سلوتي يا عزائي
كنت أعددت أدمعاً فتماسكت	ونهنهت أدمعي وبكائي
خفت أن يحسب الخصوم بأننا	قد خضعنا لمحنة وبلاء
ابكها ما استطعت وحدك واملاً	ساحة القبر من دموع وفاء
سقطت كالأبطال في ساحة الحرب	وكانت طليعة الشهداء

كانت العلاقة التي توطدت بيني وبين الزبيري مصدر كل ما حدث من حركة. وكنا لا نريد أن نعلن اسم شخص لئلا يتعرض للأذى. هذا كان سبب تشددنا ولكن الإخوة كانوا يعتبرون أنه عدم ثقة، ويقولون إن الزبيري ونعمان محتكرون لكل شيء. ولكني كنت أتحمّل كل الاعتراضات في سبيل مصلحة أصحابي.

س — من هو الشامي ومن الموشكي؟

ج — هما من الرواد الحقيقيين. وكنا عوناً للقضية ومن الأحرار فعلاً. ولكن هناك درجات حساسية تصنع النفس الإنسانية في بعض النواحي لا بد منها. وكان بعض الأشخاص الآخرين مثل مطيع دماج، ومحمد الفسيل وعقيل عثمان وغيرهم من الأشخاص الذين حقدوا علينا بدوافع أيضاً غير الخلاف مع أولئك. كان دافع هؤلاء المركز الأدبي، لأن الشامي والموشكي والزبيري وأنا، عند ما أوقفنا عن

النشاط السياسي عملنا كلنا مدرسين. ذهبنا للعمل بالتعليم وكنا نتقاضي رواتب من التدريس. وكان ما يعطى لهؤلاء الإخوة يأتي من المهاجرين من الحجرية، من أهل وأصحاب وإخوة من الأسرة. فكان ما يزودونا به دائما يكون من أجل القضية، ولا يعرف به إلا الزبيري ولا يشعر الآخرون بشيء. إنما أنا شريكهم في الغذاء، كما يأكلون أكل معهم وأنام معهم، نحن سيات في هذه الأشياء. وصرنا نحن الأربعة، أنا والزبيري والشامي والموشكي نمثل القيادة السياسية. وكان آخرون يثيرون الموشكي والشامي علي وعلى الزبيري، ويظنون يحاولون التفريق بيني وبين الزبيري، لكنهم لم يستطيعوا أبدا. ظلت الوحدة الحقيقية بين نعمان والزبيري، وهي التي ظلت أداة لوحدة لأحرار ورمزا للأخوة، خاصة وأنه كان محسوبا من الزيدية وأنا شافعي. ولهذا لن يفرق الناس بين الزبيري والنعمان، أو بين الزيدي والشافعي. كانت هذه الوحدة من الأسس التي ظلت دائما لقضية الأحرار وللوحدة الوطنية. هؤلاء الإخوة بعد أن انقسموا ورجعوا إلى عند الإمام عادوا إلى مناصبهم فترة، ولكن كانوا يحسون أنهم مطعونون ومتألمون منا لأننا لم نشاركهم في أخص الأسرار. ونحن كنا نحترمهم ولكن كان لكل واحد حدود. وذات مرة جاءوا إلي يشتكون من الزبيري، فاستشهدت ببيتين لشاعر عربي يقول فيهما:

فيا واشيي عفراء بالله خبرا بمن وإلى من جئتما تشياني
بمن لو أراه عانيا لفديته ومن لو رأي عانيا لفداني

هكذا أغلقنا الباب تماما. وحاولوا أن يشكوا الزبيري في، ولكن مر كل شيء وبقينا نحن بإصرارنا العنيد. ضاق الناس بنا. وكنا نحن لا نشك في الآخرين. نمضي في شأننا والثقة قائمة ولا شك يتسرب إلينا. فلما بدأت حركة الأحرار تقوى وتنتشر بفضل الصمود والوحدة الوطنية التي بيني وبين الزبيري، جاء سيف الحق إبراهيم بن الإمام يحيى وأنضم إلينا. وخرج من قصر السلطان عبد الله بن عبد الكريم من عدن، وجاء لينضم إلى الأحرار. استأجرنا له في الفندق واشترينا له سيارة، كل هذا كان مرصودا لكي ترفع القضية. نزل السيد أحمد الشامي وهو صديقنا من عند ولي العهد أحمد لكي يسترجع إبراهيم من بيننا ويعيده إلى اليمن.

وكانت هذه أول ضربة توجه إلى الأحرار لو نجح. كان لنا تأثير على سيف الحق وكان نقيا. كان يتحلى بالبساطة أحيانا ويؤثرون عليه، ولكنه كان قويا في هذا الموقف. تفاهم معهم على أن يسددوا ما عليه من ديون وما عليه للفندق، ولأحد التجار، ويأتوه بأمان من عند أخيه أحمد بأن لا يناله مكروه. رحبوا بهذه الفكرة ودفعوا للفندق في حين كنا نحن قد أعدنا له سكنا مستقلا وتفاهمنا معه على أن يرتب حاله. وعند الخروج للعودة معهم سينتقل إلى المكتب. ذهبت أنا إلى بعض الأشخاص اشتكى سيف الحق إبراهيم. وكنا كلفنا الزبيري بأن يقوم بهذا الدور ولكن الزبيري قال أنا لا أطيق ذلك. قلت له: "الحرب خدعة، ونحن في حرب". قال: "اخدع بالنيابة عني". فذهبت إلى أحد الأشخاص من أنصار الإمام أحمد والذين يريدون من إبراهيم أن يعود وقلت لهم: "هذا لا خير فيه، غدر بنا وصنع بنا كذا". قلت ذلك ليثبت لهم أن الأمير إبراهيم في أيديهم. وذهبت إلى إبراهيم وأخبرته بالحقيقة وأني رتبت كذا. فسددوا أولا حساب الفندق، وتحملوا عشرة آلاف روبية لتاجر كان الأمير إبراهيم مدينا له، لأننا كنا نتحمل نفقات كثيرة للأمير إبراهيم ونريد أن نسدها. فهذه مساعدات خاصة والناس قد يضيقوا إذا لم نقصد. فتحمل ذلك التاجر الذي شكوت له من إبراهيم (لعله الجبلي، وكيل الإمام) النفقات. وخرجوا وهو معهم، فقال لهم: "أريد أن أمر لأودع الزبيري ونعمان لأنهم يطالبونني بمبالغ، سأستقل معهم السيارة. خرجنا نحن وهو معنا في السيارة وهم خارجون بعده بسيارة إلى الطريق في اتجاه تعز. وقد أبرقوا إلى ولي العهد بأنه سيصل في تلك الليلة. رجعنا إلى دار النهضة وكنا قد استأجرناها بعشرين ألف روبية، قسم منه للأمير إبراهيم وقسم للأعضاء وقسم للمكاتب. وقد نشرت الصحف هذه القصة.

وسارت العلاقات مع الزبيري على هذا النحو. فبدأت تتور الثائرات ويترسب في النفوس أن نعمان والزبيري ثائران. وظل الإخوان في مصر المرتبطون بنا، وبخاصة محمد صالح المسمري من الأحرار ويحيى زبارة، يؤيدون خطوتنا وموافقين على أن تبقى القيادة متماسكة. عشنا على هذا النحو من التضامن والتماسك مع الزبيري إلى أن جاءت سنة ١٩٤٨ وقتل الإمام يحيى وأعد الدستور.

فعدنا إلى اليمن، ولكن كيف نلتقي نحن والزبيري مرة أخرى؟ بقيت أنا في سجون حجة سبع سنين وهو في باكستان ومصر. ولكن كان يرسل الرسائل إلى الإمام أحمد (أصبح بعد قتل أبيه في سنة ١٩٤٨ إماماً) لكي يعطف علينا. وكانت رسالته مؤثرة إلى حد كبير ويقول فيها: "أقسم بالله إنني لم أنم على فراش وثير، ولا نلت لذة أنت منها محروم، ولا نمت وأنت ساهر، ولا انطلقت وأنت سجين"، يعني مشاعر الإخاء الحقيقي. وتدور الأيام دورتها علينا نحن والزبيري إلى أن جاءت أحداث ١٩٥٥ الذي قام فيها سيف الإسلام عبد الله (بمحاولة للاستيلاء على الإمامة من أخيه أحمد). بقي الزبيري في باكستان، وتركه زميله عبد الله بن علي الوزير إلى الهند حيث مات. وبقي هو يذيع من إذاعة باكستان أحاديث دينية يكسب منها ما يقتات به.

وكنا نحن لا نعلم كيف سارت الأمور. المطبعة التي اشتراها الأحرار لطباعة صوت اليمن أخذت من عدن إلى لإمام أحمد إلى تعز ونحن في السجن. واليمنيون دائماً يصابون بفشل بعد الهزيمة. ويصّبون اللعنات على رؤوس المهزومين.

الناس إخوان من والته دولته وهم عليه إذا عادته أعوان

أو:

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي، ويصيب المدبر الهبل

حينما ينتصر الإنسان ولو كان على باطل يهادنونه، وحينما ينتكس ولو كان محقاً يلعنونه. هذه طبيعة البشر. وهكذا أحدث هذا الفشل بعض التششت بين الأحرار. بقينا نحن في السجن مع إخواننا والزبيري في باكستان يحتال على الإمام ويرق ويكتب في سبيل التخفيف عنا، ويشعر الإمام بأنه معنا، وأنه بعد أن تهدأ نفسه سيعود. وكان هو من العوامل التي هدأت عواطف الإمام بالنسبة إلي. اعتقد الإمام أحمد أنه ربما يأتي الزبيري ويأتي آخرون. ولم يكن عند الإمام حقد شخصي لأنه كان بيني وبينه ود. عندما كان الزبيري في باكستان وأنا في السجن، بدأت أتبادل الرسائل معه من السجن. ثم انتقل الزبيري إلى مصر، وكان للإخوان المسلمين فضل في نقله. كانت هناك علاقات قديمة بالإخوان المسلمين الأولين الذين

حاربوا مع عبد الناصر في فلسطين في ١٩٤٨. انتقل الزبيري إلى مصر وبدأ يذيع أحاديث من صوت العرب، لكنها كانت أحاديث معقولة، ولم يكن يتحدث بما قد يثير الإمام. وكان الإمام يعرف العلاقة بين نعمان والزبيري، ويعرف أن اليمن كلها تعرف أن الاثنين واحد. ظل الزبيري يكتب لنا، وكانت الحالة قد تحسنت عندنا في اليمن. وجرى أخذ ورد، وأنا باق على العهد مع الإمام أحمد. لم أكن أرغب في أن أخرج عليه بعد أن كان موقفه معي كريما إلى أبعد الحدود، لأنه لو كان حاقدا عليّ لكان باستطاعته أن يخلق أي مبرر. ولكنه كان يعاملني كصديق. فعلاقتي به كصديق من أوفى الأصدقاء. كذلك ابنه البدر. بدأنا نحن من السجن أنا والقاضي عبد الرحمن الإرياني الذي كان سجيناً أيضاً، نبعث رسائل إلى الإمام أحمد ونلفت دائما النظر إلى ابنه البدر ولي العهد، نشير فيه الشفقة ونهيؤه لأن يكون ولي العهد ونحن جنوده. كان هذا يؤثر في الإمام. وكان الزبيري يفعل الشيء نفسه من الخارج. كان يعرف علاقتي بالبدر، فيظل يكتب إلى البدر من جانبه. وصادف أن خرج البدر إلى مصر بعد الثورة المصرية وكان الزبيري قد جاء إلى مصر فالتقي بالبدر وظل يراجعني في شأننا والبدر يطمئنه ويقول له الأستاذ نعمان أستاذي لا تخف عليه. فنحن نعمل ونكتب معا. جاءت أحداث سنة ١٩٥٥ ضد الإمام. وكنا نحن والأحرار في الداخل والخارج مع البدر. نظهر كأننا بجانب الإمام أحمد وضد إخوته، لأن إخوته كانوا دائما حاقدين علينا باعتبار أننا أعداء الإمام يحيى ويعتبرون الأحرار قتلته. وعند ما ذهبنا إلى السعودية وجدنا الزبيري فرصة وزار السعودية من مصر لكي نلتقي، وكان الناس يتلهفون لمعرفة كيف سيكون لقاء نعمان والزبيري بعد هذا الفراق الطويل، حتى البدر نفسه. هذان اللذان قاما بهذه الحركة وهذه كلها أثارهم، وفرقهم الزمان فجعل أحدهم في السجن والآخر في باكستان. ثم تأتي الأيام فتعيدهما ويلتقيان. وكان لقاء مؤثرا حقا. قلت له يريدون أن تعود معنا من مصر إلى اليمن. احتقن الدم في وجهه وقال أعود إلى اليمن؟ لو عدت أنا وأنت سنقتل معا. وكان الإمام أحمد يغريه كي يعود معنا. وألححت عليه فرفض وقال المصلحة أن أبقى في الخارج. من المستحيل أن أعود الآن. ظل

في القاهرة ورجعت أنا والبدر إلى صنعاء. وعند ما حدث الخلاف بيني وبين الإمام انتقلت إلى القاهرة.

ذهبت في أول زيارة أنا والبدر، وبعدها خرجت من اليمن والتقيت بالزبيري. ماذا نعمل؟ أصدرنا "صوت اليمن" من مصر. كان ذلك سنة ١٩٥٥. رحبت مصر بهذه الفكرة لأنها تريد من يعمل ضد الحكومات العربية. سمحوا لنا بإصدار "صوت اليمن" وبالإذاعة من صوت العرب. وبدأت في إلقاء الخطابات حتى بلغنا أن الإمام حطم الراديو عند سماع أحاديثنا لأنها كانت مفاجأة لم يكن يتصورها. وهو على حق، لكنني كنت مخدوعا بأنني أعمل لليمن. ففي سبيل اليمن كنت أضحى. وقد ضحيت بأهلي، فأهلي كلهم دخلوا السجون أيام الهجرة الأولى أنا والزبيري، لم يبق أحد من صغيرهم إلى كبيرهم لم يتعرض للضرر. كانوا يعيشون في السجون والنساء مشردات. فكان عند الإنسان إيمان باليمن، ويتساءل دائما كيف ستسير؟ وماذا سيحدث لها؟ لهذا لم أنس كل ما فعله الإمام. ولكن قلت أعاتبه. بدأنا نطلق أحاديثنا، وبدأ الزبيري يقدمني للمستمعين قائلا: ستستمعون اليوم لنفس من أنفاس اليمن وصوت من أصوات اليمن. إنه فلان. فكنت أتحدث. وكان الحديث مؤثرا إلى حد بعيد في أوساط اليمنيين. إلى جانب تأثير الثورة المصرية. بقيت أنا والزبيري معا في السراء والضراء. وهنا انطلقت العداوة والحقد، وبدأت الاتهامات توجه لنا بأننا لصوص وسرقنا مال الأحرار.

س — من وجه لكم هذه الاتهامات؟

ج — من اليمنيين أنفسهم ومن بعض الأحرار المدّعين.

س — مثل من، مثل الشامي؟

ج — كلا. عاد الوثام بيننا مرة ثانية لأنه سجن معنا سنة ١٩٤٨. فبعد ذلك الخلاف التقينا نحن والشامي والموشكي، إلى درجة أن الموشكي أعدم سنة ١٩٤٨. عاد واتصل الشامي بنا وسجن معنا ٧ سنوات، كان محكوما عليه بالإعدام، وكلمني الإمام أحمد من أجله وقال لي بالنسبة للسيد أحمد الشامي فهو محكوم عليه بالإعدام. فشرحت له أن ليس له اختيار وأنه في عنفوان شبابه ومضلل ومخدوع من جملة

المخدوعين. قال: نفسي تتازعني فيه ما بين الواجب والعاطفة، الواجب أن يقتل ولكن عاطفتي لا تسمح بذلك لأنه صغير السن. استمر الوئام بيننا نحن وهؤلاء، ولكن وجدت عناصر كثيرة.

س — مثل من؟

ج — الأسماء التي وردت هنا مثل مطيع دماج، والفسيل، والأسودي، وشعلان، أسماء كثيرة تصدرت للعداء، بعضهم كانوا منضمين إلى الإمام أحمد لأننا نحن الآن مهزومون ليس بيدنا صحيفة ندافع بها عن أنفسنا. فانطلقت التهم والتخوينات. تواجدت فئة كانت قد أصبحت بعثية. اعتبروا أن فكرة الأحرار قد انتهت وجاءت تيارات جديدة: الناصرية، البعثية والشيوعية والقومية. أصبح الطلاب منتمين لأحزاب متفرقة. أما نحن فبقينا يمينيين. وكان من الشاب من أبنائنا محسن العيني ومحمد الرعدي. وكتب محسن العيني كتابا يدافع فيه عن الأحرار بعنوان "معارك ومؤامرات ضد ثورة اليمن" دفاعا عن الزبيري ونعمان. قال فيه لولا هذين الاسمين من أين نعرف الوطن أو الوطنية أو نعرف أن لنا حقوقا. وفي الكتاب حملة على الانشقاقات التي وقعت. لأنه بعد مغادرة اليمن إلى القاهرة كانت وجدت جماعة مرتبطة بنا في القاهرة، منهم السيد عبد الرحمن أبوطالب، وأبناء علي الوزير، وحسين المقبل، والجناتي. أسماء كثيرة ظهرت وكانت مع الزبيري فانشقت بمجرد ما سحبت الحكومة المصرية تصريح إصدار "صوت اليمن" وأسكتتنا من صوت العرب. انضموا إلى الإمام أحمد، وتوزعوا في المهاجر ليشنوا حملة على الزبيري والنعمان. وركزوا الحملة على أكثر من الزبيري باعتبار أن الزبيري غير مسؤول، فأنا المسؤول وهو في رأيهم آلة بيدي.

كان الزبيري يتأثر في تلك الأيام بهذه الحملة. في الوقت الذي كانوا يظهرون أنهم مخلصين له. وقفوا ضدي بدوافع حزبية. وكان على رأسهم محسن العيني الذي كان محبوبا لدينا كأحب الأبناء وأحب الشباب إلى نفوسنا. وقد أصبح وزير الخارجية ورئيسا للوزراء فيما بعد. وكان من يخرق البعثات بحزب البعث، وكان يوجد طلاب شيوعيون. فكانوا يريدون أن يكتلونا معهم لنقف مع الشيوعية. لكن

نظرتنا كانت يمنية، ونقول: اليمن ولا شيء غيرها، والحزبية عندي لا شيء، وليس لها أي محل عندي. أكرهها وأمقتها. لم أتحزب قط. كانوا يأتون إلى الزبيري ويثيرونه علي. لماذا؟ لأن الزبيري خلال مدة وجودي في السجن، انفرد والتفوا حوله، فلما جئت تنحى عن قيادة الاتحاد اليمني ليجعل نعمان في محل القيادة. ولكن النفس البشرية تغدر، فظلوا يطالبونه ويقدمون له مختلف أشكال التحريض. وكان المصريون أيضا حريصين على تمزيق المعارضة وتفتيتها. كان الزبيري واثقا بالمصريين في حين شككت أنا فيهم بعد أن أوقفوا نشاطنا. كانوا يعرفون أن الزبيري بريء براءة الطفل. فكانوا يؤثرون عليه من هذه الناحية. وكان دافع الحاقدين علي الطمع، لأن المال في يدي. والحقيقة أن الزبيري كان يعلم حقيقة تعففي، وإني وإن حرصت على المال كنت أتصور جوعا أنا وأولادي دون أن تمتد يدي إلى المال الذي أعطي لي شخصيا. كنت كالراهب، وكان الناس يشكون من الحالة التي أتشدد بها مع نفسي. كيف أنفق على المطبعة، وكيف أنفق على الصحيفة، وكيف أنفق على الذين يعملون معنا وأنا في هذا الوضع المتقشف. ولكن كما يقولون:

وسح دمي في كل خير صنعته إلى الناس ما جربت مبطله الشكر

فقلت كيف يدمغ الإنسان وهو يعاني على هذا الحال! فكنت لا أبالي ما دام الزبيري لا يزال معي. ولا أهتم بالآخرين. ولكن عند ما أثر الضرب على وتر التفريق في بالزبيري، لم يواجهني وإنما كان ينسحب وينطوي. وهنا بدأ الانشقاق بين الأحرار. ولكن لم يعلن الخلاف لكن كان الناس يعلمون أن الزبيري في اتجاه ونعمان في اتجاه آخر. وكانت الجناية جناية الطلاب الحزبيين وبخاصة البعثيين الذين سيطروا عليه. كان الزبيري يتأثر من كلمة النقد إنما يشفق بدلا من أن يدمغ بالخيانة. أنا لم أكن أقول كذلك، وكنت أقول "من هدا ضميره نام" لأنني واثق من نفسي. كادت هذه البادرة تعصف بحركة الأحرار الحقيقية الأصلية. وأصبح الطلاب ما بين بعثيين وشيوعيين. وقد صورت هذا فيما بعد وأنا في السجن، وكنت بهذا أرثي الزبيري الذي صرع فيما بعد بين يدي. قلت في ذكراه، بعد عامين على اغتياله، أول إبريل ١٩٦٥، وأنا في السجن:

عامان منذ غيل الرفيق أمامي شلت يد الجاني الأثيم الرامي
ما دار في خلدي ولا في خاطري أني أراه جثة قدامي
ومضرجا فوق الثري بدمائه في منظر أدمى فؤادي الدامي
ذكراه لا تنفك بين جوارحي تحيا معي في يقظتي ومنامي
إلى أن أقول كيف أن الزبيري قام داعيا في قومه، وأتحدث عنه وعن كفاحه،
وكيف دخل السجن. وسردت قصة الأحرار وقصة السجن، إلى أن قلت:
وأئمة من بعد يحيى خمسة يحيا إمام بعد قتل إمام

أي أن يحيى قتل بعد قيام حركة الأحرار، وقام بعده الإمام عبدالله الوزير،
وبعده قام الإمام أحمد، وقام سيف الإسلام عبد الله في ١٩٥٥ وفشل، وقام بعد
الإمام أحمد ابنه محمد البدر، وإذا هم خمسة.

وتمزق الأحرار شر ممزق يتبادلون الشك بالأقلام
وتفرقوا شيعا فكل جماعة سبقت إلى صنم من الأصنام
فبلاد يعرب أصلها وثنية أوثانها أربت على الأغنام
واليوم بالأحزاب تزخر أرضها شرا من الأنصاب والأزلام
في كل ناحية وكل مدينة وكر لحزب مفسد هدام
وزعامه ونقابة وقيادة ومنظمات للصراع الدامي
ومذاهب شتى لها أسماؤها ومذاهب جاءت بغير أسام
في هذه الفوضى تمزق شملنا وبها دخلنا بحر جهل طام
حتى غزتنا روسيا بعينها وتجذبت خلفي ومن قدامي

هكذا قلت إن الأحرار تشتتوا، هذا بعثي، وذاك قومي، وآخر ناصري. يعني
أفكار كثيرة. كان الزبيري منفعلا وكانت تثيره هذه الحركات، فكان يحاول مجاملة
الطلاب، مجرد تملق عواطف الطلاب، وليس أكثر. فكان يحاول مجاملتهم ويطلب
مني أن أجاملهم فأرفض. كنت أرفض أن أجامل أو أن أتعايش مع هؤلاء الظالمين
الكافرين باليمن. منهم من يعبد البعث وبلاده تتدمر، لا يقرأ ولا يكتب عن بلده
ولا عن أرضه ويريدني أن أتحمس. قلت له : "أقسم بالله أنني لن أكون معهم.
سأفارقك. اذهب معهم". اتخذت هذا الموقف.

عرف المصريون بهذا الشقاق. وقبل الثورة استغلوا وجودنا وأرادوا أن يجمعوا شملنا. فدعوني أنا والزبيري ومحسن العيني الذي كان يمثل البعثيين، والقاضي أحمد المعلمي وحسن السحولي، وقالوا: الآن يجب أن نعيد حركة الأحرار. وكان هذا بعد اختلافهم مع الإمام أحمد. كان رأيي دائما أنه لا يمكن أن تكون هناك حركة عنيفة في اليمن. ومن رأيي أيضا أنه يجب التعاون مع البدر إن لم يكن تعاوننا كليا فليكن لمرحلة، لأن البلاد لا تحتل العنف أبدا. الإخوة رفضوا التعاون لأن المصريين أرادوا إدخال البيضاني لقيادة حركة المعارضة. قال الزبيري: "لا يمكن أن أدخل في مجموعة يكون البيضاني فيها، هذا الجاسوس." لأن البيضاني عميل مصري وجاسوس، ولكنهم كانوا يجعلونه أيضا يتملق الإمام أحمد إلى درجة تقبيل أقدامه. أخيرا طرده الإمام أحمد، مع أنه هو الذي أعطاه الجواز واعتبره يمينا ووظفه ليكون ضد الأحرار. كان جاسوسا. هذه هي مهنته الحقيقية. وفي الأصل كان جاسوسا للمصريين. وإذا بالمصريين يرشحون البيضاني ليتولى قيادة الأحرار، وينشئ حزب ويذيع من صوت العرب ويكتب في مجلة "روز اليوسف". بدأ الزبيري الآن يرجع إلي وجاء يستعين بي لأن البيضاني يشتم الأحرار القدامى من إذاعة صوت العرب. هيّجت هذه الأحاديث الزبيري. فذهبت إليه وقلت له: "لما ذا يطلبون البعثيين الذين معك ويشتمونك في الوقت نفسه؟ لا يمكن القبول بهذا قط. إنني ملتذ بكل ما يطلقونه من شتائم." ظل المصريون يحتوون الزبيري ويحاولون فصله عن نعمان، ويقولون نعمان عميل إنكليزي، عميل سعودي، عميل إمامي. لكن الزبيري كان يتهرب، يخاف من النقد ومن النشر جدا لأنه شاعر ومرهف الحس. لم أكن أقسو عليه ولكن ماذا أعمل؟ أحيانا كنت أكلمه فيما بيننا وأعتب عليه بقسوة، ولكن لا فائدة من ذلك. أخيرا ماذا يعمل؟ ظل المصريون محتوين للزبيري حتى لا يبتعد عنهم. وحينما رتبوا الأمور في اليمن مع العملاء والبيضاني، أوحوا للبيضاني بأن يستعمل الزبيري. فكان البيضاني يتردد على الزبيري ويخبره عن كل حركة تقوم في اليمن ويقول له أنت كذا وكذا. اتضح هذا عند ما مات الإمام أحمد وظهر البدر على المسرح. أرسلت برقية مني ومن بقية الأخوة عزاء للبدر وتمنيات بأن يأتي العهد الجديد ليكون عهد إخاء لا تعصب. رفض الزبيري أن يوقع على البرقية مع إنه كان موافقا، مما دلني على أنه يوجد

شيء جديد يرتب في الخفاء. كنت مبعدا عما يرتبه المصريون وما يحوكه البيضاني. ولكن من المتحمل أن يكون يسرب الأخبار للزبيرى.

وقامت الثورة، وقام الزبيرى بجمع الطلاب في مظاهرة إلى السفارة ثم طلب منى أن أحضر. فقلت له أبدا، لا يمكن أن أقوم بأية مظاهرة. أعلنت التشكيلات والأسماء والوزارات وظهر البيضاني وزيرا للاقتصاد والزبيرى وزيرا للمعارف واستبعد نعمان. كان الناس معبئين ضد نعمان في أوساط الطلاب. وكان هناك في داخل اليمن وخارجها وجهات شتى تطلب العدالة. الكثير من الأصدقاء الذين يعرفونني حق المعرفة تألموا وتساءلوا لما ذا لم يظهر نعمان على المسرح. رفض الزبيرى قبول وزارة المعارف ما لم يكن نعمان مشاركا، ورفض أن يعود إلى اليمن إلا برفقتي. هنا بدأ موقفه يتغير. فكيف يعود البيضاني ويبقى نعمان، رفيق دربه لثلاثين سنة، خارج اليمن. عند ما رأيت أن الزبيرى مصر على موقفه والمصريون لا يقبلون بدخولي، ألححت عليه وقلت له: "لا يفيدني بقائك في مصر. المهم أن تبقى اليمن لأبناء اليمن. ارجع من أجل أن لا يذهب هذا ويؤثر على عقول الآخرين. أرجع معه. اقنعت الزبيرى بالعودة. قال: "سأعود ولكن مرغما." قلت له: "عد من أجلي وحقق أمري هناك." خرجنا لتوديعه في المطار، وإذا بنا نرى البيضاني وقد خرج أنور السادات لتوديعه في صالة كبار الزوار، في حين كان الزبيرى جالسا في غرفة الانتظار على الكراسي المقطعة. ودعناه وعانقنا. لم يسلم على البيضاني. وهكذا تركناه ورجعنا.

عاد إلى اليمن وبدأ يثير الموضوع ويبرق لي طالبا العودة فرفضنا لأن المصريين يرفضون عودتي، ولأنه لا يوجد عندي أية بواعث لنستبين الأمر. كان الموقف غامضا. وكنا نعرف أن هناك مؤامرات ودسائس. ظل الزبيرى داخل اليمن. وفيما بعد كان إذا زار القاهرة نلتقي، ولكن لماذا يتعاش معهم دون تغيير. بدأ هو يعمل، ولكن كان هناك قوة قاهرة. وعقد مؤتمر جرد البيضاني من الجنسية اليمنية، وطلبوا من المصريين أن لا يعود إلى اليمن بأي حال من الأحوال. وقالوا الآن لا بد من استرجاع الإخوة، فالتقينا مع الزبيرى فيما بعد وكان لقاءنا الأخير. وعادت تلك العلاقات الأصلية الأخوية في آخر حياته.

(نهاية الوجه الثاني من الشريط الخامس)

(بداية الوجه الأول من الشريط السادس)

ظهرت بعد سنة ١٩٤٨ صحيفة "السلام" للشيخ عبد الله علي الحكيمي. والشيخ الحكيمي هو من أستقبل الأحرار عند هربهم إلى عدن لتأسيس المعارضة. وقد كان شيخ طريقة صوفية، هي الطريقة العلاوية نسبة إلى الشيخ أحمد العلاوي، من الجزائر. وكان يرأس المهاجرين في كارديف وأسس جمعية إسلامية ومدرسة إسلامية. وكان قد عاد إلى اليمن لأنه من بلاد الأحكوم، وينتسب إليها (الحكيمي). والأحكوم منطقة من قضاء الحجرية. وقد رحب بنا في عدن وأيد قضية الأحرار وآواهم. وبعد فشل قضية الأحرار في ١٩٤٨ تصدر هو لإصدار جريدة السلام، وكان يصدرها من بريطانيا امتدادا لحركة الأحرار. فالتف حوله مجموعة من الناس وكونوا الاتحاد اليمني فتولى رئاسته، بينما كان له فرع في القاهرة برئاسة الزبيري، حينما كنا في السجن. وقد عمل الاتحاد اليمني لجمع منظمات الأحرار. لكن حدث نوع من الانشقاق، وساعت علاقتهم بالزبيري في مصر. ويكاد سبب الانشقاق أن يكون الانقسام الطائفي بين الزيدية والشافعية. فالزبيري يعتبر زيدي والحكيمي شافعي ولم يكن بينه وبين الزبيري ما بيننا. فبدأ من هناك انقسام الأحرار. ووجد في عدن انشقاق على الحكيمي تصدر له شعلان والأسودي باعتبار أنهما مع الزبيري، ويريدان الصدارة لنفسيهما، وتجار بعضهم مع بعض. مات الحكيمي رحمه الله، بعد أن حدث شيء من الخلاف لكن لم يكن خلافا حادا. فتصدر الأسودي وشعلان لقيادة لاتحاد اليمني، وهما تاجران في عدن. وخفتت حركة الأحرار. ثم خرجت إلى القاهرة والتقيت بالزبيري، ودخل الطلاب في مذاهب جديدة بحيث أصبحت فكرة الأحرار خرافة عندهم وعقلية سخيفة.

بقي الأسودي وشعلان يركزان على معارضة نعمان تماما، فارتبطا بالبيضانين من عدن مباشرة (يوجد انقطاع في الشريط). وأصدر عبد الله عبدالوهاب، ابن عمي، ووالده ممن استشهدوا في حجة سنة ١٩٤٨، جريدة سماها "الفضول". وكانت الجريدة تتسم بالسخرية اللاذعة من الحكم، بأسلوب أدبي قوي.

ظل يصدرها في عدن بعد تشتت الأحرار ولم يرتبط بأية منظمة سياسية. كانت صحيفة يتحدث فيها عن مظالم اليمن وما يحدث فيها من مشاكل. وهو من التلاميذ الذين درسوا على يدي في مدرسة الحجرية التي أسستها، وممن كان معنا حينما كنا ندعو لولي العهد أحمد لكي نتقي به خطر علي الوزير. فقد قام ذات يوم بعد صلاة الجمعة يلقي خطبة على الناس، كنت قد أعدتها، تشيد بولي العهد سيف الإسلام أحمد، وأنه الرجل المهيأ للمستقبل، وأنه الرجل المنتظر، وأنه أصدر قرارات بمنع التنافذ والخطاط عن الرعية، وأنه سيخفف الضرائب وغير ذلك. أحدثت هذه الخطبة صدمة في نفس الحاكم المسؤول في تلك المنطقة. فوجئ بسماع الحديث عن مثل هذه القرارات. وخرج من صلاة الجمعة بعد سماع هذه الخطبة يسأل من أين جاءت الأوامر؟ هذا ما خلق إثارة وانزعاج عند العسكر، لأنهم لن يستطيعوا اختلاس المواطنين، وأن التنافيذ ستلغى. فما ذا يعمل هذا الحاكم؟ ضاعف من تنفيذ العسكر وإرسالهم إلى الأهالي.

ظل عبدالله عبدالوهاب يصدر الصحيفة في عدن. ثم واجه مضايقات من الآخرين. أخذ انشاق الأحرار أشكالا متعددة حتى ضاعت قضية الأحرار وفكرتهم. وجاء هذا الموكب الجديد ممن يرفعون شعارات اشتراكية وحرية ووحدة وغيرها من الشعارات الجديدة الأخرى وكل شيء إلا ما يتعلق بالمشكلة الحقيقية وهي اليمن وكيف يمكن تحريرها من التخلف. كيف تتطور. وهذا ما كان الأحرار قد وصلوا إليه في سعيهم لحل مشكلة اليمن. كانوا ينتظرون من الآخرين أن يساعدهم على حل مشاكلهم! وجاء هؤلاء ليغرقوا في مشاكلهم وينسوا مشاكلنا. فتلاشى الأحرار تلاشيا عجيبا بسبب الخصومات التي كانت تتخذ على أنها حول القضية الوطنية في حين أنها منبعثة عن عصبية قبيلة قديمة، تأتي لتتخذ شكل الخلاف من أجل القضية الوطنية. والواقع أن جذورها جذور قبلية. مثلا أنا كنت في ذبحان، ويوجد طلبة يدرسون من شرجب، وكانت توجد خلاقات بين قبيلة ذبحان وشرجب. جاء الخلاف يحمل علي بدون سبب، بل بسبب الرواسب القبلية الموجودة. كذلك كان يحدث الخلاف بين البعثيين. فكان الطلبة الشافعيون يميلون للأفكار اليسارية باعتبار أنهم مضطهدين من الزيود، والزيود أكثرهم بعثيون، يميلون للبعثيين وعلى رأسهم

محسن العيني. وكانوا حينما يتصارعون ويدمغون الشافعيين بأنهم شيوعيون، يرد الطالب ويقول أنت ضدي لأنني شافعي وليس شيوعي. فيرد عليه: أنت تقول بنفسك إنك شافعي وليس شيوعي، فيرد آخر وأنت تغطي زيديتك باسم البعث. كانت هذه أيضا مما جاء به الجيل الجديد لليمن الذي لا يزال متخلفا يبحث عن تحقيق وجوده كإنسان قبل أن يصل إلى مرحلة الخلاف على الأفكار الشيوعية والبعثية واليسارية.

كذلك من الأحرار الذين لهم أثر يذكر في القضية، السيد عباس ابن أحمد باشا، وهو من الأسر الكبيرة في اليمن، في تعز، أسرة كانت دائما تحكم منطقة تعز. بدأت العلاقة بيني وبينه على أساس أنني أجيد اللغة العربية والنحو وقواعده وهو متخلف فيها، فظل يأخذ عني دروس في هذا. ثم كانت العلاقات بين الآباء علاقات صداقة. فبدأت الوشائب الفكرية من ناحية العلوم والأدب ثم تطورت إلى العلاقات المتصلة بالقضية الوطنية. بعد سفرنا إلى عدن وأنا والزبيري، اعتقل هو أيضا بسبب أنه كان معنا ودخل السجن من أجل هذه القضية، وأنه كان دائما ضد الوضع القائم.

وأحمد البراق خرج مع سيف الحق إبراهيم وكان سكرتيه عند ما خرج إلى عدن، وكان يحاول أن يؤثر على سيف الحق إبراهيم، ويقول له أنت زعيم الأحرار ولكن كل شيء في يد نعمان، ونحن لا نعرف من هم هؤلاء الأحرار، ولا من الذي يمول هذه القضية، وكم من المال دفع لهذه القضية. لنفرض أنهم اغتالوا نعمان وأنت زعيم الأحرار؟ وحملوا على الزبيري والزبيري صامت ويصر على أنه لا يعرف أي شيء. وجاءني الزبيري ذات يوم إلى المطبعة وقال: "إن الأمير اليوم غضبان والبراق غاضب والإخوة جميعا غاضبون لأنهم يريدون أن يعرفوا من هم الذين يسندون هذه القضية. يريدون أن يطلعوا على أسرارها وماهيتها. وأنا موافق معهم على هذا. وقد يرسل الأمير سيف الحق إبراهيم الآن في طلبك. وكنت دائما منشغلا في المطبعة من أجل التصحيح والإشراف على الرسائل إلى المهاجرين اليمنيين. كنت أتولى كل هذه الأمور، أكتب لهم وأستلم الردود منهم. وكانت الرسائل والردود موجودة وحفظت إلى الآن. دعاني مرة الأمير وكان يوجد هناك أيضا محمد عبد الله الفسيل، من الأحرار. وهذا كان ممن يحرضون ضدي. فدخلت

إلى عند الأمير إبراهيم والفسيل عنده، فطلبت منه الخروج قائلاً: "من فضلك، لي كلام خاص مع الأمير." وظل الأمير يناقشني ويقول لي: "نحن نخشى أن يجرى عليك شيء. ونحن لا نعرف شيء عن القضية وعن أسماء أعضائها، ومن هم حتى نتعرف عليهم، وما هو لقب زعيم الأحرار ومن يدعمهم؟" قلت له: "هل تثق بي أم لا؟". قال: "نعم أثق." قلت: "فإذا كانت الثقة قائمة بيننا لن يحدث شيء. هناك من يخشون أن يتسرب خبر بأنهم يساعدون الحركة فيقضى عليهم أو يعاقبون أو يتعرض أهاليهم للمضايقة داخل اليمن. لهذه الأسباب لا نحب التكلم. ولكن ما هو الذي ينقصكم. القضية تمشي، الصحيفة تصدر في مواعيدها، الإخوة يقبضون نفقاتهم جميعاً. لا يوجد ما يدعو لأي شيء من هذا." قال: "والزبيري؟". قلت: "الزبيري لا يعلم شيئاً." قال: "وفلان، لماذا لا يعرف؟" قلت له: "لأنه مرتزق." قال: "طيب، وأنا؟". قلت: "لأنني أملك وأنا أظن أن الثقة بيني وبينك، إنما أعتقد أنك تشك في أنهم هم الذين لا يتقون بي. لكن ما بيني وبينك ثقة قائمة وكل شيء يمشي، حينما يحصل أي نقص، أنا برئ من ذلك." بعد أن خرجت، أتى البراق والفسيل يريدون أن يروا ماذا حدث، لكن لم يحدث شيء قط.

س — أكان الزبيري يعرف؟

ج — نعم. كان الزبيري يعرف كل شيء، ولكن كان يتظاهر بأنه لا يعرف شيئاً. وكان هناك أيضاً أحمد الحورث ومحيى الدين العنسي مع محمد صالح المسمري يصدرون جريدة "الصدّاقة" التي كنا نمولها نحن من عدن وتصدر في القاهرة. هؤلاء الثلاثة استشهدوا سنة ١٩٤٨، وكنا سوية في غرفة واحدة. دعوهم للإعدام في يوم واحد، حتى أن السيف الذي يقطع الرؤوس لم يكن متواجداً في ذلك اليوم، فظلوا ينتظرون، وهم يبحثون عن سيف ليقطع رؤوسهم. فلما خرجوا كانوا كأنهم خارجين إلى الجنة، لماذا؟ لأن العقيدة مسيطرة عندهم بأنهم يموتون من أجل بلادهم. كان الواحد يخرج ليضرب عنقه، يشد بخشبة إلى الوراء ثم يضرب بالسيف في العنق، ومع كل ذلك كانوا يخرجون مستبسلين، يودعوننا ويقولون إلى اللقاء، نلتقي في رحمة الله. وكان منهم أحمد حسن الحورث، ومحيى الدين العنسي، وأحمد البراق الذي كان مع سيف الحق إبراهيم، وعبد الله أبو رأس، من

مشائخ قبائل اليمن، أعدموا سنة ١٩٤٨، وكان أبو راس قد خرج إلى عدن ورجع مع الأولين، مع مطيع دماج باعتبار أنهم مشائخ قبائل. فظلوا ناقلين علي لزمنا لأنني أعتبر من مشائخ القبائل، فكيف أضع نفسي في صف رجال الفكر وأقود حركة الفكر. لكنهم يغفلون أن الإنسان انفصل عن أسرته القبلية وتتوقف. فكان المفكرون ينقمون علي وينافسونني من الناحية الفكرية، والقبائل من الناحية القبلية، لأنني أيضا انتمى إلى عصبية وهي قبيلة الحجرية، وانتمى أيضا إلى رجال الفكر وهي عصبية فكرية.. فكانت توجد عوامل تجمع سخط الآخرين. وإلى جانب هذا كانوا يتوهمون أيضا من الناحية المالية، وناحية المال حساسة، يعتقدون أيضا أنني أسيطر على كنز سليمان ، وكيف استطيع أن أحصل على مال من الآخرين ولا أعطيهم هذا المال. وصمت دائما بهذه الوصمة وشنت الحملة علي بين المهاجرين. حتى حينما حملوا عليّ في صنعاء في الأيام الأخيرة وأنا هنا في لبنان في أواخر الستينات. قالوا إنني أخذت أموال المهاجرين، وإنني أستاذ البدر، وإن البد من أطلق علي لقب أستاذ. أو أن الإمام أحمد من لقبني بلقب أستاذ. فكانت هذه من العوامل المثيرة لعناصر كثيرة. لأن المهاجرين لا يتقون إلا بي ولا يستمعون إلا لي. وفي الواقع حينما ينكشف الأمر على حقيقة سيتضح أن لي علاقات شخصية بكثير من المهاجرين ، حتى أن القضية لم تحصل على مال لمساندتها إلا ببواعث شخصية وصداقة شخصية. كان يوجد معنا أيضا عبده الدحان، وهو من الذين كانوا في عدن، كان صاحب مطعم. ولكن عند ما جاءت قضية الأحرار ترك المطعم وجند نفسه من أجل قضية الأحرار. والذين كانت تطاردهم سلطات اليمن يهربون إلى عدن فيسعى الدحان لتأمين حياتهم. لهذا يقول الموشكي:

ودحان ناقشه عن أصله فإن به نزعة من عمر

أي من حيث شجاعته وبطولته. وقد سجن معنا أيضا، حتى أنه عند ما سجن في حجة وحمل القيود وهو غير متعود على القيود ولا على الحركة وهو مقيد، ظل يلعن الإمام وأبو الإمام، فخاف السجناء من أن يجني على نفسه بهذا السب فجاءوا ليسكتوه. والمسجونون أيضا خافوا من أن يسبب لهم المشاكل. فتوقوا خطرهم بمدارته ليصدوه عن هذا الكلام. قالوا له: هذا هو الإمام الهادي. قال لهم: لعنة الله

على الإمام الهادي والمهدي أيضا. وظل في السجن أياما ثم خرج للتخلص منه. الحاج محمد سلام حاجب كذلك إنسان احتفى بالقضية احتفاء كبيرا وكان مقيما في عدن. وعبد الله عثمان، وأحمد عبده ناشر، في الحبشة، وهو من الأشخاص الذين جاءت الثورة وتجاهلتهم. لم تنتشر عنهم حتى خبر، وهو من الأحرار القدامى.

ونائب حجة عبد الملك المتوكل، كان المسؤول الذي ينوب عن الإمام في حجة. حينما بدأ الإمام يفرج عنا طلب مني أن أعطي أبناءه دروسا. وكان يسمح لي بأن أخرج في النهار تحت رقابة جندي وأعود في الليل. فكان في هذه الفترة يطلب مني أن أعلم أولاده. وكان يأنس بالرسائل التي أرسلها للإمام ويقرأها قبل أن ترسل، تمر عن طريقه فيستشف منها بأنه يوجد هناك روح الإخلاص ويتفاءل بأنه لا بد من الإفراج عن المحكومين. فتثبتت العلاقة. وكان لهذه العلاقة أثر كبير في استرجاع عواطف الإمام إلى حد كبير. وكان هذا النائب شيخا في السبعين من عمره، ولكن كان يتمتع بذكاء مفرط. وظل أولاده في صحبتنا يقرءون الأدب والتاريخ والجغرافيا، ويتعلمون الخط والحساب. لأن هذه العلوم كانت تنقص اليمن. تواصلت العلاقة بيني وبينه إلى أن غادرنا السجن. وقد كان من شفعائي عند الإمام. وكان أولاده يبعثون الكتب إلى المساجين. هذه كانت سنة أطلقت من بعده. من حسن علاقتهم بالمساجين أنهم كانوا يمدونهم بالكتب، ويأمرون السجانين بالتخفيف عنهم. يطلبون من أبيهم أن يعطيهم نوعا من المساعدات. ولما جاءت الثورة ذبحت أكبرهم وهو حمود بن عبد الملك، وأخوهم الثاني تشرد ولم يرجع إلى الآن (عاد في أواخر الستينات). وصودرت أموالهم وأملأهم، لماذا؟ لأن الثورة جاءت بطغمة مشبوهة من الخارج لتمحو معالم الحركة اليمنية ولتقول إنها هي التي خلقت الحركة، وإنهم عملوا كل شيء، وأن هؤلاء اليمنيين لا يعرفون فكرا، وليس لهم ماض، وليس فيهم أحد إلا من يوم جاءوا هم ليتفضلوا عليهم بالفكر وبالنهضة. كانوا يطمسون كل شيء لتبرير احتلالهم لليمن. فهذا نائب حجة ممن قدموا مساعدة كبيرة للأحرار، وإذا بأبنائه يجدون المكافأة بهذا الشكل.

وسوف نتكلم الآن عن المهاجرين اليمنيين وعن مساعدتهم للأحرار. كانت معارضة الحكم الإمامي من الداخل مستحيلة، إذ كان مستحيلا أن يعترض أحد على

الحكام في الداخل، لأن في وعي الناس من التعاليم الدينية أن الحاكم يطاع ولا يخالف، لقول النبي: "اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عبد حبشي كأن رأسه زبيبة." ويفسر الفقهاء الآية: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم." بأن طاعة الأمير من طاعة الله ورسوله، لأنه يمثل الشريعة ويمثل التعاليم السماوية، باعتبار أن الحاكم خليفة النبي. ولهذا يسمّون الخلفاء. وكان النبي دائماً لا يصدر في أحكامه إلا عن السماء. والمفروض من الخلفاء أن يكونوا متقمصين روح الشريعة وأن لا يخرجوا عنها. لهذا لا ينبغي أن يعترض عليهم أحد. وحتى الخروج عليهم غير جائز:

ولم يجز في غير محض الكفر خروجنا على ولي الأمر

لا يخرج المسلم عن طاعة أميره إلا إذا كفر كفراً صريحاً. وأما الظلم أو نحوه فإن الله سينصف المظلوم. وهكذا كانت المعارضة على هذا النحو في اليمن مستحيلة دينياً. لهذا تبادر إلى ذهننا بعد أن كان كل من أتهم بمعارضة مجرد اتهام تنزل به عقوبة السجن والجلد ونحو هذا، أنه لا مجال إلا في الخارج. لكن على من نعتمد في الخارج؟ على المهاجرين اليمنيين. لأن أكثر اليمنيين مهاجرون في الخارج للعمل، وبخاصة في الدول القريبة من اليمن مثل بريطانيا في الجنوب وفرنسا في ميناء جيبوتي بالقرب من البحر الأحمر. وأقرب مهجر لليمنيين عدن. وعدن تكاد تكون جزء من اليمن، بل هي قطعة من اليمن في جنوبها، والمسافات بين اليمن وبينها ميسورة. كانت هاتان الدولتان تستقبلان المهاجرين. وكانوا يعطونهم الأجر المغربي بالنسبة لحاجة اليمني. كانوا عمالاً في البواخر، وينقلون للعمل في بريطانيا وفرنسا، فوجد منهم عشرات الألوف في مرسيليا، وفي برادو، في فرنسا، وفي بريطانيا في كارديف وبرمنجهام. وكانت بريطانيا مهجر كبير. يوجد في هذه المهاجر اليمنية عشرات الألوف. كذلك في عصب، وهو ميناء على البحر الأحمر، وفي مقديشو. وكانت إيطاليا تسيطر على هذه المناطق. وكان في السودان جالية كبيرة. وكل هؤلاء كانوا يخرجون لطلب المعيشة وفراراً من الظلم النازل عليهم. فيخرجون ويكتسبون ويعودون إلى أهاليهم بالنفقات.

وكان مما يشغل بالنا أن أبناء اليمن سينزحون إلى الخارج وتصبح البلاد خرابا. فما هي أسباب الهجرة؟ وأذكر أن أول ما كتبتة سنة ١٩٣٨ وأنا في مصر رسالة طبعت ووزعت بعنوان "الأنة الأولى: أبناء اليمن في مهاجرهم يشرحون أسباب الهجرة لولي العهد المحبوب سيف الإسلام أحمد"، وكان الإمام يحيى لا يزال يحكم. وكنا ندمغ الحكام الذين هم دون الإمام ودون أبنائه من نوابهم في المناطق المختلفة بأنهم هم الذين يرتكبون هذه المظالم، وأما الإمام فبعيد من هذا. كانت هذه الرسالة تحمل الشكوى من هؤلاء، ماذا صنعوا باليمنيين حتى حملوهم على الخروج من ديارهم سعيا وراء الرزق وفرارا من الظلم. وشرحنا الأسباب: منها التنافيذ، ومنها الخطاط، ومنها زيادة الضرائب. هذه الأسباب جعلتنا نضرب على وتيرتها لإثارة السخط على الحكم القائم. وقد وجدنا أن المهاجرين هم العنصر الذي يمكن أن يعتمد عليهم لتمويل الحركة، أما الذين في الداخل فلا يطمع من أحد أن يقدم مالا من أجل دعم الحركة، لأن الذين في الداخل ينتظرون مساعدات من الذين في الخارج. حتى أن بعضهم حينما أرسلت إليهم صحيفة "صوت اليمن"، كان يقول ماذا يعطوننا من أجر على قراءتها، بدلا من أن نأخذ منهم اشتراك. غير أن هناك قلة قليلة ساعدت القضية. وقد ذكرت لكم جازم الحروي في السابق. ولعله أبرز يماني من الداخل كان يساعد هذه الحركة. ومن الممكن أن يكون اليمني الوحيد في الداخل. كان بعض الأشخاص والمستنثرون يقدمون مساعدات بسيطة ويقدررون ظروفنا في الحركة، أي أن اليمنيين لم يكن لديهم الوعي الوطني، فكنا عند ما نطلب منهم مساعدة كالذي يستجدي استجداء. نقول لهم قدموا مساعدة لنأكل ونشرب. لأن اليمني خرج وهو جاهل لا يسمع بما يجري في العالم من نهضة، ولا بالحركات التحررية. حتى أنه يعمل ببناء هذه الحضارة ويعيشها ولكن لا يفكر في أمرها أبدا، بل قد يكون نافرا منها، يعيش الحضارة وهو مستوحش. لأنه لم يكن لديه استعداد عقلي لفهم هذه الأشياء. كان معنا من المهاجرين في عدن مجموعة تكاد تعد أسماءها، مثل: محمد سلام حاجب، والحاج عبد الله عثمان، ومحمد علي الأسودي، هؤلاء في عدن. وكان معنا في شرقي أفريقيا شاهر عبد الرحمن وناشر عبد الرحمن. وفي جيبوتي محمد أحمد شعلان، وفي أديس أبابا في الحبشة كان

يوجد أحمد عبده ناشر، وهو يعتبر من أعلام المكافحين، ولا يزال حتى الآن مهاجرا في أديس أبابا. كان ممن يساعد الحركة بأن يأخذ مساعدات من أفراد من اليمنيين من أجل صحيفة "صوت اليمن" ومن أجل المطبعة ومن أجل العاملين عليها. كذلك في السودان كان يوجد جماعة. وفي بريطانيا كان يوجد الشيخ عبد الله علي الحكيمي ويوجد بجانبه شباب من أبناء شمير، ومن أبناء صبر، ومن أبناء النادرة. وفي أميركا، كان يوجد جماعات.

س — كيف انتشروا هكذا؟

ج — الذي ييسر لهم الخروج أنهم في عدن يأخذون جوازات إنجليزية. يوجد في عدن من يسمون وكلاء البحارة. وهؤلاء الوكلاء ييسرون السفر لليمني إذا وصل إلى عدن، يعدون له شهادة بأنه من أبناء الجنوب، ويعطون له جوازا إنجليزيا، يسافر بهذا الجواز في العالم حيثما يريد، أما للعمل بحارا وأما عاملا في مصنع، أو في أية مهنة من المهن. وكان السفر إلى فرنسا من جيبوتي أيضا. كان الشخص يحصل على الجنسية الفرنسية ويصبح عاملا. كانوا يرغبون في هؤلاء اليمنيين لأنهم عمال نشيطون من جهة، ومن جهة أخرى لأجل أجورهم المنخفضة. ثم إنهم لا يسببون المتاعب ولا يطالبون بما يطالب به العامل في وطنه من حقوق أو غير ذلك، لأنهم لا يفهمون شيئا غير العمل. فكان هؤلاء المهاجرون دائما المادة التي نثير من خلالها النقد على الحكام الذين شردوا اليمنيين وجعلوهم مشتهين في المهاجر وبلادهم أحوج إليهم. وبجانب هذا أيضا كانت الحركة تستعين ببعض من هؤلاء، في النادر وبقلة.

ظل النشاط مع هؤلاء دائما. وكانت عدن المركز الرئيسي. وتكاد عدن أن تكون همزة وصل بين اليمن واليمنيين الذين في الخارج، فوكلاء البحارة موجودون في عدن، ولكل منطقة من مناطق اليمن وكلاء في عدن يستلمون التحويلات من المهاجرين ويوصلونها إلى أهاليهم في الداخل. وقد يشتري الأهالي في الداخل أرضا للأشخاص المهاجرين منهم، وقد يبنون بيوتا من الأموال التي تأتيهم، ثم يدفعون الضرائب للحكومة لأنهم لا يستطيعون سداد ما تطالبهم به الحكومة أحيانا.

فهؤلاء المهاجرون هم الذين أردنا أن ننشر الوعي بينهم وأن نتعاون معهم. كنا نصدر الصحيفة من عدن، وكانت الصحف تأتي من مصر إلينا وترسل عن طريقنا إلى عناوين الأشخاص الذين يتولون التوزيع بعدد معين. يتعاون معنا مثلاً في الألف خمسة أشخاص من هؤلاء المهاجرين. لكن الذين حاربونا فيما بعد اعتقدوا أن كل المهاجرين يدفعون الأموال لنا على الرغم من أننا سجننا في حجة سبع سنين، وتولى الحركة أناس آخرون من بعدنا، فلم يحصلوا على شيء. وبعد خروجنا من السجن بعد هذه المدة بدأنا نتصل من جديد بهؤلاء الأشخاص، إذ كانت الثقة موجودة. كان الخصوم ينالون منا ويريدون أن يشكوا فينا، مما اضطرنا إلى أن نصدر بياناً أنا والزبيري من القاهرة إلى جميع اليمنيين في المهجر. "بما أننا ممنوعون من النشاط السياسي، ولم تعد صحيفة صوت اليمن تصدر، ولأننا لا نقوم بأي نشاط، فإننا نطلب إليكم أن لا تبعثوا بأي شيء، لا باشتراك ولا بمساهمة." وعلى الرغم من هذا اعتبر الخصوم أن هذه حيلة أخرى. ولكن الحقيقة أن الإنسان راض كل الرضى بأن يتمتع بثقة المواطنين الذي تعامل معهم والذين يعرفهم حق المعرفة. فهؤلاء المهاجرون كانوا عوناً للحركة.

يضاف إليهم أن أبناء الجنوب، من عدن وحضرموت والمحميات، رحبوا بحركة الأحرار اليمنيين ترحيباً حاراً. وكان عندهم شعور بأن الجنوب جزء لا يتجزأ من اليمن، وأنهم يريدون أن يتغير الحكم في اليمن ليصبح أبناء اليمن كلهم شعب واحد. كان الحكم في اليمن هو السبب الذي يحملهم على البقاء تحت حماية الإنجليز. فكان في عدن آل لقمان وعلى رأسهم محمد علي لقمان، صاحب صحيفة "فتاة الجزيرة"، وآل الأصنج، وعلى رأسهم الأستاذ أحمد محمد سعيد وعبد المجيد الأصنج، والد عبد الله الأصنج الذي كان يرأس جبهة التحرير في الجنوب. أحدثت هاتان الأسرتان نهضة أدبية في عدن. وهناك أيضاً آل الجفري وآل خليفة، وكثير من الأسر في عدن. رحبت كلها بنا حينما نرحلنا إلى هناك وأنزلتنا من أنفسها منزلاً كبيراً، وتعاونت معنا إلى حد كبير أكثر مما تعاون معنا أبناء الشمال. وكان لهؤلاء هدف، حينما تتحرر اليمن من الظلم يكونون هم من أبنائها ومن العاملين فيها. وكان يتوفر في عدن الحرية وتأثير الحضارة الغربية. فيها المدارس وفيها الصحافة

والمطابع. فكانت تعتبر بالنسبة لليمن كأنها باريس، يلجأ إليها المفكر والكاتب، ويجد العامل العمل، البعض يبني والبعض يتجر. واليمنيون نشيطون إلى حد كبير.

وكان العامل الثالث من عناصر القوة التعلق بالعرب في الخارج. فقد كانت الدعاية العربية والصحافة العربية مما اجتذبتنا أيام هجرتنا. وكنا نعتقد أننا سنلقى منهم عوناً كبيراً. وفعلاً، تعاون معنا الإخوان المسلمون، إذ كانت لهم فكرة صادقة يريدون نشرها بحق، وكانوا متعاطفين مع الشعوب وغير راضين عن أساليب الحكام. هؤلاء تعاونوا مع حركتنا وكانوا يعملون لنشرها في صحفهم، وجاء مدرسون إلى اليمن من الإخوان المسلمين، كانوا يبثون الروح الوطنية ويساعدون حتى بالمال من أجل حركة الأحرار. يأخذون من رواتبهم ويمدون به الأحرار. وأذكر أن اثنين منهم جاءوا إلى تعز، وتعز أقرب مدينة إلى عدن، فلما خرجوا إلينا وكانوا يلمسون الوضع والحكم المتخلف، كانوا يقولون نحن نريد أن تنشئوا صندوقاً لليمنيين الذين يخرجون ويضايقهم الحكم في الداخل ليجدوا القوت حتى يتيسر لهم عمل. يتولى الصندوق مساعدتهم وسنساهم نحن في هذا الصندوق. فكان هؤلاء أيضاً من العناصر الذين نعتمد عليها : المهاجرون ثم أبناء عدن والمحميات ، ثم بعض العناصر العربية وبخاصة من الإخوان المسلمين. وكان هناك أيضاً أبو الحسن محمد علي الطاهر، بحكم العلاقات السابقة بيننا، يعمل لمساعدة اليمنيين المرتبطين بنا في القاهرة. وكان في القاهرة جماعة مرتبطين بحركة الأحرار، وهم المسمري والخورش وسلام فارح ويحيى زبارة. لم تكن هذه الحركة في تلك الأيام تعرف إلا اليمن وقضية اليمن ومشكلة اليمن، ولا تهتم بغيرها. لم تكن قد وجدت النزعات أو التيارات الجديدة. وقد تعرض الإخوان المسلمون أيضاً لنوع من العقاب بسبب ارتباطهم بحركة الأحرار اليمنيين. وكان همزة الوصل بيننا وبينهم الفضيل الورتلاني، وهو من الجزائري. كان قد طرد من فرنسا لأنه كان يحرض من أجل الثورة في الجزائر. وكان قد جاء من فرنسا إلى مصر وحاول أن يلتحق بكلية أصول الدين بالأزهر إلى جانب نشاطه السياسي للاتصال بالأحزاب والجمعيات والمنظمات في مصر. وكان عنصراً نشيطاً إلى حد كبير ومن كبار المفكرين. بدأت أتعرف عليه وأنا عند الأمير شكيب أرسلان أساعده في كتابة رسائله، يملئها

علي غيبا: رسائل للملوك، ورسائل للحكام، ورسائل إلى سوريا، يحاول أن يحرك العالم العربي. وهو من الرواد الأوائل في النهضة العربية. وكان من دعاة الوحدة العربية. جاء الفضيل الورتلاني إلى الأمير شبيب أرسلان وطلب منه أن يساعده برسالة توصية إلى شيخ الأزهر لكي يقبلوه طالبا في الأزهر في كلية أصول الدين لإعطائه مبررا للبقاء في مصر. فكتب شبيب أرسلان رسالة إلى شيخ الأزهر وأثنى على الورتلاني قائلا إنه من المجاهدين الذين نفتهم فرنسا. وهكذا بدأت أتعرف عليه خلال تردده على الأمير شبيب، وبدأت الصلة بيني وبينه دائما بمناقشة أمور تتعلق باليمن وبشجونها وبالاتصال بها. وكان هو من العوامل التي دفعت حركة الأحرار لأن تتحولوا من مرحلة المعارضة الكلامية إلى المعارضة الثورية. وقد جاء إلى عدن من القاهرة ليمثل في الظاهر شركة الباصات التي كان يملكها شخص في مصر اسمه محمد سالم. ولما مرّ إلى عدن وتعرف على بعض اليمنيين وتبادل معنا الرأي دخل إلى تعز وقابل سيف الإسلام أحمد ولي العهد، فاستقبلوه واحتفوا به وأعجبوا بأرائه، وقدم لهم مشاريع من أجل النهوض باليمن وإصلاح اليمن، ثم سار إلى أن وصل إلى صنعاء وقابل الإمام يحيى. ولكنه كان يرى أن هؤلاء الحكام قد جمدوا على أسلوب لا يمكن أن يتحولوا عنه. وكان غيورا جدا وهو يرى أن اليمن برخائه، بخصويته، بمياهه، بأراضيه الزراعية الهائلة، وبالخيرات التي فيه والتي يمكن أن تتسع يستطيع أن يوفر العيش برخاء لثلاثين مليونا. إذ كان للورتلاني دراسات اقتصادية أيضا. وكان يمر ببعض المناطق التي تفيض المياه فيها دون أن يجري الانتفاع بها. وسيول تنحدر من الجبال المختلفة. فكان هذا يثير في نفسه التساؤل لماذا لا تفتح هذه الحكومة الباب للتطور، ولا تستقدم الخبراء وتتعامل مع الخارج للنهوض باليمن. فوجد أنه ليس هناك حل إلا أن يزول هذا الحكم، ولكن كيف يزول؟ تشييع لهذه الفكرة وظل يوحى بها إلى أشخاص داخل اليمن مؤكدا لهم أن لا حل إلا بانتهاء هذا الحكم بأية طريقة من الطرق. ورجع عند ذلك إلى عدن وهو يحمل هذه الفكرة. وذهب إلى القاهرة وهو يحملها. وأتصل بالإخوان المسلمين وباليمنيين الموجودين هناك، وظل يقنعهم بأن الحل الوحيد أن يتبدل هؤلاء الحكام، ليأتي بدلا منهم آخرون عندهم قابلية التغيير والتطوير، أما هؤلاء فلا ينفع شيء معهم. وبدأت هذه الأفكار تتطلق.

وجاءنا بعض الإخوة رسلا من عنده من القاهرة يفتحوننا بهذه الفكرة. وكانت الفكرة إنهاء الإمام يحيى وولده ولي العهد سيف الإسلام أحمد. ولكن من خلفهم؟ رشح السيد عبد الله الوزير. وبيت الوزير أسرة تكاد تكون في الدرجة الثانية بعد أسرة حميد الدين في اليمن. فقد اعتمد حكم الإمام يحيى على رجال بيت الوزير الذين كانوا يحكمون اليمن ولم يعتمد على أولاده. وكان قد وزعهم في مناطق متعددة، وخدموا الإمام بإخلاص، وأبرزهم السيد عبد الله الوزير الذي كان في زمار ثم تنقل في أماكن متعددة، والسيد علي الوزير الذي كان في تعز. رأى الفضيل الورتلاني أن يرشح بيت الوزير ليحلوا محل بيت حميد الدين بشرط أن يكون هناك ديموقراطية وحرية ومجلس شورى. ووضعوا الأسس لهذا. وفاتحوا عبد الله الوزير بهذا. وكان بين بيت الوزير وبيت حميد الدين ثار، لأن الإمام يحيى عند ما كبر أبناؤه نحى رجال بيت الوزير بدون سبب ووضع أبناءه مكانهم، فكان صراعهم من أجل السلطة. إذ بدأ يحس بأنهم قد يستأثرون بالسلطة ويصبح أبناء الإمام خارجها بلا دور. وكان أبناء الإمام أيضا يتطلعون لتولي السلطة ويخافون من آل الوزير. وهذا أيضا ما أتاح للأحرار مجالا ينفذون منه لإيجاد هوة بين الطرفين. وكنت أنا من أنصار ولي العهد أحمد. لماذا؟ بسبب أن علي الوزير حبس مشائخ لواء تعز ومشائخ الشافعية. وقد ترك هذا في النفس مرارة. ثم إنني تعرضت أيضا لضرر شخصي من علي الوزير نفسه، وبقيت أكايب الأمير أحمد إلى حجة وأثير في نفسه السخط لأن هؤلاء يريدون أن يستأثروا بالسلطة وأن يعملوا كذا كان هذا منفذا من المنافذ لإيجاد فجوة ننفذ منها. وكنا نعتقد أيضا أن الإمام يحيى وأولاده خير من آل الوزير. فقد كان آل الوزير متكبرين وظالمين.

س — هل كان الفضيل الورتلاني يعتقد هذا؟

ج — كان الفضيل الورتلاني يرشح آل الوزير ليكونوا خلفا لبيت حميد الدين. وكان يوجد انقسام. وعلى الرغم من أنني خرجت على ولي العهد أحمد، كنت أيضا ضد آل الوزير، وضد الجميع فيما بعد. كان عندي شك. كنت أقول إذا كان سيأتي عبد الله الوزير ليكون إماما فولي العهد أحمد أفضل منه. كنت أتصور أن بيت الوزير جامدين ومتشددين أكثر من أولئك. ولكن الزبيري كان يعارض لأنه كانت

له علاقة صداقة بآل الوزير. فقد سافر مع ابن علي الوزير إلى مصر، وكانت علاقته الشخصية بهم أكثر من علاقته بالإمام أحمد، وللعلاقة الشخصية دور. وعلى الرغم من أننا كنا قد أصبحنا ضد بيت حميد الدين، لم نكن نريد أن يكون البديل من بيت الوزير، لأن هؤلاء نسخة من أولئك، بل إنهم شركاء في الحكم. كانت هذه وجهة نظري. ولكن الأغلبية كانت مخالفة لرأيي، فسلمت بالأمر. وحينما عرض مشروع اغتيال الإمام يحيى وولي العهد أحمد وتعيين آل الوزير، عارضت في مسألة القتل. قلت لهم إن الإمام يحيى الآن في الثمانين من العمر، وهم قادرون على أن ينحوه ويتولوا السلطة ويحكموا. لأن القتل سيفضي إلى الأخذ بالثأر. وغضبت من هذا الأمر لأن الأكثرية كانت متشددة ومقتنعة بأن ليس هناك من طريق إلا القتل. وجرى تدبير الأمر على هذا النحو. وجاء الفضيل الورتلاني إلى صنعاء مرة ثانية. والتقي بعبدالله الوزير وأقنعه على الرغم من أن الوزير كان متخوفاً. لكنه أقتنع في النهاية، وأبلغ مجموعة من الذين في الداخل من الأسر الكبيرة بأن يهيئوا أنفسهم لهذا الأمر. فبدأوا يتحضرون لهذه الحركة. وكان الفضيل الورتلاني صاحب هذه الفكرة. وتم وضع "الميثاق الوطني المقدس" الذي يحدد سلطات الإمام ويجعله مقيداً بدستور، وبحقوق المواطنين، وينص على قيام مجلس شوري وتشكيل حكومة. وحدد التفاصيل إلى درجة أن أسماء أعضاء الحكومة قد عينت بالاسم. وترك الميثاق عندنا في عدن، على أن يعلن النبا في يوم محدد. ورتبوا في الداخل مجموعة من رجال القبائل لاغتيال الإمام يحيى.

ومن الغرائب أنه قبل الموعد بشهر أطلقت إشاعة في عدن تقول إن الإمام يحيى قتل. وكان الإخوة الموجودون معنا متعجلين يريدون أن يصدروا الميثاق وينشروا البيان، فرفعوا برقيات إلى أنحاء العالم وإلى الإخوان المسلمين في مصر من أجل أن ينشروا الميثاق هناك، لأن نسخة من الميثاق كانت توجد عند اليمنيين في مصر. كيف وصل هذا الميثاق إلينا؟ أرسله عبد الله الوزير عن طريق أحد عماله، وهو القاضي محمد بن عبد الله الشامي، وأرسل بخط اليد وعلينا أن نطبعه ونحتفظ به إلى وقت وصول الأنباء. وصل الميثاق مع الخادم غالب رحمه الله، وهو من كبار تجار اليمن وممن ساهموا في حركة الأحرار، وأشترك اشتراكاً

فعليا، وكان محل ثقة الوزير. وكان وكيلا لحكومة اليمن ووكيلا تجاريا أيضا للإمام. وحينما وصل هذا الميثاق إليه استدعاني وقال لي: "إنني مكلف بإبلاغك أنت والزبيرى هذا الميثاق." قلت له: "أرجوك أن لا يطلع الزبيرى على الميثاق، لا شكا فيه ولكنه حريص على كثرة الديموقراطية يريد أن يطلع كثير من الإخوة، وبذلك سينكشف السر، لأن الأمانة عنده مسألة مسلمة، ويحرص على إطلاع الشركاء أو الزملاء وأنهم لا بد أن يطلعوا على كل شيء، يعني لديه إيمان أعمى." قال: "لا يمكن أبدا." قلت له: "أنت تعرف أن الزبيرى أعز الناس إلى نفسي، لكن مصدر الضعف فيه أن الإيمان والصدق يزيد عنده إلى درجة تكشفك وتفضحك. ورفض الخادم غالب قائلا إنه لا يستطيع أن لا يقول أي شيء للزبيرى. وقال لي: "سأشدد عليه." ثم دعا الزبيرى وعرض عليه الميثاق. وما أن رأى الزبيرى الميثاق حتى كاد أن يختنق من الفرح، لأنه شاعر يتأثر بأبسط الأشياء. ورأى أن من الأمانة أن يطلع فلانا وفلانا على الميثاق قائلا إنه لا يجوز أن نكتم السر عنهم، وصمم على ذلك. وظل هؤلاء ينتظرون متى ستأتي من صنعاء الإشارة المتفق عليها. وما أن وصلت الإشاعة حتى تسابقوا في طبع الميثاق ونشره. وأنا الوحيد الذي تردد، ليس هذا عن دراسة، وإنما كان عندي إحساس، أعاند في أشياء وتثبت الأيام أن عنادي فيها في محله. لكن لا تسعفني القدرة على تعليل معاندتي. ولهذا يدمغني الناس بالاستبداد. لذلك كان ابني محمد يكتب لي قائلا: "عاند بوعي. أنت ذكي تدرك الأمور ولكن الناس لا يقبلون رأيك. ترفض شيئا لكنك لا تبين السبب." كان يحدث لي دائما مثل هذا. أرفض ما أراه غير صحيح ولكن لا أتمكن من تفسيره. وهكذا رفضت نشر الميثاق والأسماء وإعلان قيام الحركة قبل التأكد من صحة الخبر. وكنت متشددا في هذا الرفض فسخروا مني. وأخذوا يرسلون البرقيات إلى العالم وطبع الميثاق ووزع. فإذ بالخبر يتضح في اليوم الثاني أنه كان إشاعة كاذبة. وإذا بعد الله الوزير في الداخل والذين نشرت أسماءهم باعتبارهم في الوزارة يتفجرون غضبا. ذهبت إلى الخادم غالب الذي كان الواسطة لتسليمنا الميثاق لأجده منفعلا. فقلت له: "لا تلوم إلا نفسك، ألم أقل لك لا تعرض الموضوع على الأستاذ الزبيرى. أنا برئ مما حدث." وبادرت إلى صياغة برقية منه يفهم منها أن المعارضين في عدن زوروا قصة الميثاق والأسماء تزويرا، وأن القصة كلها مختلقة.

(بداية الوجه الثاني من الشريط السادس)

كتبت البرقية عند الخادم غالب إلى السيد عبد الله الوزير، ووضعت عليها اسمه لأنه سيكون المسؤول عند الوزير من حيث أن الميثاق أرسل بواسطته. وقلت في البرقية إن هؤلاء الأحرار الدسائسين يريدون أن تسوء العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وأن يزعزعوا ثقة الإمام في المخلصين من رجاله. صيغت البرقية بهذا المعنى وأرسلت. ونشر السيد عبد الله الوزير نفيًا لهذا الخبر، وتبين أن هذه أكذوبة. ولكن من نشرت أسماؤهم دخلوا في صراع خفي مع الإمام يحيى، وتوقعوا إما أن يسبقهم بتوجيه الضربة أو أن يسبقوه. ظل الإخوة بعد أن تبين عدم حدوث تغيير لا يستطيعون إظهار وجوههم بمن فيهم الزبيري ومحيي الدين العنسي والخورش. ولم أكن أحس مثلهم بالخجل لأن نظرتي كانت صائبة وترددي في محله. وشعروا بالجفوة والقطيعة، ولكن ذهبنا لزيارتهم والتخفيف عنهم، واعتبرناها مزحة. وكتب أحد الكتاب اليمنيين، وأسمه محمد حسن عوبلي، مقالًا في فتاة الجزيرة بعنوان "أحلام الأمس حقائق الغد"، وضرب على ذلك مثلاً نشر إشاعات عن موت كثيرين من القادة والزعماء وتحققت الإشاعات بعد ذلك. كانت نكسة وضربة للأحرار، لم يصدقهم أحد بعد هذا. وظلوا شهرا يعيشون أزمة عظيمة جدا. كنا كلنا في حال مرير، وكان الإخوان المسلمون غاضبين لتوريطهم في نشر الميثاق. وأخيرا، وبعد شهر، تم تنفيذ الحركة حقيقة.

وكان قد نشر مع الميثاق أن الفضيل الورتلاني مستشارا عاما. لم يتخذ الإمام يحيى أي إجراء بعد نشر الميثاق فإذا بالواقعة تقع وينفذ الميثاق عند قتل الإمام يحيى بعد شهر من نشر الإشاعة الكاذبة. ولكن الأمور سارت على غير ما يشتهيها الناس. نظمت الاحتفالات في عدن وفي المهاجر الأخرى بقيام الحكم الدستوري. ونجى ولي العهد أحمد في تعز من القتل، بينما كان من المفروض أن يقتل هو وأبوه في آن واحد، وإذا به ينجو.

س - كيف نجى؟

ج - لأن الإمام يحيى كان في صنعاء وولي العهد نائب الإمام في تعز. فلما بلغه موت أبيه وهو ولي العهد، وقتل أخويه الحسين والمحسن، حزم أمره وحمل

السلاح وأتجه نحو الحديدية ومن الحديدية إلى حجة مكان القبائل، ومن هناك بدأ يعلن المقاومة لحكم عبد الله الوزير ويبيح صنعاء للقبائل. وحينما تطلق القبائل لا تسأل عن قنابل ولا عن صواريخ ولا عن مدافع، حينما يقال لهم انهبوا واسلبوا المدينة الفلانية، يحملون الفؤوس ويهتّون للسلب. دخلوا صنعاء وصدرت الأوامر لهم من الإمام الجديد أحمد الذي حل محل أبيه أن يصونوا بيوت الإمام يحيى والبقية مباحة لهم. دخلوا يقرعون الطبول، وأشعلت النيران في رؤوس الجبال، وهذا علامة النصر. فما من جبل يرى شعلة الجبل الآخر إلا وأشعل شعلة، فاشتعلت الجبال كلها لتصبح اليمن كلها شعلة واحدة. وتسمع الكلمات "يا إماماه، يا إماماه." أنتصر الإمام أحمد وقبض على ابن الوزير، وقبض على الأحرار، ونهبت البيوت، وأبيحت صنعاء حتى يأتي الأمر من الإمام بوقف النار. وجاء الأمر من الإمام أحمد بوقف النار بعد القبض على جميع الأحرار والمتآمرين وسجنهم.

نحن وصلنا من عدن وكان معنا سيف الحق إبراهيم ابن الإمام، والزبيري وغيرهم. ذهب الزبيري وسيف الحق وغيرهم بطائرة مصرية وصلت لأن الإخوان المسلمين كانوا معنا، وكان يقود الطائرة عبد اللطيف بغدادى الذي أصبح فيما بعد عضو مجلس قيادة الثورة المصرية. وكان عزام باشا أميناً عاماً للجامعة العربية. عندما علم وصل إلى جدة وإلى الرياض بهدف الذهاب إلى صنعاء للتوسط بين ابن الوزير والإمام أحمد. فلما بدأت القبائل تهاجم صنعاء والإمام أحمد يحقق انتصارات، طار وفد من صنعاء إلى الرياض مؤلف من الفضيل الورتلاني، لأنه أراد أن ينجو بنفسه من جانب، ومعه الزبيري وعبد الله بن علي الوزير. ذهبوا الثلاثة إلى الملك عبد العزيز برسالة من الإمام عبد الله الوزير.

س — أين كنت في هذه الفترة؟

ج — كنت ما أزال في تعز، لم أقبل الذهاب إلى صنعاء بالطائرة، قلنا نحن سنسافر عن طريق البر. سافرنا نحن ومجموعة من الإخوان من تعز عن طريق إب وذمار. أما الإخوان الذين ذهبوا إلى الرياض فلم يجدوا استجابة من الملك عبد العزيز آل سعود بسبب مقتل الإمام يحيى حتى لو كان ابن الوزير صديقه.

ولكن أثاروه من مصر، وكذلك الملك عبد الله من الأردن، وعبد الإله من العراق، كلهم وقفوا ضد هذه الحركة، باعتبارها حركة ضد الملكية في جزيرة العرب لأول مرة، في حين كان الملوك في ذلك الوقت هم أكثر الحكام. إذا، ما العمل؟ أن يتآمر الكل لوأد هؤلاء. وكان الإمام أحمد قد فكر أن يلجأ إلى السعودية من الحديدة، فقال له الملك عبد العزيز آل سعود "أثبت وأنا معك بجيشي" فشد أزره وثبت. إذا، سقطوا جميعا ووقعوا تحت رحمة الإمام أحمد. وكانت تأتي أفواج يتخطفهم الناس في الطرقات، حتى بدون معرفة، حتى ولو كان يعرفك معرفة حقيقية، لأنك تقاتل الإمام. كانت توجد جماعة من الوعاظ في صنعاء والقبائل يعتقدون فيهم ويقدنسوهم. فلما وقعت الواقعة وخرجوا هاربين إلى القبائل ليلوذوا بهم، لم يقبلهم القبائل. أنتم قتلة الإمام، حاصروهم ودخلوا إلى صنعاء. أما الفضيل الورتلاني، صاحب فكرة حلول بيت الوزير محل الإمام يحيى، فقد عرف أن صنعاء سقطت وهو في السعودية. والوفد العربي كذلك عرف ذلك وهو في السعودية، حاولوا الذهاب إلى لبنان لكن لبنان رفض قبولهم. ظل الورتلاني على الباخرة في البحر. أما الزبيري وابن الوزير فقد رجعا إلى عدن. وصلا والجو في عدن قد خرب، فما وجدا مخرجا إلا أن يسافرا إلى الهند. سافرا إلى الهند وتشردا هناك. أما نحن فقد وقعنا في الأسر، وبقينا في سجن حجة ولجأ الزبيري إلى باكستان وهام الفضيل الورتلاني في أرض الله، لم يرجع إلى القاهرة إلا بعد ثورة يوليه المصرية. فقد نزل من الباخرة إلى لبنان بمساعدة أبو الحسن محمد علي الطاهر الذي يسر له الأمور بمساعدة رئيس وزراء لبنان حينذاك رياض الصلح. ومكث في لبنان إلى أن قامت الثورة في مصر، فانتقل إلى مصر وأمل بهؤلاء الثوار خيرا وحاول أن يوجههم. والتقي بعبد الناصر وتحدث معه. ولكنهم طردوه من مصر. وإذا به يصحو في ذلك التاريخ كما صحنونا نحن الآن.

حينما خرجنا غاضبين على الإمام أحمد في سنة ١٩٥٥ مررنا بلبنان والتقيت بالفضيل الورتلاني فقال لي: "ما الذي خرج بكم إلى هنا؟ أتأملون بعبد الناصر خيرا؟" فاعتبرته حاقدا، ولم أقبل أي كلام منه باعتباره حاقدا على عبد الناصر. ومكث الورتلاني هنا مريضا حتى ذهب إلى تركيا ومات هناك.

(نهاية الوجه الثاني من الشريط السادس)

كانت توجد في اليمن، في تهامة، قبيلة تسمى قبيلة "الزرانيق". ظلت هذه القبيلة تتمرد على الحكام، طيلة العهود. وهي تقطن في منطقة بين الحديدة وزبيد، في الجهة الغربية من اليمن على شاطئ البحر الأحمر. فلما تولى الإمام يحيى واستولى على اليمن، واصلت هذه القبيلة تمرداتها في حين كانت الحكومة ترهب الدخول معها في معارك، لأن فيها شجعانا ومستبسلين استبسالا عجيبا، وهي من الشافعية. وكان سيف الإسلام أحمد شخصية رهيبة بالنسبة لأمرأء اليمن ولإخوته ولسائر المسؤولين العاملين مع الإمام يحيى، حتى أنهم كانوا يلقبونه أحمد "ياجنأه"، نسبة إلى الجن، والجن هم العفاريت، طائفة مختفية لا تراها الأعين. فالتزم لأبيه بأن يخضع هذه القبيلة. كان هذا تقريبا في حدود سنة ١٩٢٦ و ١٩٢٧. وكنت في هذا الوقت أدرس في زبيد وأطلب العلم. فطلب الأمير أحمد من كل منطقة أن تنزل لتساعده على إخضاع هذه القبيلة وتطويقها من كل الجهات. نزل عمي شقيق أبي إلى زبيد، واسمه عبد القادر نعمان، على رأس مجموعة من المحاربين من لواء تعز ومن قضاء الحجرية ليكونوا إلى جانب القوات التي يقودها الأمير أحمد. وطلب عمي أن أخرج معه إلى الزرانيق، إلى المنطقة التي كان يقيم فيها الأمير أحمد و تسمى "الجأح"، منطقة فيها نخيل كثير، وقريبة من شاطئ البحر وكانت تطوق قبيلة الزرانيق من الجهة الغربية. فتركت الدراسة في زبيد وخرجت مرافقا لعمي الذي كان يريد أن أكون إلى جانبه لأحدث باسمه باعتباره غير متفقه في حين كنت قد قطعت شوطا كبيرا في التعليم وأصبحت في نظر الأسرة فقيها. أراد عمي أن يستصحبني معه لمساعدته في الكتابة وتقديم المذكرات أو المعروضات. وكانوا يذهبون لمقابلة أحمد يا جنأه، سيف الإسلام أحمد. كانت هذه أول مرة أقابل فيها هذا الأمير. دخلنا إليه ووجدناه في حالة متواضعة يلبس ملابس الجنود وعلى رأسه طاقية من طاقات الجنود، خلاف ما يلبسه سيوف الإسلام، لأنهم في العادة يلبسون عمامة عليها عذبة ممتدة من الخلف إلى نصف الظهر، وكان هذا خاصا بسيوف الإسلام الذين لا يعتمرون بعمامة صماء، بل يجعلون طرفا منها ممدودا من الخلف إشارة إلى أنهم أولاد الإمام وسيوف الإسلام. وهذه طريقة تختلف عن طريقة

اعتماد الإمام للعمامة. ففي عمامة الإمام عذبتان، عذبة من أعلى تهبط إلى خده الأيسر وعذبة من الخلف. وهذه شارة خاصة بالإمام. حينما يلف الإمام العمامة على رأسه يجعل أحد طرفيها من الخلف، وحين يكمل طي العمامة على الرأس يبقى على طرف منها يديه من رأسه إلى خده الأيسر. أما الأمير أحمد فقد كان خارجا عن كل هذا. وعند ما قابلناه صافحنا مصافحة، في حين كانت العادة أن يقبل الناس يد الأمير أو الإمام ويقبلوا ركبته والبعض يقبل قدمه، وهو لا يمانع. كانت عادة تقبيل يد الإمام وركبته لاعتبار الانتساب إلى رسول الله وتكريما للنبي، وثانيا باعتبار السلطة والخلافة. ترك اختلاف الأمير أحمد عندنا انطبعا طيبا بأنه رجل متواضع. لأن كثيرا من الأمراء والسادة يمدون أيديهم للشخص ليقبلها وقد يقبل الركبة ويقبل القدم ولا يردونه ولا ينصفونه بالتحية، بل يربتون على ظهره أحيانا. وأما إذا كان منشغلا بالكتابة والناس يقبلون الأقدام فلا يلتفت، بل يكفي فقط بأن يقول "كيف الحال" لمن يريد أن يكرمه.

حين قابلنا سيف الإسلام أحمد، ذلك الشخص الرهيب، أنسنا وأنصفنا بالمصافحة، وحال بيننا وبين تقبيل يده أو ركبته، ثم ظل يتحدث معنا ونأخذ ونرد معه. وأذكر أنني حاولت أن أقدم له قصيدة شعر وأنا لا أقول الشعر، بل أردت أن أثبت أن عندي فصاحة وعندي بلاغة لأبرهن على قدراتي في هذا المجال. وقد تكلفت هذه الأبيات ولفقتها تلفيقا بحيث أنها ليست شعرا. وأذكر منها إلى الآن:

النصر والفتح المبين مع الظفر لولي عهد خلافة الدين الأغر

لما قرأ القصيدة قال: "عجيب. هذا شعر جيد. لا فض الله فاك." وهذه عبارة يقال للشاعر حينما يلقي الشعر. يقال له: "لا فض الله فاك" أو "لا فض فوك." وكان عمي مذهولا لأن ابن أخيه يتكلم مع سيف الإسلام أحمد، أحمد يا جناء. فلما خرجت وثب يقبلني ويدعو الله بطول البقاء لي. والعادة أن الأبناء عندنا يرهبون الآباء ولا يجدون حتى كلمة مجاملة. كان هذا بيت في نفسي شيئا من الطموح ومن الغرور وبخاصة مع الصغر. خرجنا نحن وعمي إلى الخيمة. وأذكر أنني قدمت ورقة وأنا طالب علم أعزل، ألبس لباسا متواضعا وعلى رأسي عمامة متواضعة

أطلب فيها من سيف الإسلام أحمد بندقية ورصاص لأكون من جملة المجندين. وطلبت بغلة لكي أركب عليها، ومعاش لأنني كنت مهاجرا مع طلبة العلم ليس عندي شيء. وهؤلاء جاءوا بسلاحهم ومصاريفهم وبالبالغال التي يركبون عليها. فأجاب علي سيف الإسلام بخط يده يقول: "المصروف والغلة أيسر ما يكون، وأما البندق والرصاص فلا وجود لذلك عندنا." وعلى كل حال عدنا إلى خيمة أعدت لنا أنا وعمي ولبعض رفاقه. أما الجنود الذين نزل بهم فقد وزعوا على المراكز. وفي هذه الأثناء ظللنا نعيش في هذه الخيمة ونتردد بين وقت وآخر لزيارة سيف الإسلام أحمد. وأظن أنا أفتتح الجلسة ببعض المسائل أحيي بها المجلس، وأدلهم على أن عندي علم، وأختار مسائل تكون بعيدة عن أفهامهم لأثبت أنني قوي. وكان الأمير في هذا الوقت يرتاح لهذا. والغريب هنا أن قصائد أتت إليه من بعض الشعراء فأرسلها إلى لأرد عليها، وهنا أسقط في يدي، لأنني لست شاعرا وتلك القصيدة التي تكلفتها تكاد أن لا تكون شعرا. وهذه قصائد جاءت من شعراء وكلفني بالإجابة عليها شعراء، وهو صادق في ذلك ولم يكن يمتحنني، بل رأى من تلك الأبيات أنني شاعر. والعادة في مجالس الأمراء وفي مجالس الإمام، إذا جاءت إليه قصيدة من أي شاعر لا يكافئه عليها بالمال بل يرد عليه بقصيدة مثلها والشعراء موجودون عنده. وقد خلق هذا أزمة في نفسي، ففكرت بمغادرة "الجاح" وأن أعود للدراسة في زبيد، وقلت إنني إنما خرجت مرافقا لعمي لفترة واختلقت سببا وهو أن الدراسة متواصلة ولا يمكنني البقاء. وقد أجهدت نفسي لوضع رد على بعض هذه القصائد بمقدار ثلاثة عشر بيتا أجبت بها على قصيدة. وقد أذن لي بالرجوع إلى زبيد لإكمال دراستي، وكان السبب تجنب الإحراج وانكشاف الحقيقة. أذن لي بالسفر فتخلصت من الورطة، وعدت لإكمال دراستي وبقيت في زبيد. كانت هذه أول معرفة لي بسيف الإسلام أحمد. وبعد أن مكث أياما في الجاح جاء إلى مدينة زبيد، فأستقبله العلماء وأستقبلته زبيد، وهي مركز من مراكز العلم كما شرحنا عنها سابقا. ذهبت للسلام عليه وأستأننته بالسفر إلى الحج. وحينما رأياني قال: "أهلا بالهارب." لأنني تركت المعركة وعدت للدراسة. وكان فيه مظهر من مظاهر النشاط والقوة جعلنا ننحذب إليه ونسخط على الأمراء الذين عرفناهم من قبله من آل

الوزير، لأنهم ليسوا بهذا التواضع، ولا بهذه البساطة. كتب لي رسالة وتوصية إلى أخيه سيف الإسلام محمد الذي كان أميراً للواء الحديدية، وسافرت إلى الحج. ثم بعد الرجوع من الحج، انقطع الاتصال بيننا وبينه زمناً طويلاً إلى أن حدثت الحرب بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود في سنة ١٩٣٤.

عاد سيف الإسلام أحمد، فبدأت أكتبه. وكنت قد تركت زبيد وأصبحت في الحجرية، وقد أنشأت مدرسة وكأني زعيم روعي في البلد. مات والدي وأصبحت أنا خليفة له. يلجأ الناس إلي لحل مشاكلهم. وكان إخوتي يعدونني عالماً من علماء الدين وهم غير متعلمين علم الشريعة ولذلك يعتبرون أنني أكبرهم علماً وإن كنت أصغرهم سناً. فلما بدأ الخلاف بيننا وبين السيد علي الوزير الذي كان نائباً للإمام في تعز، بدأنا نكتب ولي العهد سيف الإسلام أحمد إلى حجة ونتراسل معه ليكون سنداً لنا. بدأت المراسلة بيننا وبينه، وكانت الرسائل تتم عن ثقة كاملة إلى درجة أنه وضع بيننا وبينه شفرة بالأرقام لنكتب له الرسائل بالشفرة حتى لا تفتح في البريد فيطلع أحد على ما فيها، لأن البريد كان غير مأمون. وكان كتمان السر في اليمن شيء له أهمية بالغة. يقال: "استعينوا على أموركم بالكتمان". وكثيراً ما كتب "احفظ لسانك والقلم" وأنا أشكو له من علي الوزير ومن الأوضاع التي عندنا كأني أفزع إليه، ولكن ربما كان هو نفسه يطبق هذا الأسلوب الذي أشكو منه، لأنه ليس أسلوب علي الوزير وإنما أسلوب النظام كله. كان دائماً يكتب "احفظ لسانك والقلم" ويطمئنني بأن هذه المظالم ستزول ولا يتظاهر بغير هذا. فلما اشتدت الأزمة بيننا وبين السيد علي الوزير ولم نجد عند ولي العهد أية حماية وجدنا أنفسنا معرضين للخطر دون أن نلقى منه حماية لأنه في حجة وعلي الوزير أقرب إلينا يقيم في منطقتنا. فكرت بعد هذا بأن أترك البلاد وأسافر إلى مصر للدراسة. وجعلت المبرر السفر إلى الحج. ومضينا إلى الحج، فلما وصلت إلى مصر، جاء ولي العهد سيف الإسلام أحمد من منطقة حجة ليحكم تعز، المنطقة الذي أنا منها. وبدأ يرأسني لكي أعود إلى اليمن، وأن علي الوزير الذي كان الخلاف بيننا وبينه قد أزيح من المنطقة وأصبح بدون عمل. فبقيت أتبادل الرسائل معه من مصر.

س — هل عندك الرسائل؟

ج — نعم، عندي الرسائل وأجوبته عليها أيضا. أخيرا اقتنعت بضرورة السفر إلى اليمن فتركت مصر بعد ثلاث سنين ورجعت إليه. وأذكر أنه حينما دخلت واقبلت عليه وهو في مجلسه الذي يواجه فيه الناس قال لي:

وما جئت حتى آيس الناس أن تجي سموك منظورا وجئت على قدر

مستشهدا بهذا البيت من الشعر، وهي تحية قلبية. قربني إلى جانبه وظل يسألني عن الأحوال في مصر وكانت أيام الحرب العالمية الثانية. ومن يأتي من الخارج يعتبرونه ملما بكل شيء ويشعرون بضعف أمامه لأنه قد درس وأطلع على كل شيء. فبقيت أحدثه عن الأحوال في الخارج وأقارن بين الأحوال في اليمن وما فيها من الاستقرار والأمان وحفظ الدين وعدم سفور المرأة، وأندب الحالة التي في الخارج، السفور، وشرب الخمر، وكل ما يتعلق بالمفاسد المنتشرة وأضيف أن اليمن بوجود مولانا الإمام وولي عهده تطهرت من هذه الأدران. قلت هذا حتى أطمئن. لأن الذي يأتي من الخارج يحاط برقابة شديدة وتكون العيون مسددة نحوه، وإذا لم تعجبه الأوضاع في الداخل تعرض للسجن أو لأي أذى. فعملت لكي أدخل الطمأنينة إلى نفوسهم. وكان أخوه سيف الإسلام عبد الله قد قابلني في الزيدية في تهامة، وحدثته بهذا الحديث فأعجب وكتب معي رسالة، وكان وزيرا للمعارف، إلى أخيه سيف الإسلام أحمد يتحدث فيها عني وعن مقابلي ويطلب إليه أن يكلفني بإدارة المعارف. واستهوت ولي العهد أحمد هذه الأحاديث، والخط من قيمة فاروق وأنه رجل قد خرج عن الإسلام وعن قواعد الدين. والقول عن بلاد مصر إن الرجال والنساء يسبحون معا في شواطئ الإسكندرية، وعن السينما وأمور أخرى، وعن الفظائع الموجودة في الخارج كلها والتي نريد وقاية اليمن منها. فطلب مني أن أقول هذا علنا للناس. فصغت خطبة ألقيتها في المسجد الجامع بعد صلاة الجمعة، والناس ينصتون، وسيف الإسلام أحمد يبكي من شدة التأثر لما قد أصاب الإسلام والمسلمين خارج اليمن، ولم يبق سوى اليمن سالما من هذا الخطر.

وكلفني بإدارة المعارف في تعز. ولكن هذه الوظيفة كانت شكلية. وكان العمل أن أكون دائما في مجلسه للإجابة على الرقاع، رقاع المظالم التي ترد إليه، والرد على الرسائل التي تصله بالبريد من جميع أنحاء المملكة، يوزعها على الجلساء في المجلس ليجيبوا عليها. ويستعرض كل الجوابات ويوقع عليها ويلاحق بعض الأجوبة وبعض الرسائل ليتولاها بنفسه. وحصلت الألفة بيني وبينه بهذه المجالس والمنادمات والمساجلات الشعرية والأدبية. وأصبحت بمثابة الصديق. حتى كان إذا خرج للنزهة يمر بنفسه بالسيارة ليقف في الباب حتى أخرج ويأخذني معه لنمضي معا كصديقين.

س — هل كان يوجد الكثير عنده في المجلس؟

ج — نعم. كان يوجد في المجلس مجموعة من الكتاب. وكان زميلي الأستاذ الزبيري من جملة الكتاب. ولكن كنت أنا بالنسبة إليه كصديق يطمئن إليه. وظلت هذه العلاقة بيننا. وكان الناس يدمغوننا بالنفاق، وأنا في مركز يمكننا من أن ننصح الإمام. والعادة هناك في اليمن لا توجد معارضة. إنما يقال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم. ونحن باعتبارنا من العلماء يجب علينا أن ننصح الأمراء، وأن نكون بطانة خير وجلساء خير حتى نرشداهم إلى ما يجب عمله. ولكن كانت المطالب في اليمن مختلفة. كان يوجد أناس لا يريدون أن تصل الحضارة الحديثة إليها لأنها ستفسد البلاد، ولا يريدون العلوم العصرية، وأناس آخرون يريدون التطور ويسمعون بالحركات الجديدة ويريدون أن تستفيد البلاد منها. وكانت مناسبات الأعياد أو الاحتفالات تأتي وتقام مهرجانات، يتصدر سيف الإسلام أحمد في هذه الاحتفالات فيأتي الخطباء والشعراء يتبارون بمدحه وبالثناء عليه وبذكر مزاياه. وكنت أنا أرتب خطبة في كل مناسبة أتحدث فيها عن فضائل الإمام وعن مناقبه وعن ما تسعد به البلاد وأهلها، ثم ندرس طريقة نلّمح بها على أمل إنشاء المدارس والقيام بالإصلاح. وكان هو أيضا ينتبه لمثل هذه التلميحات. ويأتي الزبيري فيلقي قصيدة. وهكذا كان الأدباء يتبارون على هذا النحو بحيث تكاد الحركة الأدبية أن تكون محصورة في الثناء على الإمام، وطلب العفو منه. ينظم المسجون قصائد يطلب منه العفو، ومن يخاف يطلب الأمان. ولم تكن

أغراض الشعر والأدب تخرج عن ذكر مزاياهم وصفاتهم، وعن طلب رضاهم. كانت محنة البلاد وتخلفها على هذا النحو. وكل من ينظم قصيدة يكسب حظوة عند الإمام، إما يحصل على منصب أو على وظيفة قضاء، أي يعين قاضيا في أية منطقة أو يجعله مأمورا يتقاضى الضرائب لأنه يستفيد بعد أن يتقاضى الضرائب من الفلاحين، أو يصدر أمرا يوليه بموجبه على منطقة من المناطق لمجرد أن تكون قصيدته رائعة وأن يكون أديبا. لم تكن كفاءة الإنسان أو مواهبه تتضح من خلال تقديم شهادة، بل بما يشتهر عنه في كتاباته وفي أدبه. المقياس كفاءة الرجل وليس مجرد أن يأتي بشهادة أو يقول أنا قرأت في مكان كذا. يرون أسلوبه كيف يكتب، وما هي أفكاره وعلومه في المجالس عندما يسمعون أحاديثه في النقاش. يكون الإمام جالسا وحوله مجموعة يتناقشون في مسألة شرعية مثلا، هذا يتحدث وذاك يتحدث. هنا تتبين الكفاءة ويتضح من يصلح للقضاء ومن لغيره. هذه هي المقاييس التي كان يعمل بها، لأن الشهادات العلمية لم تكن موجودة.

ظلت العلاقة بينا على ما هي. لكن كنا متطلعين إلى التغيير. وكان يوجد أناس آخرون أيضا يطلبون التغيير. وكان الكثير من الناس يتساءلون لما ذا يظل نعمان والزبيري اللذين كان يشار إليهما بالبنان هكذا يقضيان أوقاتهما في المدح؟ لماذا لا يقومان بعمل ما يدعو للتغيير. وأنحى الكثير من الناس علينا بالأئمة، ولكننا كنا نتلفت حولنا ونقول كيف يمكن أن نخرج، وإذا خرجنا ما الذي نعمله لنعارض هذا الحكم؟ لا بد أن نتلمس هذه الأجواء من حولنا. وهكذا سيأتي دور الأشخاص الذين اعتمدنا عليهم. لأننا كنا ما نزال لدى ولي العهد. وعند ما رأينا أن الأمور لا تطاق استقر رأينا على أننا لابد أن نتخلص من قبضة ولي العهد وأن نهجر إلى الخارج لكي نتمكن من كشف الأحوال التي تسير عليها اليمن. فقد أصبحنا نتخوف من أن الأمور لو سارت على هذا النحو قد تصبح البلاد عرضة لغزو خارجي. كان هذا يساورنا أيضا. وكان الخطر يأتي من الطليان لأنهم استعمروا الحبشة واحتلوها في تلك الفترة وكان لهم مطاعم في اليمن، ويأتي أيضا من الإنكليز وهم في عدن. وكانت في نفوسنا كراهية للاستعمار لما نسمع من الضجة في العالم العربي، مما يشكون من الاستعمار وضياع فلسطين. هذه كلها كانت تثير في نفوسنا الطموح لأن

تتطور اليمن إلى وضع يمكنها من حماية نفسها. إلا أن الأسلوب الذي تسير عليه الحكومة لا يحقق هذا الطموح. والشعب ساخط على هذا الحكم وسيرحب بأي غاز يأتي إلى البلاد. وقررنا أن نخرج.

فوجئ ولي العهد بخروجي أنا والزبيري إلى عدن. وبدأنا نكاتبه من هناك. وأذكر أنني كتبت له رسالة بعد موقف متوتر في الجلسة التي أخبرتكم عنها في الحديث السابق حينما سأل بعض الأدباء أنت تقرأ الأدب وأنت تقرأ كذا. وهدد قائلاً "والله لأسفكن دماء هؤلاء الأدباء بسيفي هذا، حتى ألقى الله وهو عني راض." جعلنا هذا الإنذار نخرج. تركت الرسالة عند أم الأولاد. كان محمد طفلاً صغيراً. قلت لها بعد أن نسافر بيومين أرسلوا محمد بهذه الرسالة إلى ولي العهد وهذا الكتاب. وكان الكتاب تجديد ذكرى أبي العلاء المعري لطفه حسين. وطه حسين من الأسماء التي كان ينفر منها. لم أجروا على أن أقدم له الكتاب. فكتبت له رسالة عاطفية أقول له فيها: "يعلم الله أننا لم نخرج سخطاً عليكم ولا غضباً منكم ولكننا خفنا على أنفسنا من أن نصبح عرضة لوشاية نامم وتصبح حياتنا مهكرة بسبب نميمة أو وشاية.

والبحثري يقول:

ولقد رابني بنو ابن عمي بعد خفض من جانبيه ومس

أي أنه هاجر. قال: "إني شددت الرحال بمجرد الشك من ابن عمي." وهكذا ارتاب في ابن عمه وشك فأرتحل من البلاد. فكيف نحن حينما نرتاب من ملك قادر أن يبطش وأن يفعل ما يريد. وموسى حينما خرج قال: ففررت منكم لما خفتكم. وإذا كان الأنبياء يفرون من الخوف فكيف بنا نحن؟" جعلت الخوف المبرر الذي دفعنا إلى الفرار. فأرسل ولي العهد إلينا رسالة مؤثرة إلى عدن، يقول فيها إن هذا لا يخطر ببال ولا كان يتصور ولا ينتظر ما حدث. وطلب أن نرجع. أما نحن فقد كنا نشعر أننا ارتكبنا خطأ لا يمكن الرجوع عنه. فبقينا بالمعارضة في عدن وأسسنا حركة الأحرار إلى أن دخلنا سجن حجة. فإذا به يبعث لنا الرسالة الذي حدثتكم عنها "أعاد الله سالفات الأيام. وإننا نتذكر ما قلتم وما كتبتم. وعلم الله ما أضمرنا لكم سوء." فقلت يخاطبني بهذا الخطاب كالذي يعتذر إلى صديق وأنا في أسره وفي

قبضته وله ألف مبرر لأن يقتلني، لأنني من المتهمين بقتل أبيه ويستطيع أن يزور علي أية تهمة. أثر هذا في نفسي وأجبت عليه وأنا متأثر بمشاعر العرفان من هذه الرسالة. وتأثر أيضا نائب حجة الذي قرأ رسالتي إلى الإمام أحمد.

س — أعندك الرسالة؟

ج — نعم. إنها موجودة مع الرسائل كلها. وصلت الرسالة إلى الإمام وأجاب عليها وبدأ الجو يفتح ويهدأ. انفرجت أسارير الإخوان في السجن، وعرفوا أنه إن كان قد عفى عني فسيعفو عن الجميع، على اعتبار أنني في نظر الرأي العام وفي نظر الناس أن نعمان المجرم الأكبر الذي يجب أن ينتهي. فكان الإرياني وسائر الإخوان المعتقلين يطمئنون من هذه المراسلات التي كنت أبلغهم بها سرا وأطلعهم على ما يأتي من جواب، فيستبشرون خيرا. يقول بيت من الشعر العربي:

إذا تاب الإله على ابن عامر فبشر كل عاص بالسلامة

ولما عرف الأستاذ الزبيري وهو في باكستان بمراسلة الإمام لي وبالعفو عني قال: "عرفت أن القلب الذي يستطيع العفو عنك يستطيع العفو عن كثيرين. وأنا والله ما نمت بعدك على فراش وثير، ولا انطلقت وأنت سجين، ولا سلوت وأنت حزين". كتب هذه الرسالة وأرسلها عن طريق الإمام أحمد نفسه. تواصلت العلاقات والمراجعات بيني وبين الإمام. كان يتقبل الشكوى، ويتأثر بأية مراجعة، لكن في حدود جزئية. أما إذا جاءت مسائل السياسية وما يتعلق بالحكم أو بتغيير شيء فلا قبول لهذا. وكنت أقول إن بيني وبينه ارتباطا وثيقا في العواطف ولكن بيننا انشقاق في العقل، يعني كان بيننا خلاف كبير لا يسمح بتلاقي الآراء. روح الإمام وحب السيطرة والإحاطة بكل شيء روح دكتاتور. ولا يمكن أن تسير معه إلا في حدود ما يلائم رغبته. أما ما يصطدم مع رغبته فإنك تدخل معه في شقاق. تواصلت هذه العلاقات مع الإمام أحمد وأنا في حجة. وظل الاتصال بيني وبينه. نطلب العفو عن المسجونين، وندعوه للسير في هذا الاتجاه حتى سنة ١٩٥٥.

ففي هذه السنة استأذنت بالخروج من حجة لأذهب إلى للعلاج. فلما ذهبت إلى تعز عرف أنني أريد أن أتخلص من حجة. عرف من هذا الطلب أنه ليس للعلاج

ولكن من أجل أن انطلق من حجة. وكان عنده مخاوف من أن أهرب إلى الخارج. وثار الشكوك في نفسه. سمح لي بالخروج من هناك إلى تعز. وخلال بقائي هناك حدثت المؤامرة التي حيكّت ضده من أخيه سيف الإسلام عبدالله سنة ١٩٥٥ ومن عموم إخوته، ومن أسبابها علاقته بنا، لأن أولاد الإمام يحيى، إخوته وأشقائه، كانوا يرون في الأحرار النقيض والمعارض الوحيد لهم في حين بدأ الإمام ينعطف نحو الأحرار ويشدّ علاقتهم بابنه. وخلال هذه الفترة كنا قد تكونت عندنا فكرة في السجن أن نرشح ابنه محمد البدر لولاية العهد، ليكون وليا العهد بعد أبيه. كان إخوة الإمام يرون أن يكون أحدهم خليفة الإمام أحمد وليس ابن أخيه، فعرفوا أن الأحرار يعملون لحدوث انشقاق بينه وبين إخوته.

س — أكنتم تقصدون ذلك؟

ج — كلا. في الواقع كنا لا نريد أن نتعامل مع إخوته. إنما نريد أن نكسب الإمام من جهة ابنه. وهناك بعض القصد في هذا العمل. كنا دائما نطلق لقب ولي العهد على البدر وننشر هذه الفكرة. ولما خرج الإيراني من سجن حجة وذهب إلى الحديدة استقبله البدر. ومن هناك وضع صيغة لولاية العهد تعمم إلى الشعب للتوقيع عليها. وكان ذلك بالتفاهم معنا جميعا. ووضعت هذه الصيغة ووزعت على مناطق اليمن. هنا بدأت شدة الخلاف تحتد بين الإمام وإخوته، لأنه يريد أن يحتكر الخلافة ويجعلها في ابنه. فكان البدر يتوعد إلينا. ولم يكن هذا يرضي الإمام. فلما ذهبت إلى تعز كانت فكرة ولاية العهد قد بدأت تنتشر. وكان سيف الإسلام عبد الله يدبر لقيام انقلاب على أخيه الإمام أحمد وضد البدر. فلما حوَصِر قصر الإمام أحمد استدعيت فجأة لكي أحضر. حضرت وإذا بي أجد القاضي عبد الرحمن الإيراني وبعض الإخوان وسيف الإسلام عبد الله المرشح لأن يكون خلفا لأخيه الإمام أحمد في تلك الفترة. وكان البدر في الحديدة. فوجئت بهذا الموقف، واقترحته أنه لا يحسن تحية الإمام أحمد ولكن يطلب منه تكليف سيف الإسلام عبد الله بتشكيل الحكومة، ويتولي سيف الإسلام عبد الله إدارة الأعمال. كان هذا بدوافع صادقة مني، لأن بيني وبين الإمام أحمد عواطف مؤثرة على نفسي، وتوجد علاقات ود بيني وبينه. ومن ناحية أخرى أردت أيضا أن احتاط. قلت ربما يتخلص الإمام أحمد من الحصار. يجب أن

يكون رأيي معروفا عنده. بقيت حذرا حتى عند ما كانوا يفتحونني بأن في نيتهم القيام بمثل هذا العمل كنت أسفه كل هذه الأشياء. وكنت غير راض عن هذا الأمر ضد الإمام أحمد. لهذا حاولت أن أتخلص من الجميع وأخرج من الدوامة التي قامت لأتصل بالبدر. ووجدت المبرر الذي شرحته لكم في حديث سابق للانتقال. دفعت من يقول إن البدر لا يمكن أن يتأثر إلا بالأستاذ لعلاقته به. فذهبت إلى الحديدة وبدأنا نفكر كيف نفرج عن الإمام أحمد وننقذه من الحصار. أرسلنا البدر إلى السعودية. فلما رجعت وجدت الإمام أحمد وحييته وذكرته بأبيات للأستاذ الزبيري يقول فيها:

العرش عرشك لا سواك ولن ترى ندا إلى آفاق عرشك يرمق
وإذا افترى قوم به قلنا لهم هذي السما فثبوا إليها وارثقوا

فقال: "شكر الله سعيك. أهلا وسهلا. أريد أن أقبل هذا الفم." فبقينا معه خلال تلك الفترة بعد أن انفك من الحصار. حاولت أن أوصل إليه أن هذه فرصة ينبغي أن تغير فيها نظام الحكم، وأن تشكل حكومة وتكون برئاسة ولدك البدر. ولكنه رفض. حتى أنه كتب لي في بعض الرسائل يستشهد بقول الشاعر:

إني على ما ترين من كبري أعرف من أين تؤكل الكتف

ثم قال: "أنا سامضي بسياستي هذه حتى النهاية، وبعد أن انتهى أعمالوا ما تريدون". وجدت أنه لا يوجد أي أمل يرتجى منه أبدا، ولا يمكن أن يتغير هذا الرجل بعد هذه المحن وبعد هذه الشدائد. أنقذ سنة ١٩٤٨، وأنقذ سنة ١٩٥٥. بقاؤنا معه خطر علينا. وكانت الرسائل تأتي من الزبيري من القاهرة تحضني على التخلص والبدار إليه. ولكن كان يعترضني أن الإمام أحمد صنع معي صنيعا كبيرا لا يمكن أن أغدر به. أخيرا وجدت أنه من مصلحة اليمن، وربما من مصلحة الإمام نفسه، أن يخرج الإنسان ليستعين بالعرب لنصيحته. وكان في ذهني أن العلاقات بين السعودية ومصر قوية وطيبة في تلك الفترة. كانت توجد علاقة قوية بين الملك سعود وعبدالناصر سنة ١٩٥٥. وكانا دائما يتعاونان معا وسياستهما موحدة. فقلنا من الممكن أن تتعاون المملكة السعودية ومصر لإقناع الإمام بتغيير الأوضاع.

كانت دوافعنا مخصصة حتى أننا احتلنا بالسفر إلى الحج وكان البدر يحج معنا في تلك السنة. واجتمعنا بالملك سعود وشرحنا له سوء الأوضاع وأن الإمام نجى بأعجوبة لكن السخط اليوم قائم، وسيكون هذا السخط منصبا على البدر، والبدر لا ناقة له ولا جمل، فنرجو من أجل مصلحة البلاد العربية أن تتصحوا الإمام أحمد وتقنعوه بضرورة تشكيل حكومة مسؤولة تتولى الإصلاح في اليمن. قال سعود: "أنا قد بعثت برسالة. والأستاذ نعمان يعرف." وحققة أننا اتفقنا ذات مرة أن نطلب من سعود أن يبعث رسالة إلى الإمام ويعطيه نصيحة. واجتمعنا بمستشاري الملك سعود، جمال الحسيني ويوسف ياسين، لكي نشرح لهما المطلوب حتى تكون رسالة الملك على أساس وفقا لما نطمح إليه. وأرسل الملك سعود إلى الإمام رسالة ينصحه بتشكيل حكومة كما يفعل هو في السعودية، وأن الأوضاع تحتاج إلى أن يتغير. ثم أعطاه نموذجا عن تشكيل مجلس الوزراء في السعودية. فقال سعود إن الأستاذ نعمان يعرف بأني أرسلت رسالة، والبدر يعرف ذلك أيضا. قلت له: "الأفضل أن تبعث بدعوة للإمام أحمد للخروج لزيارة السعودية ثم يزور مصر، ليري معالم الحضارة الحديثة. وفي هذا الوقت يكون البدر قد شكل حكومة والإمام في الرحلة." قال سعود: "لا أستطيع فعل ذلك، ولكنني الآن ذاهب إلى إيران استجابة لدعوة وجهت لي. وبعد عودتي من إيران سأبعث بنصيحتي إلى الإمام أحمد." وفي هذا الوقت يئست. وكنا قد تورطنا بالشكوى. وقلت ربما وجد الآخرون مجالا للنجاح. ولكن أنا لن أبقى. سيعرف الإمام أنني الآن أعمل ضده. فانسحبت ليلا وتركت البدر راقدا في القصر. وذهبت إلى القاهرة وعندي أمل أن حكام القاهرة يبحثون حقيقة عن سعادة الشعوب العربية ولا تدفعهم الرغبة في السلطة. فقلنا لنتعاون معهم. وبدأنا بالهجوم على سياسة الإمام أحمد من الإذاعات. وهنا قطع علاقته بي. وكان هذا آخر ما بيننا وبين الإمام أحمد.

س — حدثنا عن علاقتك بآل الوزير؟

ج — في حديث سابق قلنا إن بيت الوزير كانوا أقوى من اعتمدت عليهم السلطة في عهد الإمام يحيى. برزوا فوق غيرهم من الأسر الأخرى. كانت توجد أسر كثيرة مثل بيت شرف الدين، وبيت المتوكل، وبيت القاسم، وبيت الكبسي،

وبيت الشامي، وبيت المطاع. أسر هاشمية كثيرة متعددة. ولكل أسرة من هذه الأسر الحق في الإمامة ولا يشترط أن تكون في أسرة معينة، من حيث أن كل هذه الأسر تنتسب كلها إلى النبي. ويشترط أن يكون الإمام علويًا فاطميًا، أي أن ينتسب إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء. فلكل واحد من الهاشميين الموجودين في اليمن الحق أن يكون إمامًا إذا استوفى الشروط المعينة المطلوب توفرها في الإمام. وكان بيت الوزير يقفون إلى جانب بيت حميد الدين في عهد الإمام يحيى. وكان عندنا في منطقة تعز أمير الجيش السيد علي بن عبد الله الوزير نائبًا للإمام يحيى. وكان لواء تعز يعتبر بالنسبة للألوية اليمن أكثر الألوية اتصالًا بالحضارة لقربه من عدن، لأن عدن ملاصقة للواء تعز، وعدن مركز من مراكز الحضارة الغربية من حيث أن الغزو الحضاري قد وصل إليها. وكانت تتسرب عن طريقها أشياء بسيطة من أنواع الملابس وغيرها من الأشياء البسيطة. وجد أمير لواء تعز نفسه آتيا من القبائل الشمالية ليحكم منطقة توجد فيها جماعات عندهم نوع من التحضر، أولا بسبب أن الأتراك كانوا يحكمون لواء تعز، وكان فيها متعلمون وإداريون وأناس متفتحون نوعا ما، ويعتبرون أرقى من الحكام الذين يأتون ليحكموهم. وكان يوجد في لواء تعز بيت نعمان، الأسرة التي انتسب إليها، ثم بيت الباشا، السيد محمد باشا وأحمد باشا، وهؤلاء كانوا في مدينة تعز، وبيت نعمان كانوا في الحجرية. وكان يوجد أولاد محسن باشا في منطقة العدين. وكان يوجد علي عثمان وعبد الله عثمان. يعني مشائخ وركائز في مناطق لواء تعز، واللواء عبارة عن محافظة من المحافظات، ويتكون من عدد من النواحي، وفي كل ناحية مجموعة عزل، وفي كل عزلة مجموعة قرى. كان بيت نعمان في الحجرية الملاصقة لعدن وللمحميات. وأهل الحجرية كثيرو الهجرة إلى الخارج. فكانت هناك حساسية بين بيت نعمان وبيت الوزير. فقد كان الشيخ عبد الوهاب نعمان قائم مقام الحجرية من أيام الأتراك. فلما جاء الحكم الإمامي ظل في وظيفة قائم مقام الحجرية وإن غير الإمام اللقب من قائم مقام الحجرية إلى عامل الحجرية، والعامل في اليمن ليس العامل الذي يمارس العمل أو الأجير. من يقوم بالعمل المهني في اليمن يسمى (شاقى)، فلا يقال العمال بل يقال (الشقاوة)، كأنه مشتق من الشقاوة والشقاء. وهكذا كان عامل الحجرية يعني

حاكمها. وكان الاحتكاك موجودا دائما ما بين حدود الإنكليز وحدود اليمن، ما بين لحج والحجرية الممتدة إلى لحج، على أبواب عدن. وكان بنو نعمان يتوزعون في مراكز الدفاع عن الحدود ويجندون المحاربين.

وكان آل الوزير يشكون في الحكام من الشافعية بأنهم كانوا فيما سبق مع الأتراك ويميلون نحو الخارج، وربما يتفاهمون الآن أيضا مع الانجليز النصاري. لأن الإنكليز الآن يحكمون منطقة الجنوب وسكانها شافعيون، وربما نحن أيضا كشوافع ننضم إلى إخواننا. خرج السيد علي الوزير لاحتلال المنطقة وهو أول من وصل من مسئولو الإمام بعد انسحاب الأتراك. وكنت قد أخبرتك بأن الزيديين كانوا في أيام التعصب الشديد يعتبرون أن أموال الشافعيين مستباحة، ونساءهم مثل نساء النصاري، أو مثل أصحاب الملل الأخرى، كأنهم يحتلون بلادا فيها كفار. كانت هذه الروح موجودة عند الزيديين بالنسبة للشافعيين.

س — وهل لدى الشافعيين نفس الروح بالنسبة للزيديين؟

ج — كانوا يعتبرون الزيديين وحوشا خارجين عن الملة. وأثناء وجود الأتراك في اليمن كان الشافعيون متفاهمين مع الأتراك لحمايتهم من الزيديين لأنهم جميعا سنيون. فلما انجلى الأتراك تراكت عند الزيود الأحقاد ضد الشوافع أولا لأنهم كانوا يقفون مع أعدائهم، وثانيا بسبب نظرتهم إلى المذهب.

س — ما هو الفرق؟

ج — أيام التخلف والجهل، كان الإنسان ينظر لمن هو خارج على مذهبه كأنه على غير ملة، كما تجد الشيوعي ينظر للمتدين والعكس، من لم يكن على مذهبه يجب أن لا يكون له مقام ولا حياة. كان التعصب المذهبي شديدا. هؤلاء مذهبهم الزيدية وأولئك مذهبهم الشافعي. الفروق من حيث قواعد الدين بسيطة، لكن أصبح موضوع أن ينتمي هذا إلى الزيدية وأن ينتمي ذلك إلى الشافعية، كالانتماء إلى الأحزاب. وكانت السلطة في أيدي الزيود فضموا إلى السلطة المذهبية. من حقه أن يملك السلطة أو أن يشارك فيها أما الشافعي فليس من حقه أن يكون له سلطة أو أن يشارك في السلطة. من حقه فقط أن يظل فلاحا يكده ويتعب ويقدم للحكومة

والحكومة زيدية. فكانت توجد حساسية ما بين بيت نعمان وبيت الوزير. فحين حكم علي الوزير لواء تعز كانت نظرتة نحو الحكام في اللواء التعزي، وبوجه خاص نحو أهل الحجرية الملاصقين لعدن، نظرة شك. خاصة وأن عندهم نوعا من المقاومة ونوعا من عدم الرضوخ. مثلا بعض الحكام كانوا يستسلمون أما هؤلاء فلم يستسلموا. لذلك خرج علي الوزير، أمير تعز، إلى الحجرية، ونزل في بيوتنا ضيفا، وصادف أن أحد أقاربنا كان يقود معركة في حدود الإنكليز، وتعرض لهزيمة في المعركة، فقال علي الوزير إنهم باعوا البلاد للنصارى ولا بد أن يعاقبوا. وبالحق في عقابه لهم. وكان عمي عبد الوهاب نعمان يحكم الحجرية، واستقبل هذا الأمير استقبالا حارا، وكانوا يذبحون الذبائح في الطرقات لاستقباله. ذبحوا حوالي ٤٠ ثورا على مسافات متعددة في كل مكان يذبح ثور. وهذه قاعدة في اليمن، حينما تصل جماعة كضيوف تتحر الذبائح أمامهم في الطرقات.

(بداية الوجه الثاني من الشريط السابع)

ولأن الحكومة لم تبين مقرات لمراكز الحكومة، وإنما اكتفت بما خلفه الأتراك، ظل علي الوزير رب البيت والناس كلهم يخدمونه، وهناك قاعدة في اليمن، إذا جاء الكبير يصبح هو المالك:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

كان هذا السيد علي الوزير رجلا محافظا ومتدينا، وأبي بالذات محمد نعمان كان متدينا أيضا، وله عقيدة في آل النبي، ويحبهم. وهذه عقيدة منتشرة في اليمن، أي حب من ينتسبون إلى رسول الله. كان أبي يلزم الوزير دائما في نومه وفي يقظته ويظل ينظر إلى وجهه كأنما يرى أن النظر إلى وجهه عبادة. وذات يوم وأنا صغير السن ربما في سن الثامنة كما أذكر، مرض والدي من الحمى وأنقطع عن السيد علي الوزير، فقال لي والدي أذهب إلى السيد علي الوزير، وقل له يكتب لي رقية، والرقية معروفة يستشفى المريض بها وتسمى التميمة، ويسمون بها في اليمن حرزا لأنها تحرز الشخص وتقيه من الشياطين ومن الأمراض. فقال لي والدي اذهب إلى السيد علي الوزير وقل له أن يكتب لي رقية لأنني محموم. أنا لأنني

صغير السن كان يسمح لي بدخول بيتنا، ولكن إخواني الكبار وغيرهم لا يسمح لهم الحرس بالدخول إلا بإذن من الوزير لأنه هو صاحب الدار. دخلت إلى عنده وقلت له إن أبي يطلب منك عزيمة لأنه محموم، أخذ القلم وكتب، فأعطاني الورقة وقال لي عطفها، يعني اطوها، ظننت أنه قال لي جففها، فبقيت فاتحاً لها وهو منهمك في أعماله يكتب، التفت ورأني وأنا فاتح الورقة، قال لي: "لماذا فاتح الورقة؟ هل قرأتها؟ قلت: لا. قال بطل مفعولها مزقها، لا بد أن أكتب له رقية ثانية، أنتم يا بني نعمان، الصغير يلدع والكبير يلدع. ظن أنني اكتشفت ما يكتب وأنني قرأته. كتب رقية ثانية وجففها وطواها بنفسه ثم قال لي: "قل له يربطها بساعده الأيسر." هذه طريقة من العلاج في اليمن، الأمير بنفسه هو طبيب، مداو ومعالج. بقي أياما يعيش بيننا ويتربص ويرى الناس في جهل. وكان ومن معه قادمين من بلاد مقفرة لأن المناطق الشمالية حيث الأئمة والزيود تعيش مجاعات وفقر وبؤس. فلما نزلوا إلى هذه المناطق وجدوا الناس لهم مساكنهم ولهم أراضيهم وثيابهم حسنة، وهذه كلها تثير في نفوسهم حسدا وحقدا ونظرة سخط. فظل يطوي هذا في نفسه ويتربص. رجع من قضاء الحجرية إلى قاعدته في مدينة تعز بعد أن مر على بعض المناطق. ووصل عمي عبد الوهاب إلى تعز، فاستدعاه واستدعى إلى جانبه الكثير من العمال واعتقلهم جميعا، وأباحوا بيوتهم ونهبوها وأرسلوهم إلى السجن في صنعاء، عند الإمام يحيى بحجة الادعاء أن هناك مؤامرة. وبقي والدي على علاقته بعلي الوزير. وأذكر أنه جلس فوق المسجد يكتب رسالة وأنا بجانبه، ومن عباراته قوله للسيد علي الوزير: "بلغنا ما دبره الظالمون الذين أحرقوا أنفسهم بما صنعوا، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين." كان والدي يبرر للوزير ما فعله معتقدا أنه صادق وأن أخوه ظالم وأنه يستحق هذا العقاب.

س - أكان يقف مع الوزير؟

ج - نعم. كان يرى أن الوزير ابن رسول الله، ومتدين وعادل، وينظر إليه نظرة تقديس. وبعد أن اعتقل عمي عبد الوهاب، اعتقلوا أيضا بعض الأقارب وجرى نهب كل ما يملك في بيته من أثاث وأمتعة. كانت هذه الأشياء تتطوي في نفسي منذ الصغر. رحلت بعد هذا إلى زبيد ودرست. وبقي عمي عبد الوهاب في

السجن حتى توفي كل المسجونين الذين سجنوا من حكام مناطق اليمن الذين اعتقلهم الوزير، ونجى عمي وحده. فلما نجى أخرجه الإمام يحيى من السجن. وعندها أخذ يلوذ بولي العهد سيف الإسلام أحمد وبأولاد الإمام، يشدد علاقاته بهم ويثير السخط ضد علي الوزير عند أولاد الإمام ويغريهم به بحكم الأخذ بالثأر. وكان علي الوزير ينتقم من آل نعمان الموجودين في تعز ويعتبرهم خصومه، لأن خصومه الأولين ماتوا في السجن وانقرضوا. لكن الذين بقوا وظلوا دائما مثار سخطه موجودين. مثلا كان لي أخ كبير هو علي محمد نعمان، كان موظفا. وكان علي الوزير يحكم المنطقة ويفصلهم من أعمالهم ويقيم العراقيل أمامهم، كل هذا نكاية بهم لأنهم مرتبطون بالإمام وبأولاد الإمام ولأنهم يثيرون المعارضة له. وجاءت أيام علاقتي بولي العهد فتعرضت للعقاب من علي الوزير عند ما فتحت مدرسة وبقيت أدعو الناس للصلاة وأنشر الدين. فكتب يمنعني من هذه الدعوة وقال ابن نعمان ليس معنيا بالإسلام، وكأنه كان يرى أن لا نقوم بأي عمل، وأن لا نظهر على السطح لا بمصلحة دينية ولا دنيوية. ظلت العلاقة تسوء بيننا وبينه على الرغم من أن والدي كان صديقه. ولما مات والدي نعاه وتأثر لموته وعطف على أولاده من بعده. وحاولت أن أخلف والدي كرجل صالح وعالم، ودخلت عنده بعد أن أتيت من زبيد وحضرت مجلسا من مجالسه. وأحببت أن أبرهن علي علمي بأن طرحت سؤالا فيه أولا إظهار للمعرفة، كما قلت لكم لم تكن مواهب الإنسان تتضح من خلال الشهادات، وإنما تظهر فيما يبدي من علم وفيما يورد خلال النقاش، وفيما يحل من مسائل ذهنية ونحوية. فانتقيت بيتا من الشعر أردت أن أمدح به الأمير وأظهر المعلومات التي عندي فقلت:

بستان قلبك مثمر ألوانه العدل والمعروف والإحسان

فهل للقلوب بساتين أم أن هذه تشبيهات مجازية أم أنها استعارات بيانية يستعار فيها اللفظ لقول شيء آخر. أوردت عددا من الأسئلة حول هذا البيت. وفي هذه اللحظة كانت توجد جماعة لفت أنظارهم أن لدى الشخص المنزوي هذا القدر من العلم ومن هذا الكلام. أجاب الوزير وقال "إنه مجاز ولكن أريد أن أسألك". قلت له: "تفضل يا مولاي والفائدة منكم مطلوبة". قال: "كسراب بقيعة. بقيعة" هنا وصف

للسراب، والسراب مذكر وبقية مؤنث، لماذا وصف المذكر بصفة مؤنثة؟" قلت له: "الذي يتبادر إلى ذهني وقد أكون مخطئاً يا مولاي أن بقية ليست وصفا لسراب ولكنها جار ومجرور، الباء حرف جر وبقية مجرور بالباء. السراب هو ما يتراءى للإنسان وقت الهجير من أنه ماء وإذا به يتبين أنه لا شيء. وكسراب بقية يعني كسراب بقاع والبقية تطلق على القاع." فتحمس أحد العلماء من هناك يريد أن يثار للوزير فقال: "تريد أن نسألك عن إعراب قول الله سبحانه: ما جئتم به السحر إن الله سيبطله." تعريض بأنه سيبطل السحر الذي قلته ويريد أن يعرف أحكام "ما" في العربية: ما المصدرية وما الاستفهامية. وكانت هذه المسائل حاضرة عندي، فقلت له: "ما اسم موصول بمعنى الذي، الذي جئتم به السحر، وجئتم صلة الموصول والسحر خبر للمبتدأ: أي الذي." قال: "ما شاء الله، ذكي ونبيه." وحصلت على الشهادة وصدر الأمر في ذلك الوقت من السيد علي الوزير، في شكل رسالة إلى الإمام يحيى يقول فيها "إنه وصل إلينا الفقيه أحمد محمد نعمان الذي تعلم في زبيد وهو نبيه ومن أهل الاستحقاق، نرجو أن تعينوا له ما ترونه مرتباً شهرياً ليقوم بالتدريس في الحجرية. وقد حمل رسالة من عامل الحجرية القاضي حسين الحلاي ومن حاكمها القاضي محمد بن علي المجاهد". وعند ما خرجت من عنده أمسك بي شخص أصبح فيما بعد صديقاً، هو السيد محمد أحمد باشا، عامل تعز من تحت أمر علي الوزير، فقال لي: "أريد أن أسألك أنت من أين؟" قلت له: "من الحجرية." قال: "ومن بني نعمان!" قلت: "نعم". وكان من أصدقاء أسرتي ولكن مع انقطاعي للعلم لم أكن قد عرفتهم." قال: "أنت أخو علي محمد نعمان." قلت: "نعم." قال: "وأين نزلت." قلت: "نزلت في بيت حسن آغا." قال: "لماذا لم تنزل عندنا في البيت، لأن العادة الأصدقاء ينزلون عند أصدقائهم." قلت له: "لا أنزل في بيوت الظلمة." قال: "في بيوت الظلمة! أنت آتيت لتمتحن الأمير الوزير إذا كان يصلح للحكم أم لا يصلح؟" ما إليك والفضول." قلت له: "نحن نحیی المجالس بالعلم وبالذكر، فكل مجلس لا يحيى بالعلم ولا يذكر الله فيه يكون حسرة يوم القيامة." قال: "لا إله إلا الله، أفاد الله منك، هيا تفضل." وأخذني بالقوة وأركبني معه وأوصلني إلى بيته وأسلمني لأخيه السيد عباس بن أحمد. وبقيت هناك عند أخيه، ونشأت بيني وبين السيد عباس

ابن أحمد صلة إلى النهاية. بقيت أياما عندهم في تعز وعدت إلى الحجرية. وظل السيد علي الوزير يعقب بعدي ويتابع ما أعمل؟ وماذا أقوم به من نشاط؟ طمحت للاتصال بسيف الإسلام أحمد بسبب معرفتي له من الزرانيق. وقد أحدث هذا أثرا عند الوزير، فظل يكتب للإمام بأن الأستاذ نعمان أصبح يعلم العلوم العصرية وينشر دعاية للوهابيين وللسعوديين ضد الإمام. وكنت أنا اشتكي من ذلك إلى ولي العهد. فاستدعاني علي الوزير وأبقاني في تعز تحت الإقامة الجبرية لمدة أربعة أشهر. وتوترت العلاقات بيني وبينه، وكان هذا التوتر من تأثير الخلافات والرواسب السابقة إلى أن جاءت الفرصة التي خرجت فيها إلى مصر حتى أصبح ولي العهد فيما بعد في تعز. وقد واصلت الكتابة والنشر في الصحف ضد علي الوزير، أصف ما يفعل بأهل لواء تعز، وكيف حبس المشائخ، وحبس عمي. وكان ولي العهد يقرأ ما أكتب ويرتاح لأنه موجه ضد آل الوزير.

وفي تلك الفترة تم إقصاء بيت الوزير من الحكم. وجاء ابنهم عبد الله بن علي الوزير إلى مصر، فاستقبلته استقبالا أخويا وبدأت أربط معه صداقة وأعيد الصلة القديمة. وعندما سافرت من القاهرة حملت رسائل لآل الوزير، لماذا؟ لأنني قد ارتبطت بالزبيري. وللزبيري علاقة بآل الوزير. وقد طلب مني أن نتفاهم مع هؤلاء. وكانت مشاعري طيبة نحو عبد الله بن علي الوزير الذي جاء إلى مصر. كنت أحترمه وأكرمه واحتفي به. فأثر هذا في نفسه. وكان يكتب إلى أبيه. فلما رجعت إلى تعز كان ولي العهد قد حل محل علي الوزير هناك. ولكن وجدنا أن الأحوال قد أصبحت بالنسبة للعموم أسوأ مما كانت عليه في عهد علي الوزير. لذلك بدأنا نحسن علاقتنا بآل الوزير ونوجد نوعا من العلاقات والروابط، إلى درجة أن عمي عبد الوهاب أصبح مع علي الوزير الذي حبسه وشرده صديقان يتآمران معا لقتل الإمام يحيى. وإذا بهما بعدما بسيف الإمام أحمد مع سنة ١٩٤٨. ودخل السجن عدد كبير من بيت الوزير وبيت نعمان. وهكذا أصبح بيت الوزير فيما بعد محط أمل، لأنهم تبينوا أنهم خير من بيت حميد الدين. كان أبناء الإمام يحيى عند ما استولى والدهم على الحكم شبابا أحداثا، أكبرهم أحمد ثم محمد، الذي غرق في البحر والذي كان خير أبناء الإمام يحيى. وبدأ الناس يتطلعون لعهد بيت الوزير،

وعند الإعداد لانقلاب ١٩٤٨ جرى ترشيح آل الوزير للحكم. وعندما فشل الانقلاب دخلنا السجن نحن وإياهم. وإذا بأولاد علي الوزير كأنهم أعز من آبائنا. كنا سوية في سجن حجة، نتعاش معهم ونتعاطف معهم. وتكررت مراجعاتي للإمام أحمد أطلب فيه العفو عن بيت الوزير. إلى أن دارت الايام دورتها. وعند ما خرجنا إلى مصر كان أولاد علي الوزير قد خرجوا. وإذا بهم ينقلبون ضدي ويعملون ضدنا. يحسّون علاقتهم ببيت حميد الدين ويحملون علينا نحن الأحرار. وكانوا من جملة انشقاكات الأحرار. كانوا من الأحرار فانشقوا. لماذا؟ لأن الأحرار لم يعدّوهم لأن يكونوا في الصدارة، ليس أنا بمفردي، وإنما الجميع. لأن الناس لا يريدون بيت حميد الدين ولا بيت الوزير. فحين سقط بيت الوزير سنة ١٩٤٨ أراد أبناؤهم أن يكونوا خلفا لبيت حميد الدين. وما دمنا الآن قد حملنا على بيت حميد الدين فلا بد أن يكونوا في الصدارة، لأنهم ضحوا سنة ١٩٤٨. وبدأ الأحرار الذين لا ينتسبون إليهم يحملون عليهم ويريدون أن يتعاملوا معهم كأناس عاديين. لكنهم لم يقبلوا بهذا، بل كانوا يريدون أن يكونوا في طبقة القادة، وأن يحلوا محل بيت حميد الدين عند ما ينتهوا. في بيت الوزير شباب أذكاء، وكان لهم نشاط في القضية الوطنية. ولكن في نفوسهم شيء وهو أن الكثير من رجال أسرته قد أعدم سنة ١٩٤٨، وأنهم قد ضحوا، فلا بد أن يكون لهم مكان يعترف به الآخرون. ظنوا أننا نحن واقفون لهم بالمرصاد بسبب الرواسب القديمة والميراث القديم، فظلوا دائما يركزون علينا في الصحف، لدرجة أننا لو اتخذنا أي موقف لا بد أن يكتبوا ليشوهوا هذا الموقف. ولم تهدأ الحال وتحسن العلاقات بيننا وبينهم إلا بعد أن خرجت من السجن الحربي بمصر سنة ١٩٦٧. وقد كونوا لأنفسهم حركة سموها "اتحاد القوى الشعبية" وارتبطوا بالسعودية على هذا الأساس، وظلوا يصدرن بيانات ورسائل يطالبون فيها بحل وسط بين الجمهورية والملكية. وحينما خرجت من السجن والتقيت بهم في بيروت أزلت ما في نفوسهم من شكوك وأوهام، وأصبحت كأخص أقربائهم. حتى أنني عملت لتتقية الأجواء بينهم وبين الآخرين الذين يحاربونهم أو المتضايقين. أقمت نوعا من العلاقة بيني وبينهم حتى أنني قلت لهم يجب أن نسير نحن وأنتم في اتجاه واحد. نريد أن تخطو اليمن خطوات موفقة. ولا نشترط أن تأتي هذه

الخطوات على أيدينا. يجب أن نتحرر من الأنانية. إذا جاء الخير لليمن على أيدي أي كان فلنرحب به ونؤيده. ينبغي أن لا نبقي أنانيين، بحيث إذا لم يأت الخير على أيدينا لا نقبل به. كما كان يقول المصريون من قبل: "الاستعمار على يد سعد أفضل من الاستقلال على يد عدلي". هذه أنانية وتعصب. واليوم بدأت اليمن تخطو خطوات موفقة وعلينا أن نباركها. وإذا كان الحكام قد وفقوا تجاهكم كما وفقوا تجاهي، مع أن مواقفهم تجاهي كانت فظيعة جدا، حينما رأيتهم عادوا إلى الطريق السليم الذي ندعو إليه نسينا كل شيء. وتحسنت العلاقات ونحن في حالة سلام عام.

س — اخبرنا عن علاقتك بالبدر وعلاقة البدر بعبد الناصر؟

ج — أول ما تعرفت على البدر كان له من العمر ١٦ سنة، جاء به والده من حجة إلى تعز وأنا مدير للمعارف في تعز. وقد خطب في الناس، وصلى بهم الجمعة. والأئمة دائما يدرّبون أولادهم على الخطابة لصلاة الجمعة وعلى الصلاة بالناس ليكون إماما دينيا إلى جانب كونه إماما سياسيا. وبعد أن خطب البدر، ألقى كلمة أتحدث فيها عن هذه التربية والتنشئة الدينية من الصغر، وعما نتخيل في هذا الأمير الشاب في المستقبل، ونثني على أبيه وعلى قاعدة الأئمة وعلى تعويدهم لأبنائهم الذهاب إلى بيوت الله والتردد على المساجد. كانت خطبة طويلة جعلت البدر نفسه يسمع لأول مرة حديثا بليغا وهو آت من حجة من بين القبائل. ولما سمع هذا الحديث تأثر به. وكنا نلزمه أحيانا ونظل نتحدث معا. وأبوه عند ما سمع هذا الحديث أعجب به. كنا نقول إن الأمة العراقية احتضنت فيصل في العراق وهو طفل لأن أباه صنع ما صنع. وهكذا يربي الملوك ويربى الأئمة وهم صغار ويكسبون محبة الشعوب. فكانت هذه من عوامل توثيق صداقتي مع الإمام ومع البدر في الوقت نفسه. وبدأ البدر يتفتح ويتزود بالثقافة الحديثة وتأتي له الكتب الحديثة والجرائد، إلى درجة أنه تمرد مرة على أبيه وطوى الكتب الفقهية والكتب الجامدة والمخطوطات وما إليها ليقرأ الكتب الحديثة. وحصل خلاف بينه وبين والده حتى أن والده غضب وقال: "ارسل لي بكتبي". أي أن والده أعطاه كتباً في الفقه وفي الشريعة الإسلامية وفي الأحاديث، فظن أنه يهدد أبنه البدر بهذا، فإذا بالبدر يحمل الكتب كلها مع الحمالين ويرسلها إلى أبيه. لم يتوقع أبوه أن يقوم بهذا العمل.

فقال إن نعمان هو أستاذ البدر، وإن البدر تلميذ الأستاذ، وأطلقت هذه الإشاعة. فلما وقع انقلاب ١٩٤٨ وأتينا إلى تعز، احتفينا بالبدر وجعلناه أيضا وزير دولة مع الأحرار، واعتبرنا أنه من الأحرار، وأنه ملتصق بالأحرار ومتضامن معهم لضمان نجاته حتى لا يصاب بسوء. وذهبت إليه أزوره بعد أن رجعنا ونحن متصدرين قيادة الأحرار في تلك الفترة، وكان هذا الموقف أيضا من المؤثرات في نفسه. فلما وقعنا في الاعتقال كان له أثر عند أبيه في العطف علينا لأننا عاملناه معاملة كريمة. ولما رفعنا استغاثة من السجن لأول مرة قلنا فيها أبياتا:

والبدر شافعنا إليك فإنه أدني إلى القلب الكبير الطاهر
هبنا له فهو المرجى في غد لفكاك عان أو إقالة عاثر
ولمن تبقى فيه أدني ريبة من بعد هذا فهو أكبر كافر

كانت هذه استغاثة بعثناها للإمام ونحن في السجن ننتظر الموت. وظل البدر يعمل عند أبيه لتخفيف السجن عن الأحرار، ولما خرجت من السجن استقبلني ونزلت ضيفا عنده في الحديدة. حتى أن الإمام قال: "خذ ضيفك". وهذا ما ثبتت العلاقات بيني وبينه. وكان قبل ذلك يزور حجة فنستقبله ونتحدث معه ونظل دائما إلى جانبه. وكنا نخاصم خصومه حتى أقرب الناس إليه. فتوثقت العلاقات بيننا وبينه. ولما حدثت حوادث ١٩٥٥ طرت أنا إليه إلى الحديدة، وسرنا معه إلى حجة، فبقيت العلاقات بيننا قوية. ولما سافر إلى الحجاز سافرت معه ذهابا وإيابا، ثم سافر إلى مصر وكنت معه أيضا. لكن بدءوا يدخلون في نفسه نوعا من الشك كما صنعوا مع الزبير، بأنه لا يصدر شيء إلا عن نعمان. هذا ما جعله يتهرب من أن أرافقه أو أن أبقى في المكان الذي يبقى فيه. إذا مكث في تعز يجب أن أكون في صنعاء. حتى أنني كاشفت الإمام وكتبت له عن هذا أقول له: "إنني أفضل أن أكون دائما في مقامك بعيدا عن البدر لأنك أنت لم يتهمك الآخرون بأنك متأثر بنعمان كما اتهم البدر، فأنا أريد أن أبقى إلى جانبك." وقد جاوبني بخط يده.

وحيثما قامت هذه الحركة الأخيرة سنة ١٩٦٢، كان من رأيي أن الثورة في اليمن أو أية حركة عنيفة ينبغي أن لا تقوم، وأنه يجب التعاون مع البدر لأنه

متجاوب مع الأحرار ومع دعوتهم. فلا بد أن نجعله مرحلة من المراحل. وإذا تطور الوضع في اليمن واختار اليمن نظاما غير هذا النظام فليعمل، لكن نحن أخرج ما نكون للبدر، ولا بد أن يكون وجوده ضرورة وطنية. وكان هذا رأي كثيرين من الإخوان الأحرار في الداخل المرتبطين بنا. وكان رأي فريق من المصريين أننا يجب أن نتعامل مع البدر، وأنه لا يوجد عنده أي تعصب أو تحجر. جعلتنا هذه العلاقات نقدر فيه دائما هذا المعنى ونرتبط به من أجل مصلحة البلاد. وعند ما رأيت أن الاتجاه ضده في مصر فهمت ذلك وحاولت أن أخرج من مصر وأسافر إلى اليمن بعد موت الإمام أحمد لأكون إلى جانبه أنبهه. وأبرقت له برقية أعزیه بأبيه وأهنته بتولي الإمامة، مع توجيهه إلى ما يجب أن يسير عليه في سياسته الجديدة في نفس البرقية. ولكن كما يقولون "سبق السيف العذل". هاجموه وأخرجوه ولامونا لأننا بعثنا له برقية، وأننا غير مرتاحين للثورة، وقالوا إننا لسنا ثوارا. انقطعت الصلة بيننا وبينه منذ قامت الثورة حتى زيارتي الأخيرة إلى السعودية. ذهبت لزيارته واستقبلني كما يستقبل الصديق صديقه. وقلت له في أول لقاء "من أحرز نفسه من عدوه فذاك قتل عدوه" إن عبد الناصر قتل يوم نجوت أنت. فقد أجهز عليك وركز على قتلك وعلى أن ينسف القصر عليك، ولكن عظته بالهزيمة. وهذا فن من فنون القتل، فيكفيك أنك نجوت وأحرزت نفسك منه وظللت ثلاث سنين تقايله وتجده أنفه. ماذا تريد بعد هذا؟ فإن بقي هناك شيء فأجعله من أجل اليمن. أجعل اليمنيين يشعرون أنك لم تقايل من أجل أن تصبح ملكا أو لتأخذ عرشا أو لتحكم، إنما من أجل أن تحرر اليمن من عدوك وعدوها. وتأكد أن هذا الموقف سيكسبك العطف الكبير. وجدته مرتاحا لهذه الفكرة. قال: "يعلم الله أنه لم يبق في نفسي شهوة حكم. ولكن شهوتي بأن أكون يمينا. وهذا القانون الذي يأتي ويقول يستبعد بيت حميد الدين." قلت له: "هذا قانون أجنبي نحن رفضناه وأنا أول من استبعده وتعرضت لحمالات ظالمة واتهمت بأنني أشد حقدا على اليمن من بيت حميد الدين لسبب أنني قلت: "إذا استبعدنا بيت حميد الدين من السلطة لا يجوز أن نستبعدهم من المواطنة. إن هذا حق إنساني لهم وهم ساهموا في تحرير اليمن من العدو الدخيل عليها." فقال: "حتى إنني أنكرت على عمي الحسن وقلت له كنت في

أمريكا تريح أعصابك فما الذي جاء بك إلى هنا؟ جئت إلى جدة ماذا تعمل؟ تكتب! ولمن تكتب؟ وماذا تكتب؟ نحن يجب أن نواجه الواقع. من بعد أن قتل الإمام يحيى عرفنا أن هذا إفتاء شعبي، وأن الشعب لا يريد أن نكون حكاما، ونحن لا نريد أن نفرض على اليمنيين أبدا. "قلت له أيضا: "الحكمة أننا نلتقي على رأى واحد نواجه به الآخرين ونقول نحن نريد حقنا في المواطنة وأما الحكم فهذا يترك للشعب." قال: "أنا موافق على هذا." قلت له: "خذ شعار عبد المطلب حينما غزا الأحباش مكة وأرادوا أن يهدموا الكعبة وكان هو سادن الكعبة وحاميها، ابتز بعض جيش أبرهه إيل عبد المطلب، فذهب ليقا تل أبرهه. فظن أبرهه أنه جاء يطلب منه أن يحمي البيت، وإذا به جاء يطلب من أبرهه أن يفك له إبله، حتى أن أبرهه قال: "ماذا! أنا كنت أعتقد أن هذا جاء ليحمي مقدساته وبيت الله وحرمة وإذا به جاء يطلبني الإبل." فقال عبد المطلب: "أنا رب إيلي وللبيت رب يحميها." وأنت ليكن شعارك هكذا "أنا رب أسرتي ولليمن شعب يحميها." ونحن كأفراد من هذا الشعب قلنا يجب أن يطبق هذا الشعار. وبقينا نسترجع الذكريات ونذكرهم بما كنا قد قلنا في السجن لعبد الناصر "إذا كان لا شعر يفيد ولا نثر فليس لكم إلا القبائل والبدر.

روحنا عليه. ثم قلنا له على كل حال في سبيل الله ما لقيت، أنت نجوت الآن. من أحرز نفسه من عدوه فذاك قتل عدوه. هذا ما قلته له. كان هذا أول لقاء بيني وبينه بعد القطيعة وبعد هذه الحرب، فوجدته مرتاحا وحوله مكتبه واسعة تحوى كل العلوم والفنون. قلنا له هذا هو الملك. حتى أن العلماء الألمان كانوا يقولون إن الله عوضنا عن المستعمرات والفتوحات العسكرية بالفتوحات العقلية. يقرأ الإنسان ويتفتح.

س — أكان الإمام البدر ذكيا مثل أبيه؟

ج — نعم. كان فيه ذكاء أبيه ولكن العصر ليس عصر أبيه. جاء في عصر مختلف عن العصر الذي كان فيه أبوه، لكن أبوه لم يستطع أن يواجه هذا العصر. الناس تغيروا وتبدلوا وظهرت الأفكار الجديدة. قال المتنبي:

أتى الزمان بنوه في شببيته فسرهم وأتيناها على الهرم

س - اخبرنا عن علاقة البدر بعبد الناصر؟

ج - كان البدر كما قلنا شابا متطلعا ومتفتحا للحياة. وحينما وجد نفسه مرشحا لولاية العهد ومرتبطا بالأحرار، وسمع بثورة مصر، وجد أن عليه تحسين علاقاته بها ليوجد في اليمن نوعا من الرجال الذين يعملون لصالح الشعب. لأن الدعوة العربية كانت تهز الناس هزا عنيفا بشعاراتها وبمبادئها وبما تنشره من التنفيس عن الشعوب من خلال البكاء على أحولها والندب عليها. كانت هذه كلها تؤثر في كل إنسان حريص على خير الشعب. فكان هو يتجاوب مع هذه الأفكار. وأقنع أباه بأن يسمح له بالذهاب إلى القاهرة سنة ١٩٥٤ لزيارة الرئيس المصري محمد نجيب، وأن يستقدم من هناك بعثات طبية وعسكرية. وأتاح له والده الفرصة، فخرج والتقى بعبد الناصر والسادات.

س - وكنت أنت معه، أليس كذلك؟

ج - كلا. كنت أنا في سجن حجة سنة ١٩٥٤ ولم أخرج إلا سنة ١٩٥٥. لأن الثورة المصرية كانت قد أحدثت رد فعل في اليمن، فرأى البدر أن من الأفضل أن يتعامل مع هذه الثورة ليشعر اليمنيين المتطلعين إلى أنه معهم. فخرج ووجد الزبيري والأحرار اليمنيين هناك، وأتصل بهم وارتبط بهم وطمأنهم عنا في الداخل وأنه على صلة وثيقة بنا، وأنه يتعاون معنا، وأنه لا يسير إلا بتوجيهاتنا. وهذا واقع. لأنه كان كأحد الأحرار. وأرتبط بالمصريين وطلب منهم أن يرسلوا له بعثة عسكرية ليدرب جيشا في اليمن. أعطوه بعثة عسكرية وكان لها رئيس ممتاز ومخلص. أعطوه بعثة تعليمية فطلب بعثات تقنية. وعاد إلى اليمن لفتح المدارس واستقدام المعلمين والخبرات. وبدأت الأمور تنتعش وتتطور. وكنا نحن قد خرجنا من السجن. وبدأت الاتصالات والارتباطات. وحينما قامت ثورة ١٩٥٥، وجدت أن مصر ستكون سنده، وفعلا وقفوا إلى جانبه، ووقفوا إلى جانب الإمام أحمد هم والسعودية، على اعتبار أن الحركة كانت تستهدف البدر، وكانوا يتهمون أن سيف الإسلام عبد الله على ارتباط بحلف بغداد. وأحسوا بحركات تدبر في اليمن للقضاء على الإمام والبدر. فظلوا عوناً للبدر على أساس أن يكون صديقهم. ارتبط بهم

وتعاون معهم وذهبنا نزور عبد الناصر سوية لشكره على موقف مصر إلى جانب الإمام وضد حركة سيف الإسلام عبد الله. وبدأنا نتوسع في المطالب من مصر. ولكن الإمام كان قد قضى على خصومه، إخوته ومن معهم. ذبح سيف الإسلام عبد الله وأخوه العباس وخصومه الذين قاموا بالانقلاب وأوجد جوا رهيبا مرعبا. فقرر البدر أن نذهب سوية إلى السعودية. وربما كان عبد الناصر ينتظر أن يزور السعودية في تلك الفترة وملتقي هناك ونشرح له أن الإمام عاد إلى عاداته، ونطلب التعاون بين الدوليتين لنصيحة الإمام. وخرجنا متفاهمين على هذا الأساس.

س - هل كان تحت تأثيرك كثيرا؟

ج - نعم. كان يتأثر ويستجيب إلى حد كبير ويقتنع. لأنه ذكي ويرى أن العصر يحتاج إلى تغيير، وأن المجال لم يعد يقبل بالأسلوب الذي سار عليه آباؤه. يقرأ ويطلع، متفتح وذكي. كان يستروح ويتجاوب، ولهذا ذهبنا إلى مصر واشتكي لعبد الناصر أننا نحتاج بأية صورة إلى تغيير الأوضاع والسياسات. وكان عبد الناصر يعرف نوايا هذا الإنسان ويعرف تجاوبه. بعد انقلاب ١٩٥٥، عند ما خرجنا إلى القاهرة لنقوم بحركتنا قرر البدر أن يذهب إلى القاهرة لكي يوقف حركة الأحرار. واتصل بعبد الناصر الذي كان متجاوبا معه. ورأى البدر أن في هذا الموقف غدرا لأن آباءه والآخرين قالوا له هذا صديقك خرج يعمل ضد أبيك. والواقع أنها كانت غلطتي تماما. ولكن كان الإنسان مخدوعا بالآية الكبرى (بعبد الناصر) ولم تكن النوايا سيئة. وكان الأصوب أن نهى الجو للبدر ونتعاون معه. فاضطر تحت تأثير أبيه والمحيطين به. ثم كيف يستجيب لعبد الناصر؟ لو كان عند عبد الناصر عقل وحكمة، حتى لو خرجنا نحن معارضين، كان الأصوب أن يتفاهموا معنا على خطة حكيمة. لكن هذا لم يحدث. بل قالوا احملوا على الإمام فحملنا. أتيت وارتبطت بالزبيري ومجموعة من الشباب الذين كانوا منفعلين ضد الإمام وكان الإنسان إذا تأخر عنهم سيوضع في صف الخونة. فلما جاء البدر تفاهم مع عبد الناصر وأوقف نشاطنا نحن. بعد هذا توصلوا إلى ميثاق جدة بين اليمن والسعودية ومصر، ووقعوا اتفاقية دفاع أو ماسمي "ميثاق جدة الثلاثي". وكان البدر قطب الرحى في هذا لأنه أقنع الإمام وأخرجه من الحديد وأراد الذهاب إلى جدة

لمقابلة عبد الناصر. وتقابلوا هناك وتوصلوا إلى الميثاق واتفقوا عليه. جاء دور الاتحاد بعد الوحدة بين مصر وسوريا، فأقنع أباه بضرورة الارتباط واتحاد اليمن مع الجمهورية العربية المتحدة وضمها إلى البلدين لتطوير اليمن. وكنا نحن نرحب بهذه الخطوات ولو بصمت. قلنا من أجل أن تنهض اليمن مع البلاد العربية. عمل كل هذا لكن الإمام أحمد كان يعرقل تنفيذ أي شيء، وكان البدر يطلب أن نصبر على أبيه، ويطلب من عبد الناصر أن يصبر على الإمام، ولكن عبد الناصر بعد هزيمتهم في الوحدة بين مصر وسوريا، أرادوا أن يبحثوا عن نصر جديد. إذا هزم في معركة فسيدخل في معركة أخرى. فحبك المؤامرة للقضاء على البدر وعلى أبيه تحت ظل حركة الأحرار. سرق حركة الأحرار وقضية الأحرار ونبذ الأحرار الأصليين وجاء بعملاء مشبوهين مثل البيضاني ومجموعة من العملاء وركزهم دعاة لقضية الحرية في اليمن. وشنوا هجوما سافرا على الإمام، وعلي وعلى الزبيري ومن في صفنا من الأحرار. رتبت هذه الخطة كلها للقضاء على الإمام وعلى البدر. ولم نتجاوب ولم نتعاون مع هذه الخطة ورفضناها. بل لو كنا وجدنا سبيلا لأن نتفاهم مع الإمام وكان الصلح ممكنا لتفاهمنا معه. ولكن كان الباب قد سد. لكننا توقفنا متفرجين ولم نشترك في هذه العملية القذرة التي لم تكن تستهدف النهوض باليمن، بل جعل اليمن قاعدة لعبد الناصر ليمر عبرها إلى السعودية وعدن، ويزعج الجزيرة العربية ويحقق فيها أطماعه، ويجعل اليمن فقط مستعمرة لأهوائه. كنا نحن نلمس هذا فرفضنا.

فلما قاموا بالعملية (ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢) لم يبال لا بالعهد الذي بينه وبين البدر ولا باللقاءات. وهكذا دبر الأمر للقضاء على البدر. فكانت حكمة الله أن نجي البدر. ضرب القصر فتسلل إلى الدور الأسفل وخرج من باب آخر ولبس لباس القبائل وخلع ثياب الإمامة ومشى بين القبائل إلى أن نفذ من الحدود اليمنية إلى السعودية خلال أسبوعين. أعلنوا أنه قد قضي على البدر تحت الأنقاض. وتبين فيما بعد أنه لم يقض عليه. وظلوا يحملون على البدر، ويسمونهم الإمام المخلوع. وتواصل التشهير بالأسلوب الناصري الذي عرفه الناس. وهذه خلاصة علاقته بعبد الناصر ونتائج العلاقات والود. حتى أنه حينما كانت المؤامرة تحاك، وكان

أنور السادات قطب هذه المؤامرة القذرة، حينما أبلغه أن الإمام أحمد مات موتاً طبيعياً وأن البدر بويج بالخلافة بدلاً عن أبيه وأن الذين اتفقوا معه للقيام بالقتل لم يقوموا بشيء ولم يحققوا شيء، جاء أنور السادات إلى عبد الناصر فقال له ساخراً "البقية في حياتك يا أنور، الإمام أحمد مات والبدر طلع إماماً، والعمليّة باظت فلا بد أن ترد على برقية الإمام المنصور الإمام البدر." قال له: "يا سيادة الرئيس سوف لن نتعجل بالرد على البدر، الأحسن أن نؤجل الرد لأن الرد لو سمعه أصحابنا في صنعاء سيفهمون منه أنكم تدعمون البدر وسيمتنعون عن القيام بالعمليّة، لأنهم مصممون على الجريمة وعلى قتل البدر. والآن قد خف علينا العمل، لم يبق أمامنا إلا هدف واحد، انتهينا من ذلك الهدف. فقال له: "ما العمل؟" قال: "البيضاني سيلقي الليلة حديثاً يهاجم فيه البدر ويهاجم الإمام حتى ولو كان قد مات والبرقية تروح في ظل هذا الحديث حتى يفهم أصحابنا أن البرقية فقط للمغالطة ليواصلوا عملهم. وهكذا فعلوا. واصلوا الهجوم العنيف على البدر في يوم كان فيه يتولى الملك ويرسل إليهم ببرقية، فإذا بهم يهاجمونه ويهاجمون والده الميت، وأرسلوا برقية ليطمئنوا العملاء حتى يقوموا بالعمليّة. فنجى البدر من الوقوع في يدهم. وأذكر أنني عند ما أرسلت برقية تهنئة للبدر جاء أحد مستشاري عبد الناصر لأول مرة إلى منزلي بعد القطيعة الطويلة والجفاء كمن يبدي الاستياء من حديث البيضاني الذي أذاعة أمس، كأنه تبارد إلى ذهنهم أنه لو فشلت العمليّة نمسك بجماعة الأحرار الأولين حتى لا تفوتنا الصلة بالمرتبطين بالبدر. جاءني هذا التفسير فيما بعد. قال: "جئت يا نعمان إلى عندك اليوم بعد أن ذهبت إلى وزير الاستعلامات محمد عبد القادر حاتم أقول له لا يشرف مصر أن نشتم ملكاً يموت وأصبح بين يدي الله وملكاً يقوم! أنتم تريدون أن تحرقوا الجسور بيننا وبين الدول العربية، والبيضاني الذي يريد أن يظهر على حساب إحراق مصر يحرق الجسور بيننا." ثم قال: "والآن أريد الاتصال بمدير مكتب الرئيس وسكرتيه الخاص سامي شرف" وقام وتناول التلفون وتكلم مع سامي شرف قائلاً: "يا سامي. أنا أتكلم من بيت زعيم الأحرار الأستاذ نعمان وكنت عند عبد القادر حاتم، وأريد أن تبلغوا الإذاعة، هذا لا يصح،

لا يصح هذا الكلام، هذه إساءة إلى مصر. والبيضانى يريد أن يظهر على حساب إحراق الجسور بيننا وبين اليمن؟ من هو هذا البيضانى؟ وأطبق السماعه. فهمت أنه لو فشلت هذه العملية نعمل نحن لإبقاء العلاقات. قلت له: "ما رأيك أن نرسل برقية للبدر؟" قال: "ارسلوا له برقية تهنئة واتفقوا معه." واجتمعنا واتفقنا وأرسلت البرقية ونشرت في الصحف المصرية. بقينا نترقب رد البرقية ولكن الأمور سارت على غير ما كنا نتوقع. لأن المتربصين والمكلفين بقتل البدر كانوا يرتبون الأمور. واحتالوا على البدر بإخراج السلاح والمدفعية في صنعاء على أساس أن عمه الحسن جاء لينازعه على الحكم حتى يكونوا جاهزين للدفاع عنه، في حين كانوا يرتبون هذه العملية للإجهاز عليه.

س — من الأشخاص الذين كانوا يعدون لهذه العملية؟

ج — كان عبدالله جزيلان مرتبطا بعبد الناصر، وعلي عبد المغني من الضباط الذين قتلوا فيما بعد، ومجموعة من الضباط ولكن كان على رأسهم عبد الله جزيلان وعلي عبد المغني. كانت علاقة هؤلاء بالسفارة المصرية في صنعاء. وكان محمد عبد الواحد (القائم بالأعمال المصري) همزة وصل بينهم وبين مصر يوافقهم بالأنباء. وكان حسن العمري أيضا مرتبطا بهذه العملية. وكان أكثرهم يظنون أن المصريين يريدون إنقاذ اليمن. وكان حسن العمري يعمل في اللاسلكي، فكانت البرقيات تأتي إليه، وكانوا يرمزون إليه بمدير البنك. وكان البيضانى هو الذي يتصل بهم من القاهرة. وكانت القاهرة قد أعدت له كل وسائل الاتصال، ووضعت بين يديه المال ليتصل وينفق. وضعوا ثقتهم فيه ولم يثقوا بأي يمني آخر، لأنه عميلهم وملتصق بهم. وكانوا عن طريقه يترقبون الأحداث يوما بعد يوم. وأخيرا أرغموهم بالتخويف أنكم إن لم تبادروا فإن الكارثة ستحل عليكم. فكانوا يقولون لهم امهلونا يومين أو ثلاث حتى يتم كل شيء. وكان البيضانى يقول قنبلة واحدة تكفي لتطهير اليمن. ويشوق المصريين ويشعرهم أن المسألة سهلة ومن البساطة بمكان بحيث لا تحتاج إلا إلى قنبلة واحدة. فظلوا على هذا النحو يعدون إلى أن هاجموا القصر ليلا يوم الخميس ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢. ولم يكن عبدالله السلال موجودا لأنه

لم يكن قابلاً لأن يتصدر الحركة. وكان الذي رشح هو حمود الجائفي لكنه رفض هذه العملية وقال إن هذا تعجل ونحن غير مستعدين وستحل الكارثة على رؤوسنا. وقيل إن السلال قال للمصريين نحن لا نستطيع أن نقوم بهذه العملية لأن القبائل ستطبق علينا وعلى صنعاء وتتهبها كما جرى سنة ١٩٤٨، والسعوديين كذلك. فقالوا لهم عليكم فقط بإطلاق الطلقة الأولى لا غير ودعوا الباقي علينا. عليكم أن تجهزوا على البدر، وإذا سقطت هذه الشرعية فكل شيء سيتم. فرتبوا أمورهم جميعاً وضربوا القصر، وشعروا أن البدر نجى، ماذا يعملون؟ دعوا كل الذين كانوا متعاونين مع البدر، من عمه سيف الإسلام علي وكان مسكيناً في بيته لا شأن له في شيء، وعمه الآخر إسماعيل، وابن عمه الحسن بن علي، وأجهزوا عليهم جميعاً. جلبوهم من البيوت وأطلقوا عليهم الرصاص بطريقة وحشية فظيعة. حسن إبراهيم، وعبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب، يعني العناصر البارزة. والقصد من ذلك إذا عاد البدر يكونون قد سحقوا كل أعوانه وأنصاره. بينما هم يجدّون في تنفيذ هذه العملية خرج البدر وهرب. ألحوا على مصر أن ترسل الجيوش بسرعة وترسل الطائرات وأن تنقدهم بسرعة لأنهم واقعون في الهلاك لأن البدر سيؤلب عليهم القبائل. جاءت الطائرة لتقصف حجة لمطاردة البدر، لأنهم كانوا يظنونهم في جهات حجة. أقيمت الطائرات وكانوا في خوف شديد. لم ينقذهم إلا إرسال القوات المصرية. كانت القوات منذ البداية تسير في البحر، وكان كل شيء قد رتب قبل التحرك للإطاحة بالبدر. كانت البواخر في البحر تتقل الجنود والطائرات. وخرج البيضاني المعتمد السياسي المصري والمندوب فوق العادة ليسيّط على الأمور وتبقي الاتصالات جارية. وجعلوا البيضاني الحاكم الفعلي لليمن. وهذا هو الذي زاد من سخط اليمنيين جميعاً، جمهوريين وغير جمهوريين، أن يأتي هذا البيضاني ليحكمهم؟ هذا المشبوه الجاسوس. يعني كان له في أذهان الناس صورة غير مرضية. وبقي خلال هذه الفترة إلى أن خرجنا نحن بالطريقة التي عرفتموها وأعادنا إلى مصر بالطائرة مرة أخرى.

(بداية الوجه الأول من الشريط الثامن)

الزيدية فئة من الشعب اليمني ارتبطت بمذهب زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وقد دخل مذهب الإمام زيد إلى اليمن عند ما جاء الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في القرن الثالث للهجرة إلى اليمن لاجئاً إليها بعد أن دارت معارك بين العباسيين والعلويين في البلاد العربية، فلجأ هذا إلى اليمن ونشر مذهبه. اعتنق المذهب جماعة من القبائل وأصبح للهادي ذرية أنجبت وتناسلت وكان أئمة الزيدية منهم. وقامت في المناطق الشافعية دول بني زياد، والرسوليون، والصليحيون الفاطميون. انتشر بعض هذه الدويلات في الشمال وتصارعت مع الزيدية، وبعضها في الجنوب في مناطق شافعية. وكان كلما جاء غزو من الخارج يلوذ الشوافع به خوفاً من سيطرة الزيدية، وكلما تقلص النفوذ الخارجي امتدت الزيدية وحكمت اليمن كاملاً. يبسطون سيطرتهم على الشوافع، ويحكموا بالظلم، ويبالغون في جباية الأموال باسم الزكوات، حتى قيل لأحد الأئمة "لقد سلبت من الناس الشيء الكثير والزكاة المقررة في الإسلام هي العشر وأنت تأخذ الآن أكثر ما بيد الأهالي" فقال: "إني أخاف أن يعاقبني الله على ما أبقية لهم" أي أنه يعطي لنفسه حق استصفاء جميع ما في أيديهم. وعندهم مبررات لهذا، فقد يغزوهم أجنبي فيقاتل الأئمة بالأموال التي معهم. ولذلك يعملون لسحب ما في أيدي الناس حتى لو غزاهم غاز لا يجد شيئاً يقاتل به. هذه من التعليقات والشبه التي كانوا يثيرونها. وأيام التخلف كان الإنسان ينظر لأصحاب المذهب الآخر كأنهم من دين آخر بسبب التعصب المذهبي ما بين زيدي وشافعي، ما بين حنفي ومالكي، ما بين شافعي ومالكي، على اعتبار أن المذاهب الإسلامية المشهورة كانت أربعة: الشافعي، والحنبلي، والمالكي والحنفي. ولكن الأئمة وأتباعهم كانوا يقولون إن المذهب الزيدي المذهب الخامس، وكان معارضوهم يقولون إنه مذهب خارجي ليس له أصل. وكانت الشافعية تحارب على هذا الأساس ويقولون إنه لا يوجد حول الكعبة إلا أربعة مقامات: المقام الشافعي والحنبلي والمالكي والحنفي. فإين الزيدي؟ فيرد الزيدي بأنه فوق سطح الكعبة. عاشت اليمن بين مد وجزر. وكان أئمة الزيدية يستولون على اليمن كلها أحياناً، وأحياناً ينسحبون إلى جبالهم في شهارة أو في

غيرها ويظلون هناك إلى أن تأتي دولة غازية. وجاء الأتراك، وسيطروا في آخر أيام الإمبراطورية العثمانية على مناطق اليمن كلها. وتولى الإمام المنصور محمد، والد الإمام يحيى قتال الأتراك. وعند ما مات تولى بعده ابنه لإمام المتوكل يحيى. فكانت الحرب دائما بين اليمنيين والأتراك. ولكن المراد باليمنيين هنا الزيود، أما الشوافع كلهم فكانوا خاضعين للسلطة العثمانية وخاصة تهامة اليمن ومنها الحديدة، وكذلك تعز، وإب، والبيضاء. أما عدن وما إليها فكانت بيد الإنكليز. هؤلاء الأتراك (نهاية الشريط) حينما حكموا كانوا يغذون هذه الناحية ويثيرون الشوافع ضد الزيود، وكان الزيود يعتبرون الأتراك كفارا ونصارى، ويعتبرون من يتعاون مع الأتراك فهو منهم، ويعتبرون الشوافع إخوان النصارى. كان ذلك بسبب الحروب والدعايات، وكل طرف يقذف الطرف الآخر بما يكسب به نصرة قومه. وظلت الحروب في اليمن على هذا النحو بين الزيدية والشافعية، أو بين الزيدية والغزاة الذين يحكمون المناطق الشافعية. وقد حارب الإمام يحيى الأتراك وكانت بينهم معارك ولكن في مناطق معينة من المناطق الشمالية لا يتعدوها. أما صنعاء فكانت بيد الأتراك وإن تعرضت لهجمات متكررة ومعها سائر المناطق. وتواصلت الحرب خلال فترة طويلة. ولكن وقع بين الإمام والأتراك صلح، في معاهدة يسمونها صلح "دعان" باسم المنطقة التي التقوا فيها. وهكذا اتفق الإمام والأتراك على أن يبقى الأتراك مستولين على مناطق كثيرة من اليمن على أن يجعلوا للإمام شيئا من النفوذ الروحي وخاصة في مناطقه. لكن المناطق التي يسكنها شوافع تبقى تحت حكم الأتراك. إلى أن جاءت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، حين دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء. وجد الأتراك أنفسهم في حالة حرب، فهل يظلون يحاربون الإمام يحيى أم يحاربون الإنكليز، لأن الإنكليز كانوا مسيطرين على عدن وأراد الأتراك الموجودون في اليمن أن يستولوا على عدن وعلى مضيق باب المندب. هاجموا هذه المناطق. وهبطوا إلى لحج وأحاطوا بعدن وأقاموا مواقعهم على مقربة منها في منطقة الشيخ عثمان. كل ما فعله الإمام يحيى أن هادنهم ولكنه لم يقاتل معهم. والذين قاتلوا مع الأتراك ضد الإنكليز هم الشوافع، أما الزيود فظلوا مهادين لا يتعرضون للأتراك، ومتوقعين أن ينهزم الأتراك

ليستولوا على البلاد من بعدهم. وقد هزمت تركيا واضطرت أن تسلم البلاد. لم يكن الإنكليز يطمعون باليمن. ومن حيث أن الإمام كان مهادنا لهم لم يشارك في الحرب على الانكليز رأوا أن يتركوا قسما من اليمن الكبيرة للإمام ويكتفوا بالسيطرة على عدن والمحميات. وانسحب الأتراك من المناطق التي كانوا قد استولوا عليها في الجنوب ليستعيدها الإنكليز. وعند ما رأى الإمام يحيى أن أمامه فرصة كبيرة اتجه للتفاهم مع الإنكليز وهادنهم ودخل صنعاء. وهكذا استولى الزيود على الحكم والويل للشوافع الذين تعاونوا مع الأتراك على الرغم من أن الشافعية أعلنوا ولاءهم حالا للإمام يحيى ومن جملتهم عمي عبد الوهاب من الحجرية. تسابقوا جميعا لأنهم لا يريدون أن ينضموا إلى الإنكليز مع أن الإنكليز ساوموا الشوافع على أن ينضموا إليهم فرفضوا ورأوا أن يرتبطوا بالدولة الإسلامية دولة الإمام.

استولى الزيود على الحكم ولم توجد حكومة للشوافع الذين كانوا دائما رعيّة، يدفعون الضرائب. وإذا أعطوا وظائف يعطون وظائف محدودة، لكن لا حق لهم في السلطة. ولا يوجد فروق في أصل المذهب، الخلاف كما ترون والعداء إنما جاء من ناحية السياسة والحروب. أما من ناحية المذهب لا توجد فروق. إلا أن الأئمة الزيود يرون أن خليفة الرسول هو الإمام علي بن أبي طالب، وأنه الخليفة الأول في حين يرى الشوافع أن أبو بكر هو الخليفة الأول. توجد فروق في المسائل الدينية شكلية، مثلا هذا يضم يديه إلى صدره في الصلاة وذاك يسربل، يعني أشياء بسيطة، والاجتهاد عند الزيدية مفتوح وعند الشافعية مغلق. لم يعد يوجد اجتهاد في المسائل الفقهية والعلمية. يقولون يجب تقليد إمام من الأئمة لأن زمن الاجتهاد قد انقطع. ويوجد عند الزيدية كذلك ضرورة الخروج على الإمام الظالم. وعند الشوافع لا يجوز الخروج على الإمام الظالم إلا إذا كفر كفرا بواحا. أما إذا كان ظالما فإن الظلم من طبيعة النفوس ويلجأون إلى الدعاء إلى الله والتوسل. وتعتقد الزيدية أن المرء مخير بينما يؤمن الشوافع بالقضاء والقدر، أي أن الإنسان مجبر. وباعتبار الزيدية فئة من المعتزلة فإنهم متحررون فكرا أكثر من الشوافع. الأصل فروق مذهبية كما رأينا، ولكن حينما استأثر الزيود بالسلطة أوجد هذا شيئا من العداوات ومن الأحقاد والسخط. لأن هؤلاء الشوافع كانوا مضطهدين، بسبب أن الجيش من

الزيود والحكام من الزيود والأئمة من الزيود. فأوجد هذا خلافا بين الزيدية والشافعية في اليمن. وفي عهد الإمام يحيى على الرغم من هذا العنف بدأت الوحشة تزول. اختلط الزيود بالشوافع وبدأ الشوافع يطلعون إلى بلاد الزيود، مع أنه لم يكن يوجد شافعي يسكن في بلاد الزيود، في حين كان يوجد زيود يسكنون في بلاد الشوافع ويأخذون أراضي لأنهم آمنين، أما في مناطق الزيود لم يكن يوجد أحد من الشوافع، وكانت العزلة قائمة. أما في عهد الإمام يحيى فقد بدأ الاختلاط وبدأت الوحشة تتلاشى وتزول.

وفي الوقت الذي كان فيه الإمام يحيى يقاتل الأتراك، كان يوجد أيضا الأدارسة في عسير وتهامة. والأدارسة شوافع، والإدريسي زعيمهم شافعي. فكان بينه وبين إمام الزيدية دائما خلاف واحتكاكات. امتد حكم الأدارسة في منطقة عسير إلى تهامة اليمن وإلى الحديدة وإلى زبيد وأصبحت لهم دعاية منتشرة. كان لهم في أول أمرهم دعوة صوفية. خرج جدهم السيد أحمد بن إدريس إلى هذه المناطق وظل ينشر الدعوة الروحية والتصوف والدعوة إلى الله وتطهير النفوس إلى أن جاء أولاده وحولوها إلى سلطة سياسية. لأن الناس نصردهم تحولوا إلى أئمة. هكذا تبدأ السلطة أولا فكرة روحية. يأتي رجل يعلم الناس أمور الدين. ويحسن الناس به الظن ويثقون فيه ويبدأ بحل مشاكلهم وهكذا. وإذا به قد أصبح حاكما بالتدريج. ويصبح ورثته حكاما. جاء أحفاد هذا الإدريسي وأخذوا المنطقة في حين كان جدهم قد بدأها بدعوة دينية. ثم ارتبطوا بالطلبيان لأن الطليان أرادوا محاربة الأتراك. وكانت علاقاتهم بالأدارسة وطيدة فكانوا يستمدون السلاح من الطليان ويحاربون الأتراك، وظل الأتراك يحاربونهم. وعلى الرغم من أن الإمام كان يحارب الأتراك، كان يشعر أن هؤلاء الأدارسة منافسون خطرون، أولا لأنهم سادة ينتسبون إلى النبي ولكنهم شوافع. وكيف يكون الشافعي حاكما وخليفة؟ فكان يخاف منهم خوفا شديدا. وبعد أن انسحب الأتراك استولى الإدريسي على إمارة عسير وتهامة حتى الحديدة، وهو ميناء

صنعاء واليمن. ظلت صنعاء محاصرة بدون ميناء. ولم يكن الإنكليز راضين عن الإدريسي لأنه حليف للطلليان. وأرادوا أن يتفاهموا مع الإمام يحيى ولكن بأي مقابل؟ كان المقابل أن يقتطعوا مناطق من جنوب اليمن ليدعموا الإمام في الحديدة ضد الإدريسي. ودخل الإمام في حروب مع الإدريسي وترك الحرب مع الإنكليز في الجنوب. وفي الوقت الذي كان فيه الإمام منشغلا بالإدريسي كان الإنكليز يستولون على المواقع المهمة في الضالع. وكانت المناوشات تقوى وتتسع الحروب مع الأهالي. ولكن البريطانيين لم ينجحوا بسهولة. فاستخدموا الطائرات في بعض الأوقات واستولوا على ما أرادوا من أراض. ودخل الإمام يحيى في حرب مع الإدريسي في لواء الحديدة، وأخرج الأدارسة من المنطقة الممتدة من الحديدة إلى ميدي. وبعد ميدي توجد المنطقة التي هي الآن جيزان وأبها على اعتبار أنها يمنية. عندها تحالف الأدارسة مع عبد العزيز آل سعود، فحماهم وتركهم في عسير. ومات محمد بن علي الإدريسي فخلفه أبناؤه الذين اختلفوا مع السعوديين ولانوا بالإمام يحيى والتجأوا إليه. فقام الإمام يحيى ليسترجع عسير وأبها مادام الأدرسة معه. ودخل الحرب مع السعودية. فانتصر عبد العزيز آل سعود وأخذ تهامة كلها حتى الحديدة وضم أكثر المناطق. فتراجع الإمام يحيى وقال: "يكفى ما قد كان. ونعود بالله من المتربصين بالإسلام شر الدوائر. ولكن ارجع لي الأراضي التابعة لي. مثل عبد الناصر عند ما كان يريد أن يأخذ إسرائيل فأخذت سيناء، والآن يقول خذوا غزة وكل شيء وأتركوا لي سيناء. تصرف الإمام يحيى التصرف نفسه. يريد الحديدة والمناطق الأخرى لأن الشوافع مالوا إلى السعوديين بسبب ضيقهم من الإمام. رأى الإمام أن اليمن كلها ستسقط من يده، فعقد صلحا. وسعى لعقد الصلح أيضا وفد من لبنان وفلسطين من أعضائه شقيب أرسلان.

س — بدأت في ذلك الوقت تفتش عن آيات قرآنية لتجد حلاً، لأنك كنت بعيداً عن السياسة أليس كذلك؟

ج — نعم. لهذا كنت ألوذ بالمساجد ونقرأ الآيات للتعوذ من هذه الأشياء. لكن الأحداث تلاحقت بسرعة فكانت تكنس كل الماضي وتطارده مطاردة شديدة. استولى السعوديون على عسير وصفوا الأدارسة نهائياً وانتهت إمارتهم. مع أنهم كانوا أولاً مع الطليان وضد الأتراك، وعاشوا في هذه الإمارة يحاربون الأتراك فترة من الزمن، كانوا قد تصالحوا معهم، وتواصل حكمهم في عهد الإمام يحيى لمدة. وكان بعض القبائل اليمنية يرتبط بهم. وأخيراً انتهى الأدارسة نهائياً واستولى السعوديون على عسير وأصبحت جزء من المملكة العربية السعودية. ولم يقبل عبد العزيز آل سعود الصلح مع الإمام إلا بتسليم أولاد الإدريسي والتخلي عن مناطق معينة. ووافق بعدها على سحب قواته حسب اتفاقية "الطائف" سنة ١٩٣٤. وعند ما حارب الإمام السعودية كان قد وقع اتفاقية مع الإنكليز لمدة أربعين سنة، تبقي الحدود كما هي عليه في الجنوب. لأن في الأصل تطلق تسمية اليمن الطبيعية على ما بين الحجاز ومسقط وعمان، وكانت تسمى المخاليف: مخلاف حضرموت ومخلاف الجند ومخلاف صنعاء، ما يطلق عليه الآن بالألوية كان يسمى المخلاف. فكانت اليمن تنقسم إلى خمسة مخاليف، ولم يعرف القسم الجنوبي بأنه كان يوماً ما دولة مستقلة أو منفصلة عن اليمن. وحينما جاء الإنكليز إلى عدن عام ١٨٣٩ ليتخذوا من عدن قاعدة لتموين سفنهم وللسيطرة على طريق المواصلات بين الشرق والغرب، ليربطوا المحيط الهندي بالبحر الأحمر من أجل تموين السفن البخارية بالفحم، اتخذوا من عدن قاعدة. وكانوا يطلقون على ما يسمى الآن الجنوب "المحميات التسع" التي تضم حضرموت والضالع ولحج ودثينة والحواشب، ولم تعرف باسم مستقل بل كانت تسمى عدن والمحميات التسع. وعند ما كان الأتراك يحكمون اليمن كانوا يطلقون عليها النواحي التسع، أي أنها نواحي تابعة لليمن. وحينما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وكانت اليمن ولاية تابعة للخلافة العثمانية، تركيا وألمانيا من جانب والحلفاء من جانب آخر، حاول الأتراك وهم مقيمون في اليمن أن يسترجعوا عدن من يد الإنكليز ويسيطروا على طرق

المواصلات ومنها بوغاز باب المندب. سيطر الأتراك على بوغاز باب المندب ثم حاولوا استرجاع المحميات، فنزلت جيوشهم بقيادة علي سعيد باشا الذي كان قائدا تركيا في اليمن مع بعض القبائل اليمنية من الشوافع، أما الزيود كما تحدثنا من قبل فكانوا يحاربون الأتراك وهم في الشمال إلا أنهم وقعوا هدنة بينهم وبين الأتراك خلال الحرب العالمية وخلال حرب الأتراك مع الإنكليز. استرجع الأتراك لحج والصبيحة والضالع ومعظم المحميات وسيطروا عليها. وحينما انتصر الحلفاء وانسحبت تركيا عاد الإنكليز مرة أخرى إلى هذه المناطق. وكانت القوات التركية قد اقتربت من عدن حتى الشيخ عثمان واستولت عليها. وبعد الحرب العالمية بدأ الإنكليز يفكرون بفصل الجنوب عن الشمال وأن يوجدوا فيها دولة لأبناء المحميات لكي ينفصلوا عن الشمال الذي حارب إلى جانب الأتراك ضدهم. وبدأت هنا تتبلور فكرة انفصال الجنوب، لأن الإنكليز يريدون مبررا شرعيا لبقائهم في المحميات عن طريق دولة يتفقون معها على استمرار وجودهم. وكان بين الإمام يحيى والإنجليز بعض التفاهم، باعتبار أن الطرفين كانا ضد الأتراك. فلم يتحمس للمطالبة بالمحميات ولا بما كان قد استولى الأتراك عليه من أراض وضموه إلى اليمن. وترك لحج والصبيحة ومناطق كثيرة للإنكليز ليتفرغ لقتال الإدريسي المنافس له على الإمامة والسيطرة على اليمن. وهكذا أنصرف الإمام لمحاربة الإدريسي وعقد هدنة مع الإنكليز الذين استغلوا فرصة انشغال الإمام بهذه الأمور وأخذوا ينظمون أمورهم في المحميات. وبعد انتصار الإمام على الأدارسة والاستيلاء على ما كان بأيديهم من اليمن، عاد لفتح معارك مع الإنكليز. ولكن الإنكليز كانوا يملكون الأسلحة والنظام ولم يكن عند الإمام شيء، فبدأت الطائرات عام ١٩٢٧ تقصف بعض المدن اليمنية مثل الحديدة وبعض مناطق الحدود، فاستسلم الإمام ورأى أنه غير قادر على أن يدخل معهم في معارك وإن ظل حتى عام ١٩٣٤ يقوم ببعض المناوشات مع الإنكليز. وبدأ الخلاف بينه وبين عبد العزيز آل سعود لأن الأدارسة رأوا أن يلتجئوا إلى السعوديين وأن يضموا منطقة عسير وما إليها للسعوديين نكاية بالإمام. ولذلك بدأ الاحتكاك بين اليمن والسعودية مباشرة، فقرر الإمام أن يسترجع هذه المناطق بالقوة. أرسل عبد العزيز آل سعود مندوبين إلى الإمام دخلوا في

مفاوضات من أجل الحدود ولم يصلوا إلى اتفاق. وكان الإمام يعتقد أن عبد العزيز آل سعود لا يملك القوة التي يملكها الإمام، وأنه في الحجاز غير مقبول لأنه ليس من آل النبي والإمام يحيى من آل رسول الله، ويرى أنه أولى بحماية الحرمين الشريفين من هذا البدوي صاحب نجد الذي ليس لديه علم ولا شريعة. وقد كان الإمام ينفر الناس دائما من العرب، ويعتبر أن جميع حكام العرب ليسوا شرعيين في حين أنه وحده الخليفة المسؤول عن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فمن حقه أن يحمي مقدسات الإسلام في الحرمين. وتحت هذا التأثير دخل في حرب مع الملك عبد العزيز آل سعود. وكان الإمام يحيى يرى أن عبد العزيز آل سعود إمام غير شرعي وأنه اغتصب الحرمين الشريفين من أشراف مكة الذين كانوا يحكمون الحرمين الشريفين ومنتسبين أيضا إلى رسول الله، فولايتهم شرعية على الحرمين. لذلك فشلت المباحثات بين عبدالعزيز والإمام. وكان يظهر أن الإمام يحيى نفسه يتلاعب. وكان عبد العزيز آل سعود بدويا صريحا. ومعروف عنه الصراحة، حتى أن أمين الريحاني الذي قام برحلة إلى اليمن وإلى الجزيرة العربية زار عبد العزيز آل سعود وزار الشريف حسين في أيام حكمه بمكة والمدينة وزار الإمام يحيى. فكان يتحدث عن عبد العزيز آل سعود قائلا إنه صريح وأنه يعترف بالبساطة والجهل. ونقل عنه كلمة يقول فيها "حنا ما تعلمنا وعلى الذين عندهم علم أن يعلمونا"، بينما كان الإمام يحيى يقول (الوجه الثاني من الشريط الثامن) "قبح الله ملكا يدخل عليه من هو أعلم منه". فكان اعتداده بنفسه قويا وبأنه خليفة الله في الأرض وخليفة رسول الله، ويرى أنه أولى بالاستيلاء على الحرمين. وما اعتبر الحرب واسترجاع الحدود اليمنية إلامبررا، وإلا فكان عنده أمل بأن يسيطر على الحرمين الشريفين ويخلصهما من آل سعود. وقد بلور هذا المعنى الأستاذ الزبيري في أبيات يهجو فيها الإمام يحيى قائلا:

وداس البلاد وأخنى بها	فيا ملكا لج في بطشه
دييب اللصوص لأسلابها	ودب لأمته في الظلام
وصب السموم بأعصابها	وذر الغبار بأجفانها
تسير الخمور بأبوابها	وقال لها مصر أرض الفجور

وبغداد عاصمة الملحدين ومكة نهباً لأعرابها
وما الأرض إلا لنا وحدنا ولكنهم غالطونا بها

فتحت تأثير هذا الوهم الذي سيطر على الإمام بأنه الأحق، اتفق مع الإنكليز على هدنة ووقع معهم معاهدة لأربعين عاماً سنة ١٩٣٤ ليتفرغ للحرب مع السعودية. وحينما يفرغ من الحرب مع السعودية سيستأنف الحرب مع الإنكليز لأنه كان يقول "خذ الفروض بالعهود". فهو في حال الضرورة يهادن ولكنه حينما تزول هذه الضرورة ينقض العهد. كان هذا دأب الإمام يحيى دائماً. وعمل الإنكليز في هذه الفترة أيضاً لتحقيق الكيان المستقل في الجنوب، وظلوا يبحثون عن يتبنون هذه الفكرة من أبناء الجنوب. ولكن أبناء المحميات كانوا أشتاتاً. أعطوا لقب السلاطين ولكن مثل لقب العمدة أو لقب الشيخ وقرروا لهم مرتبات ولكن لم يكن عندهؤلاء السلاطين فكرة عن الدولة ولا يمكن أن تبنى دولة في هذه المنطقة، لأن السكان قليلون والأرض متسعة والعلم مفقود. يعني كانت مقومات الدولة مفقودة.

وكانت اليمن تمضي نحو التأخر والعزلة بمرور الأيام. وأصيب الإمام بهزائم متوالية. هزم على يد السعوديين، وهزم على يد الإنكليز. وقد أسقطت هذه الهزائم هيئته في اليمن. فظل ينكمش ولا يطمح. ونشأت فكرة الأحرار كما تحدثنا لأن اليمن أصبحت عرضة للضياع، فقد تأتي إيطاليا التي كان لها مطامع، أو قد يفكر الإنكليز يوماً باحتلال اليمن. لكن الإنكليز أرادوا أن يوجدوا هذا الكيان. فلما قامت حركة الأحرار كان أبناء الجنوب مرتبطين بها. حتى قادة الانفصال فيما بعد، كانوا من أكثر المتحمسين لفكرة الأحرار لكي تتحرر اليمن من الحكم المتخلف ويقوم فيها حكم عصري يشمل المنطقة كلها. وكان فيهم محمد علي الجفري رئيس رابطة أبناء الجنوب، والسيد شيخان الحبشي، وسالم الصافي. كل هؤلاء أصبحوا فيما بعد قادة لدعوة الانفصال. بعد قيام حركة الأحرار وقيام الحكم الدستوري عام ١٩٤٨ وقتل الإمام يحيى وسقوط حكمه، تشكلت حكومة لم يفكر الأحرار بأن يدخلوا فيها عناصر من أبناء الجنوب، بل جعلوا كل الحكومة من الشمال فقط. بعد هذا بدأ الإنكليز يلفتون نظر أبناء الجنوب إلى أن الشماليين إنما يستغلونهم للوقوف مع

الشمال، وهم حينما شكلوا الحكومة لم يدخلوا أيا منهم في الحساب. كأنهم ليسوا مواطنين. فبدأ من بعد ١٩٤٨ وفشل حركة الأحرار التفكير عند المثقفين من أبناء الجنوب بإيجاد كيان خاص بهم. أوحى الإنكليز لهم باسم براق يجلب مشاعر العرب لتدعيم هذا الكيان فأعطوهم تسمية "الجنوب العربي" ليفصلوا بينه وبين الشمال في اليمن، لتبقى اليمن محصورة في المنطقة التي يهيمن عليها الإمام يحيى إلى حدود المملكة العربية السعودية. أما ما عداها فاسم آخر لا يتصل باليمن بشيء: "الجنوب العربي". ظل الصراع حول هذه التسمية، وكان على أحرار اليمن أن يقاوموها. وقد تبنى هذه التسمية رابطة أبناء الجنوب بقيادة محمد علي الجفري وشيخان الحبشي وسالم الصافي الذين كانوا يعملون مع الأحرار من أجل تحقيق يمن واحد والتخلص من الاستعمار. تبلورت هذه الفكرة وظلوا يدعون الناس إليها. لم يقبل الإمام أحمد بهذه التسمية، وكان يرفض إذا جاءت إلى الجامعة العربية أية مذكرة تحمل اسم "الجنوب العربي" ويصر على أن تكون التسمية "الجنوب اليمني". وعند ما قام عبد الناصر طامحا باسم العروبة ليطمر على البلاد العربية باسم هذه العروبة، بدأ يقوي "اسم الجنوب العربي" ويدعم رابطة أبناء الجنوب نكايه بالإمام، غير عابئ بفصل الجنوب عن الشمال. لأن كلمة العربي كانت تلهب مشاعره دائما كشعار يطغى به على العالم العربي. اختلف الأحرار مع رابطة أبناء الجنوب، ووقع انقسام شديد بينهم. فقام مؤتمر نقابات عمال عدن بقيادة عبد الله الاصنج، والعمال الذين في عدن أغلبهم من أبناء الشمال، فكانوا يتحمسون ويطلقون على أنفسهم عمال جنوب اليمن ولا يطلقون عليها الجنوب العربي. وبدأ الصراع بين المؤتمر العمالي ورابطة أبناء الجنوب. وتبنى عبد الناصر رابطة أبناء الجنوب وظل يدعمها ويقويها. وكان الإمام يحترق. ولم تسجل الجامعة العربية في محاضرها اسم الجنوب العربي بل الجنوب اليمني. وفكر الإنجليز فيما بعد بإقامة دولة "اتحاد إمارات الجنوب العربي" وجمع السلاطين في مجلس من أجل تحقيق هذا الانفصال وإقامة الدولة. تواصل الصراع. وكان الأذكى من اليمنيين والمفكرين كلما نبهوا المصريين إلى أن هذه التسمية خطيرة لأنها تقسم اليمن قسمين كانوا يقولون "التسمية ليست مهمة. ماذا ستعملون؟ فهل أنتم قادرين على أن تفعلوا

شيئاً؟" وظلوا يدعمون رابطة أبناء الجنوب. فلما اختلفوا معها عادوا لتقوية المؤتمر العمالي ويتمسكون بالأصنج ويقاطعون الرابطة. وأنضم إلى الرابطة السلطان علي عبد الكريم الذي كان سلطاناً للحج، خرج على الإنكليز وأنضم إليهم إيماناً بالعروبة. وأخيراً أهملوا رابطة أبناء الجنوب وشدوا أزر عبد الله الأصنج. وتبلورت الحركة بتكوين جبهة تحرير جنوب اليمن. رجع المصريون فيما بعد لاستعمال اسم جنوب اليمن. بدأ عبد الله الأصنج بحركته العمالية على أساس أن تكون حركة يمنية وتحقق الوحدة مع اليمن الواحدة. وأراد المصريون للانقسام أن يتعمق فأمسكوا بقحطان الشعبي زعيم الجبهة القومية وألغوا الأصنج. وساروا وقتاً مع قحطان الشعبي الذي كان مرتبطاً برابطة أبناء الجنوب وكان عضواً في رابطة أبناء الجنوب يدعو أيضاً للفصل. وأخيراً تبنى الجبهة القومية. فشل قحطان الشعبي فعادوا يمسكون بعبد القوي مكاوي. جاءوا بالمكاوي وضموه إلى الأصنج وأطلقوا جبهة التحرير خلال هذه الفترة. والموقف يتبلور على أساس أن هناك دولة مستقلة في الجنوب في مواجهة الجمهورية التي في الشمال إلى أن جلا الإنكليز عام ١٩٦٧. فجاءت الجبهة القومية وطمرت كل الفئات ولم تقبل جبهة التحرير التي كان يدعمها عبد الناصر ويؤيدها. لأنه أيدتها انتصرت الجبهة القومية. ورأى الإنكليز أن يسلموا الأمور للجبهة القومية نكاية بالمصريين ونكاية بالوطنيين أيضاً الذين ظلوا يكافحون ضد الإنكليز هذه المدة. فتولى قحطان الشعبي وأطلق عليها جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وعنده مطمح بأنه سيستولي على الشمال أيضاً وبدأ الصراع. ولكن مصر عادت تدعم الجبهة القومية واعترفت بها. وكانت أول من اعترف بقحطان الشعبي وجمدت جبهة التحرير في القاهرة، وهي التي ظلت معها هذه المدة كلها، واعترفت بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

بدأ الشمال يتطلع لتحقيق الوحدة واستعادة الجنوب. فبعد جلاء الإنكليز من الجنوب وخروج المصريين من الشمال جاء الوقت المناسب لأن تتحقق الوحدة بين البلدين وتتحقق الوحدة الوطنية. وقد كان كل الأحرار ينادون بهذا الشعار، وأصررت الجبهة القومية وبدعيم من مصر على الانفصال لتبقي منفصلة عن الشمال باسم دولة مستقلة. والتجأ كل أبناء الجنوب: الرابطة وجبهة التحرير التي يرأسها مكاوي

إلى صنعاء مطالبين بتحقيق الوحدة. أصبح الصراع الآن بين الشمال والجنوب، وأسس الشمال مجلساً وطنياً وخصص فيه اثني عشر مقعداً شاغراً للممثلي الجنوب على اعتبار أن الجنوب جزء لا يتجزأ من اليمن وإنما الظروف التي كانت تقيد حكومة صنعاء خلال هذه الفترة ظروف خارجية تحررت الآن منها فأصبح من حقها أن تطالب بإعادة الشطر الثاني. والصراع الآن قائم. فالجبهة القومية تنادي بالوحدة ولكن بشرط أن تكون الجبهة القومية هي المسيطرة وإخراج الرجعيين وإخراج أصحاب العهد البائد، أي الوحدة بشروط الثوريين. الموقف إلى اليوم على هذا النحو. أبناء الجنوب من جبهة التحرير والرابطة مع حكومة صنعاء يطالبون بتحقيق الوحدة. والوضع الطبيعي أن تشمل اليمن عدن والمحميات وحضرموت، وأن تقوم حكومة مركزية تتألف من جميع أبناء المنطقة. ولكن الانفصال الآن يحارب بعنف. هذا ما يتعلق بالجنوب اليمني. خصصوا اثني عشر مقعداً في المجلس للجنوب. على أساس أن يعقد أبناء الجنوب الموجودين في صنعاء وفي مناطق الجنوب مؤتمراً وطنياً لينتخبوا اثني عشر عضواً من النواحي المختلفة في الجنوب ليمثلوا الجنوب في المجلس. وما تزال المقاعد شاغرة الآن.

س - اخبرنا عن القبائل وتأثيرهم في توجيه السياسة والحكم؟

ج - لا تزال القبائل في اليمن في أكثريتها، مع طول العزلة اليمنية التي ضاعفها الإمام يحيى بحجة حماية البلاد من الاستعمار، على فطرتها الأصلية، تعيش عيشة بسيطة في قمم الجبال في القرى والأودية. وتعيش هذه القبائل في الشمال مسلحة. ما إن يصل الطفل إلى سن الحادية عشرة حتى يتدرب على حمل السلاح. وجند الأئمة هذه المناطق في الشمال حيث القبائل الزيدية لتكون دائماً تحت سيطرتهم ليحموا بها البلاد ويجاهدوا بها في سبيل الله. كانوا دائماً يطلقون عليهم لقب "المجاهدين في سبيل الله". يمنحهم الأئمة هذا اللقب. إنها تعيش عيشة بسيطة، لا يكاد يوجد التعليم بينهم، بل هو محصور في مدن معروفة مثل مدينة شهارة ومدينة صعدة والمناطق التي عاش فيها الأئمة الزيدية، يعلمون فيها الفقه الإسلامي في حدود القواعد الشرعية وشيء من قواعد اللغة العربية إلى درجة محدودة ليخرج منهم القضاة الذين يفصلون في خصومات الناس وبعض الذين يفقهون الناس

في أمور دينهم. أما القبائل فتكاد تكون أمية لا تتعلم. ويوجد في كل قبيلة فقيه من أجل عقد الزواج والتعليم، ويعتمدون في عيشتهم البسيطة على ما تزرع الأرض وما يربون من الحيوانات والمواشي ونحو هذا. ويعتمدون على ما يأتي من الخارج من أقمشة وملابس بسيطة. وكان الغالبية يلبسون اللباس الأسود المصبوغ بالنيل الأسود. وكانت توجد منطقة في زبيد لصناعة هذه الثياب تسمى المصابغ، يصبغون القماش الأبيض بنيل أسود لتلبسه القبائل في اليمن. ويشدون على هذا القميص، ولا يضعون تحته أي شيء بل يتأزرون ويشدون الوسط بالخنجر ثم بحزام محشو بالرصاص ويحملون البندقية ويضعون على رؤوسهم قطعة من هذا القماش مصبوغة بالنيل حتى أن اللون النيلي يسيل مع العرق على وجوههم وأجسادهم التي تكون مغطاة أحيانا بهذا النيل. ويعتبر هذا عنوان الرجولة. يمشون حفاة. والذي يهم هو البندقية. وإلى جانب البندقية كيس النوم، ويكون هذا الكيس دائما مشدودا إلى ساعد الشخص. حينما يصل إلى أية محطة للنوم يفتح الكيس ويدخل فيه بملابسه وبندقيته ويربطه من الداخل وقاية لنفسه من القمل. يعيشون بهذه العيشة البسيطة، يحرثون الأرض بالثيران ويزرعونها بما تمطر السماء. لأن مواسم المطر منتظمة في اليمن، وبعض المناطق توجد فيها وديان مستمرة لكنها لا تستثمر. وهناك مناطق توجد فيها حضائر العنب، في جهات صنعاء وفي خمر وفي مناطق متعددة من الشمال. يقتاتون قوتا بسيطا. ووجبات الطعام عندهم في الصباح وفي المساء. أما بعد الظهر فيتناولون قطعة من الخبز، ويسمى الروات أو يقال له غواث. ويتناولون في الصباح العصيد، وهذا أكثر انتشارا ومن السهل تحضيره وطبخه. إذ يخلط الدقيق بالماء الفائر حتى ينضب ثم يجف منه الماء ويصب عليه أما المرق إذا كان قد ذبحوا أو يصب عليه اللبن أو الحليب ويوضع عليه السمن. ويتناوله أهل البيت من الإناء الواحد متحلقين حلقة واحدة. هذا غذاؤهم. ويتناولون أيضا قهوة القشر، وهو غير الصافي الذي في داخل حبة البن. ويصدر الصافي إلى الخارج لأن البن له قشر وله نواة. فالنواه هي التي تصدر إلى الخارج أما القشر فيحتفظون به ويغلونه على النار ويتقهوون به. وهذه قهوة منتشرة وطيبة جدا ولذيذة حتى أن فيها بعض الحلاوة لا تحتاج إلى السكر، ومنتشرة في اليمن. ويقولون إنها

أفضل من النواة لأن البن الخالص يحدث تيبسا في المعدة. وعندهم أن قهوة القشر ملين، ولذلك تعد القهوة المفضلة والمنتشرة عند القبائل.

المعيشة كما تحدثنا بسيطة. وواجبات المرأة عندهم أن تقوم بشؤون البيت. وأحيانا تقوم المرأة في المناطق الشمالية عند القبائل بكل شيء حتى أنها أحيانا تحمل السلاح والخنجر في حين يكون الزوج مجندا يقاتل في سبيل الله مع الإمام. ولا تقبل هذه القبائل على التجارة وعلى الأعمال المهنية، بل حرفة القتال والقتال. وكان الأئمة والحكام يعتمدون إلى حد كبير على هذه القبائل الشمالية. وأشهر القبائل المحاربة في اليمن حاشد وبكيل. وتسمى الجناحين.

س - من أكبر قبيلة؟

ج - يمكن ان يبلغ عدد هاتين القبيلتين ما يزيد على المليون، لأن كل قبيلة من القبيلتين الكبيرتين تحتوي على عدة قبائل. وهناك قبائل متعددة. مثلا خولان، وأرحب. أسماء القبائل متعددة ولكن يجمع هذه القبائل كلها تسمية حاشد وبكيل، وتسميان الجناحين لأنهما جناحا صنعاء على اليمن والشمال وتحيط بصنعاء. وتكاد أغلب القبائل في الشمال تنتمي إلى حاشد وبكيل. وتتفرع كل القبائل منهما. حاشد تتفرع إلى عدة قبائل وبكيل تتفرع إلى عدة قبائل وكل قبيلة لها اسمها.

س - من يتولى رئاسة القبيلة؟

ج - شيخ القبيلة يصبح هو الحاكم للقبيلة. يحتكمون إليه بالوراثة. ولهذا يصبح ابن الشيخ شيخا وابن القاضي قاضيا ولو كان لا يعمل بالقضاء. إذ تتسلسل بيوت القضاة مثل بيت العمري، وبيت الإرياني. وكذلك المشائخ: مشائخ أرحب، ومشائخ حاشد، هؤلاء المشائخ بالوراثة، يصبح أكبر ولد في أسرة الشيخ شيخ القبيلة. عندما يموت الأب يكون أكبر أولاده شيخ القبيلة، يحتكمون إليه. وتتصل الدولة بالشيخ. فإذا أرادت أن تجند محاربين تتصل بالشيخ وتقول نريد أن تجند لنا من القبيلة مئة شخص مثلا، يختار حالا هؤلاء المحاربين ويصدرهم ويتركهم فترة مع الإمام ثم ينقلهم إلى أشخاص آخرين، وحينما يكملون دورهم يذهب أشخاص آخرون. ويصبح للشيخ بيت مشهور وديوان يأتي الناس إليه ويأكلون عنده الطعام

ويكون هو باعتبار كرمه. يكون الشيخ سخيا وكريما. وابن السبيل الذي يمر يأوي في بيت الشيخ وكذلك الفقير والبائس. وإذا جاء ضيوف أو عابرون ينزلون في بيت الشيخ. وإذا أرسلت الدولة جنودا إلى هذه القبيلة يستقبلهم الشيخ. يكون الشيخ بمثابة حاكم البلدة. ولا تزال هذه التقاليد مرعية. والمشائخ هم الذين يفصلون في الخصومات.

س - هل يكون بيت الشيخ كبيرا؟

ج - يزيد بيت بعضهم عن خمسة أدوار. ويبنى البيت في قمة جبل وله ديوان واسع يجتمع فيه الناس ويفترشون الأرض. لأنه لا يوجد عندهم مقاعد. يتوسطهم الشيخ، وعندما يأتي الضيوف توضع نار جيلة (مداعة) أمام كل مجموعة من الناس. والقات الذي تحدثنا عنه يطرح أيضا أمام الشيخ. ويوزع من الأغصان للمجتمعين عنده. كذلك إذا قامت وليمة أو عرس وجاء ضيوف إلى هذه القبيلة ينزلون في ديوان الشيخ. وهو ديوان بسيط مفروش على الأرض. فيكون في ديوان الشيخ الطويل الحجارة المطروحة لوضع المرفق عليها والاتكاء، لأن العادة في المتكأ أن يجلس على فخذه الأيسر ناصبا الساق اليمنى وواضعا مرفقه الأيسر على الحجر ومائلا برأسه على كتفه الأيسر. هذه هي الجلسة المعتادة. ويكون كل واحد ملاصق للآخر. ويمتد المجلس إلى مئة أو مائتين شخص ومقابلهم كذلك، وتوضع النارجيلة في الوسط وتمد القصبة فيشرب هذا ويمدها للثاني والثالث وكل واحد يأخذها من يد الآخر. هذا في مجالسهم عندما يقضون الوقت في أحاديثهم وفي الأخبار والقصص والروايات. وإذا جاء فقيه القرية يجتمع بهم ويقرأ لهم من كتاب أو يحدثهم إلى أن يحين موعد الصلاة يقومون حالا لأداء الصلوات الخمس وقت الظهر، ووقت العصر، ووقت المغرب ووقت العشاء ووقت الصبح. وعندما يحدث خلاف بين قبيلتين، يتصدر مجموعة للصلح. وخلال هذا الصلح تتحر الذبائح ويأتي الضيوف من القبيلتين ويجتمعون على الذبائح ويتعشون وتقوم النساء بطبخ الطعام وتحضيره. ويشتمل الطعام على الخبز من القمح. توضع الأرغفة في أوعية كبيرة ويصب عليها (بداية الوجه الأول من الشريط التاسع) السمن والعسل في الجفان التي تحوى الأرغفة المستديرة الكبيرة من القمح. كما أن اللحوم أيضا توزع في جفان بحلقات

متعددة وتسمى حدره. يتحلق كل جماعة حول جفنة من هذه الجفان. ويسمى مقلا أحيانا أو المقلة. وبعد أن يفرغوا من العشاء ويتسامرون تحل المشاكل فيما بينهم. وقد يأتون بفقير من الفقهاء ليكتب وثيقة صلح تصبح قاعدة، ويسمون لها قاعدة فيما بينهم.

وتختلف القبائل فيما بينها وتقوم الحروب. ولكن إذا اعتدت قبيلة خارجة عنهم عقدوا الهدنة فيما بينهم وظلوا يحاربون الأخرى على قاعدة أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب. ويستتصر الأئمة دائما بهذه القبائل سواء للحروب فيما بينهم أو لمد سيطرتهم ونفوذهم إلى الأماكن الأخرى. لأن اليمن كانت عرضة للغزو الخارجي. والذين يرحبون بالغزو الخارجي هم الشوافع الذين يحسون باضطهاد الزيود لأن الزيود قبائل محاربة متمرسة على القتال، وهؤلاء أصحاب زرع يربون الحيوانات ويزرعون الأرض ويتجرون. فروح الحرب مفقودة عندهم بخلاف أولئك القبائل.

س — هل عند الشوافع سلاح؟

ج — حتى وإن وجد. فإنهم لم يتدربوا على القتال، وباعتبار أنه لم توجد حكومة شافعية في اليمن بحيث يصبح لهم سلطة، بخلاف القبائل الزيدية في الشمال من حيث أن الأئمة عاشوا بينهم وأوجدوا الحكم فيهم، فأصبحوا معدين أنفسهم كأنهم مجندين تحت السلاح. فالقبائل تعيش محترفة للحرب وتمارس الحرب دائما. ليس القبائل في اليمن فقط. بل أذكر أن عبد الرحمن عزام باشا، أول أمين عام للجامعة العربية، حدثني عن القبائل في ليبيا فقال: "أيام حرب الطليان كانت القبائل تجند نفسها للقتال أناس مع الطليان وأناس مع المقاومين للطليان، فتدخلنا للصلح وتهدئة حال القبائل من الحروب وتسكين هذه التأثيرات. وفوجئت ببعض مشايخ القبائل جاءوا إلي يسلمون علي ويحيوني فظننت أنهم يشكروني على حل المشاكل، وإذا بهم يقولون أنت رجل ابن ناس وتحب الخير للناس، نترجاك أن تبحث لنا عن فتنة نعيش منها". فالقبائل دائما ترتزق بالحروب وبالغنائم. وحتى في صدر الإسلام، يوجد ذكر للغنائم لاستتفار الناس للقتال. (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله

خمسه وللرسول). إذا استولوا على بلد كوفئوا بالغنائم والمكاسب. هذه طبيعة القبائل المحاربة. ويسمونهم المرتزقة لأنهم يرتزقون من الحرب. وبعض الشعراء الأقدمين يصور طبيعة بعض القبائل فيقول:

إذا نحن زدنا في عطايا قبيلة لكف أذاها زاد فينا انتقامها
هي النار أن أضرمتها وعطاءنا لها حطب إن زاد، زاد ضرامها

لا تشبع ولا ترتوي. تبحث دائما عن فتنة تعيش منها، أو عن أي حرب. لم توجه هذه القبائل الزيدية التوجيه الحسن لتزرع الأرض وتستغل منابع المياه وتستثمر هذه الثروة. كان الأئمة يحتاجونها دائما لتطيعهم طاعة عمياء، ويظلون جهلة غير متعلمين، حتى أنهم ينكرون تعليم القبائل ويقولون "القبيلي ليس للتعليم، ولكن علمه استخدام البندقية ليقاقل". لذلك ظلت القبائل على هذا الوضع. وحينما بدأ الأحرار دعوتهم، كانوا يدعون لنشر العلم والثقافة والتعليم، ولكن ليس بنفس الحماس في دعوتهم لتغيير الحكم. وكانوا يرون أن تغيير الحكم سيؤدي إلى حضور هذه القبائل وقد ينشر فيها النور والثقافة. فجاءت التيارات الجديدة من هذه القبائل معتادة على العزلة. وحينما قامت الثورة الأخيرة وجاء الغزو المصري، انقسمت القبائل قسمين: قسم يقاتل في الجانب الملكي وقسم يقاتل في الجانب الجمهوري، وتيسر لهم فتنة يعيشون منها. وجاءت مغريات كبيرة في هذه الفترة. جرت بين أيديهم مئات الألوف من النقود وهم كانوا يقاتلون مع الإمام بخمس الريال أو بعشر الريال. أصبح الشيخ، الذي لم يكن يجد من الإمام إلا مئة ريال في السنة أو في السنتين، يأخذ مئة ألف ريال شهريا من يد المصريين ويأخذ من السعوديين عشرات الألوف من الجنيهات الذهب. ولهذا استمرت الحرب ست سنين.

س - أهذا ما شجع على قيام الحرب واستمرارها؟

ج - نعم. كان هذا مما شجع على الحرب. لأنهم يعيشون منها. والقبائل إلى الآن لم تتفتح عقولها للعلم والمعرفة. والسبب أن اليمن تخلّفت كثيرا. وكما ذكرت لكم، في أيام الحرب بين الإمام يحيى وبين الأدريسي كانت القبائل تنقسم قسمين: قسم يقاتل مع الإمام وقسم يقاتل مع الإدريسي. فكان الكثيرون يتدرون عليهم

ويقولون إن دعاءهم "الله ينصر الإمام إلى النصف، وينصر الإدريسي إلى النصف". وكنا في أيام الحرب في اليمن نتندر ونقول "اللهم أنصر الجمهوريين إلى النصف والملكيين إلى النصف". هذا منطق القبائل. لأنهم يعيشون على الحرب ولم يهتدوا إلى مهنة يعيشون منها. وقد بدأ الآن أبناء القبائل بالخروج إلى الخارج، وبدأ بعضهم يفتتحون ويخرجون إلى مصر وإلى العراق وإلى سوريا وإلى أوروبا أيضا ويتعلمون. محسن العيني من أبناء القبائل أصبح وزير الخارجية والآن مندوب اليمن في الأمم المتحدة. وكثير من أبناء القبائل أصبحوا سفراء، وهنا يوجد السفير علي المطري من بني مطر من أبناء القبائل. بدأ التعليم ينتشر ولكن ليس بدرجة واسعة. ما يزال التعليم محصورا في المدن، وأبناء القبائل الذين دخلوا المدن تعلموا وتفتحوا وخرجوا إلى الخارج. وحينما نشأت حركة الأحرار في مصر عملنا لنشر التعليم. وأنا باعتبار أن مهنة التعليم كانت شاغلي منذ الصغر كما استعرضنا في الحديث، أصبحت أدعو اليمنيين في مهاجرهم إلى أن يعتنوا بالتعليم. فكانوا يبعثون أولادهم ليتعلموا تحت إشرافي في مصر. وانصرفت خلال فترة تجميد نشاطي السياسي للإشراف على الطلاب اليمنيين، استقدمهم من المهاجر ونطلب لهم منح تعليمية. وهؤلاء الذين كنا نعني بتعليمهم اعتنقوا الحزبية فأصبحوا حربا علينا، يحاربوننا ويرون فينا أعداءهم. كيف نقنعهم، وكيف نصنع بهم.

أخيرا خرجت من القاهرة عام ١٩٦٠ وقمت برحلة إلى المغرب العربي، ليبيا وتونس والمغرب والجزائر، وفي هذه المناطق مهاجرون يمنيون. فكنت ألقت أنظارهم إلى التعليم حتى يعودوا إلى بلادهم وعند آبائهم شيء من الثقافة. ذهبت لأول مرة إلى بريطانيا لأزور المهاجر اليمنية، ووجدت اليمنيين عبارة عن عمال غير متعلمين. لفتنا أنظارهم إلى أنهم يشتغلون بهذه الآلة وهم يجهلون. البعض يصابون بدون علم من ضرب التروس لهم، والبعض تبتز أيديهم في المصانع عن جهل. جعلني هذا أقتنع اقتناعا تاما بأنه لا سبيل لتحرير بلادنا إلا بالعلم. ورجعت من بريطانيا لا إلى مصر، بل إلى عدن، المهجر الأول الذي انطلقت منه حركة الأحرار. وحينما جئت إلى هناك استقبلني اليمنيون وانتظروا أن أنشط حركة الأحرار من جديد. وجدت مجموعة عندهم روح ثورية، فقلت لهم دعونا من كل

شيء. العلم، ولا سبيل غير العلم. طريقنا الآن تعليم اليمنيين. أبناء اليمن الموجودون في عدن يعتبرون أجانب وليس لهم حق دخول المدارس الرسمية، مع أن في عدن ما يزيد على مائة ألف من أبناء الشمال، البعض يعملون في المصانع، وآخرون في المتاجر والبعض يقيمون الأبنية التي تشيّد كلها على أيديهم. وجهنا لهم دعوة لتأسيس كلية وسميناها "كلية بلقيس". وقلنا لهم دعونا من النشاط باسم الحركة الوطنية. الحركة الوطنية الحقيقية أن تعلّموا أولادكم. أقبلوا على هذه الدعوة وتبرعوا بالأموال. قلت لهم أنا لا أنفي عن نفسي التهمة، تهمة سرقة أموال الحركة الوطنية. وجهت نداء قلت فيه: "إني لا أقبل أي نقود. فكل من يريد أن يقدم أية مساعدة فليقدمها إلى اللجنة التي شكلت لبناء كلية بلقيس". وإذا بالكلية تقام وتبنى في الشيخ عثمان في عدن. واتسعت، وبلغ عدد الطلاب فيها من أبناء اليمن ٤٠٠٠ ذكورا وإناثا، لأنها كانت مختلطة، من سنة ١٩٦٠ إلى أن قامت هذه الجمهورية الشقية وإذا بها تحارب هذه الكلية. لماذا؟ لأنها من أبناء الشمال وأساتذتها من أبناء الشمال، تعميقا للانفصال. وكان عميدها حسين علي الحبشي، ومديرها محمد أنعم غالب الذي تخرج من القاهرة من كلية الحقوق، ودرس الدراسات العليا في أميركا أيضا حيث حصل على ماجستير في "الحكم في اليمن كعائق لتطور الاقتصاد". قدم الرسالة بالإنكليزية. رحل هؤلاء إلى الشمال، فأصبح محمد أنعم وزيرا للاقتصاد وحسين علي الحبشي عميد كلية بلقيس سابقا نائبا لرئيس الوزراء للشئون الخارجية. أقبل الناس على هذه الكلية، وزودت بالكتب من البلاد العربية. وأقبل عليها الطلاب اليمنيون، وبدأت دعوة العلم تنتشر. ثار علي المتحمسون والثوريون لأنني طعنت الثورة من الخلف، وأنني خذلت الكفاح بدعوة العلم.

الآن بدأ القبائل في اليمن يقبلون على الزراعة. انتشر من أبناء القبائل أناس مثقفون ينشئون جمعيات تعاونية زراعية، ورصدوا لها في الفترة الأخيرة مبالغ كبيرة. من الذين كانوا يحاربون الجمهورية مع الملكيين الشيخ قاسم منصر من أكبر قادة الملكيين، انضم إلى الجمهورية، وأسس جمعيات تعاونية لشراء مضخات وإنشاء مزارع نموذجية. وبدأت المزارع تنتشر. وبدأ القبيلي الآن يلتفت للزراعة لأن المياه متوفرة والأرض خصبة. هذه فكرة عن القبائل.

اليهود في اليمن. اليهود بحكم الشريعة الإسلامية لهم عهد في ذمة المسلمين. ولهذا يقال لهم ذميون. اليهودي يقال له ذمي، نسبة لحفظ الذمام وهو العهد. عندما يقول العرب فلان يحفظ الذمام يعني يحفظ العهد. فاليهودي باعتبار أنه في ذمة المسلمين يعد في حمايتهم. وقد عاش اليهود في اليمن تحت رحمة المسلمين، يحمونهم، ومن العار أن يمس اليهود لأن اليهودي ضعيف، ويعتبر مستضعفا ذليلا، وهو مستذل ويدفع ضريبة تسمى جزية، استمدوها من الآية القرآنية "حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون".

س - وهل ينطبق ذلك على المسيحيين؟

ج - لا. لأنه جاء في القرآن "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، ولتجدن أقربهم مودة الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون". هذا ما وصف به القرآن المسيحيين. فالعلاقة باليهودي أنه ذمي واليهودي عدو الدين. يعني أن المسلمين مشبعين بعداوة اليهود. إلى جانب عداوة هؤلاء المسلمين الجامدين مع أن الإسلام يتعامل بالرحمة وبالمواثيق وبالعهد، لكن في أيام الجمود اقتبس بعض العلماء الجامدين من الإسلام بعض التعاليم وأنكروا بعضها. كما جاء في القرآن "يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض". فأخذوا النواحي المتشددة وتركوا النواحي المتسامحة، مع أن النبي كان دائما يحض على اللين ويقول: "بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، يسروا ولا تعسروا". حتى أن رجلا جاء إلى الرسول وقال له: "يا رسول الله، إني أحب الزنا". فهاج بعض الصحابة وقالوا "دعنا نقتله". قال لهم: "كلا. دعوه لي". فدعاه الرسول إليه وقال له: "أتحب أن يزني بأمك؟" قال: "كلا". ثم قال له: "أتحب أن يزني بأختك؟" قال: "كلا". فقال: "وهكذا الناس لا يجبون أن يزني بأقاربهم". ثم قال: "اللهم اشرح صدره، وحصن فرجه، وطهر قلبه". ويقال إن هذا الرجل لم يفكر بالزنا قط من بعد تلك الدعوة النبوية. تأثر بها كثيرا. لم يكن التشدد واردا في الدين حتى أن الله يقول في القرآن "لا إكراه في الدين". يجب أن تكون الدعوة باللين. فكان اليهود في اليمن يسمون ذميين، ومفروض عليهم أعراف مثل أن تكون بناياتهم منخفضة. وإذا مر وقابل المسلم في الطريق فلا يمشي عن يمينه بل عن يساره أدبا. وأذكر أن يهودي

في عدن وجدني، وهم متحررون في عدن وكان معروفا من قرينتا، فمر ورد علي التحية وصبح وقال هنا لا يوجد "يسر يا يهودي"، يعني امش على اليسار، بل يمشون بكامل حريتهم. عاش اليهود موزعين في اليمن. وبلغ تعدادهم حوالي خمسين ألفا.

س - ماذا كانت صناعتهم؟

ج - الحلّي للنساء من صناعة اليهود، الأخراص، الأساور وتسمى "الطفية" و"السوار" و"الشولي" و"الفرد" ما يوضع على رجل المرأة أيضا. كانوا يصنعون الحلّي للنساء والأدوات النحاسية المنزلية. كانت كل المهن تقريبا في أيديهم، يصنعون عقود الجص والزجاج لنوافذ البيوت. وكانوا عنصرا نشيطا متواجدا في كل مكان. يصنعون أيضا الخواتم، والأقراط للأذن، وتسمى "الأخراص"، "الطفية"، و"الدلاج" شيء من الفضة يوضع على ساعد المرأة. والفرد على رجل المرأة ويجعل له البعض أجراسا عند النساء حينما يرقصن أو في الحفلات. وكان اليهود يدفعون الجزية ومتحبين للأهالي ويعطف الأهالي عليهم ويحمونهم. ومن العار الإساءة إلى اليهودي. ولهم يوم السبت عادات وتقاليد يحيونها. وكنا نذهب ونحن صغار إلى القرى نتأملهم وهم يصلون. وكانوا يشربون الخمر من عصير الشعير ونعتبر أن هذا الخمر لهم مباح ومحرم على المسلمين. فكانوا يعيشون عيشة في أمان وسلام ولكنهم في ذل ليس لهم حق. لكنهم أغنياء. عندهم الثروات وبدأوا بخاصة في صنعاء يمتهنون التجارة. وعندهم النسيج والخياطة. فكانوا عنصرا نشيطا في اليمن إلى حد كبير، إلى أن اقترب جلاؤهم من اليمن حينما قاموا بإخراج اليهود إلى فلسطين. فقد ساعدت الحكومات العربية في احتلال فلسطين، فكان الغرب يسوقهم من هناك والعرب يسوقونهم من مدنها ويصدرونهم إلى فلسطين. وكان العرب حينما هجروهم إلى فلسطين قد أباحوها لهم ضمنا لتكون وطنهم القومي ووطنهم الأصلي، عن جهل ولم يحسبوا لما يحدث اليوم. وهم يقولون اخرجوا اليهود من جزيرة العرب، كيف نخرجهم وأنتم صدرتموهم إلى فلسطين. ولكن كما يقال إن العرب لا يعقلون ولا يفكرون. عاش اليهود في اليمن إلى أن تم جلاؤهم من بعد كارثة فلسطين. قبل الكارثة بوقت قليل بدأوا يخرجون إلى هناك

باسم أن هذا انتقام لهم. البعض اعتقد أنه يساعد فلسطين بإخراج اليهود من بلاده. أخرجوهم من اليمن إلى عدن، وكان لهم في عدن وكالة يهودية. وكان اليهود في عدن من أنشط العناصر في التجارة والوكالات والأعمال. وقد تولوا إرسال اليهود إلى فلسطين بالطائرات والبواخر.

س — هل يوجد بعد يهود في اليمن؟

ج — كلا. لا يوجد ولا يهودي إطلاقاً.

س — ومن النصارى هل يوجد عدد كبير في اليمن؟

ج — كلا. لا يوجدون.

س — هل ممنوع أن يذهبوا إلى هناك؟

ج — كلا. ليس ممنوعاً. ولكن لا يوجد نصارى من الأصل في اليمن. لم يكن هناك إلا اليهود والمسلمين.

س — ولكن قديماً كانوا ممنوعين أن يذهبوا إلى هناك؟

ج — كانوا ممنوعين ليس على أساس أنهم نصارى إنما أجانب من الخارج، يعني من النصارى المستعمرين في عهد الإمام يحيى.

س — هذا بالنسبة للأجانب ولكن أكان مسموحاً للنصارى العرب بدخول اليمن؟

ج — لم يكن يوجد نصارى في اليمن، كان يوجد نصارى في نجران في الماضي، لهم معابدهم ونجران هذه تابعة الآن للمملكة العربية السعودية. وكان هناك معقل مسيحيين حتى من قبل قصة أصحاب الأخدود أيام النصرانية، لأنه كانت توجد دولة يهودية في اليمن قبل الإسلام، فكانوا في صراع مع النصارى في معقلهم في نجران. فلهذا أحرقوا النصارى. وبعد هذا جاء الأحباش ليخرجوا اليهود ويحاربوا الحكومة اليهودية في اليمن بسبب إحراقها للنصارى. ولكن في عصر الإسلام وفي العصر الحديث لم يوجد أي نصارى في اليمن.

س - اخبرنا عن المرأة في اليمن؟

ج - كما تعرفون أن في الإسلام للرجل مثل حظ الأنثيين. أي المرأة نصف الرجل. ليست كالرجل تماما. وكانت دائما تعتبر عارا، يعني يريد الإنسان أن يستر نفسه فيقول هذه عار الإنسان فكيف يسترها ويخفيها. لا يدعها تظهر على الآخرين. لا تظهر إلا على أقاربها. هذه طبيعة المرأة في بيوت الأسر الكبيرة والمحافظين. سيكون حديثنا عن المرأة العادية والمرأة التي في بيوت الأسر. فالمرأة في الأسرة، ينبغي أولا أن لا تظهر على أحد إلا على زوجها وعلى أقاربها، حتى من كانوا من الأقارب ممن يصح له الزواج بها لا تظهر عليه. لا تظهر إلا على المحارم الذين حرم زواجها منهم. أما من عداهم فيجب أن تستر نفسها عنهم. تنشأ في رعاية أمها داخل البيت، وتتدرب على المهنة داخل البيت أيضا. تكنس البيت، وتعد الطعام، وتتعلم الخياطة بقدر ما تستطيع. وتظل في هذه الحدود. حتى القراءة لا تتعلمها إلا في حدود. أي تحفظ شيئا من القرآن يساعدها على الصلاة. لأنها مكلفة أيضا بالصلاة مثل الرجل. وحينما تقترب من سن الزواج يعني حوالي ١٢ - ١٣ سنة، وأحيانا تخطب وسنها دون العاشرة، لا تختار هي الزوج، بل تزوج على الرجل الذي يرغب أبوها بزواجها منه. حتى الولد أحيانا يختار له الأب زوجته. مثلا يكون له صديق أو قريب أو يعرف أنه من بيت محترمة يحاول أن يشد علاقة الصهارة بينه وبين هذه الأسرة بأن يزوج ابنه منهم. ولا يكون للبنت رأي في هذا الزوج ولا للولد. مثلا تخطب وسنها دون سن الزواج. والآن سوف ندخل في قواعد الزواج. عندما تخطب هذه المرأة يأتي الخطيب إلى الأب وفي الغالب لا يأتي الخطيب بنفسه، وإنما يأتي أبوه وأمه، فالأم تدخل إلى المرأة والأب إلى الرجل. وأحيانا يحملون معهم كبشا ويتضيّقون ويحملون معهم الحلوى وهدية. فإذا قبلت الحلوى والهدية كان ذلك دليلا على أن الزوج مقبول. وأحيانا يقول بعضهم ترجع الهدية لأنهم غير قابلين الزواج أو لأن ابنتهم غير صالحة للزواج أو أنهم لا يرغبون في زواجها أو أنها خطبت لشخص آخر و ليس عند الخاطبين علم بذلك، فترجع الهدية. حينما يصل الخاطب يتضيّف ويكلم الرجل أما تعريضا أو يفهم أنهم جاءوا للخطبة يكون قد تناقل الناس الخبر أو ترمى إلى مسامعهم أن

الرجل قادم من أجل الخطبة، فيتوافقون ويقول موافق تلميحاً، أو يكشف أنه يريد خطبة البنت لأبنه فيرد عليه. تمضي فترة الخطبة وقد يتم الزواج في نفس الليلة التي تمت فيها الخطوبة إذا وافقوا. وإذا كان الزوجان قابلين للزواج يتم الزفاف. ماذا يقدم لهذه المرأة؟ الملابس. يشتري لها طاقة مصبغ يسمونه لامع من النيل وبجانبه المقرمة التي تلف على رأسها والمصر ما تطوي به الشعر. ويوضع من تحت المقرمة، أولاً المصر: ويكون ملاصقاً للشعر يشده ويعقد من الخلف. وتكون المقرمة فضفاضة تغطي المصر وتلف على الرأس كاملاً. ويقدم للمرأة "الطفية" الحلي والخاتم والعقد المرجان أو عقد يكون فيه ريات فضية، والأخراس. يقول أبو المرأة للزوج أنا أطلب كذا وكذا وكذا، ويسمي الحلي والملابس وهديّة الأم وتكون نوعاً من الملابس وحذاء لأنها ستلبس الحذاء الآن وهي عادة تمشي حافية. فتقدم كل هذه الأشياء.

وتسبغ البنت يديها بالحناء وتتقط. ويوجد عندنا طائفة سيأتي الحديث عنها وهي طائفة الأخدام. من الطبقات في اليمن طبقة الأخدام وطبقة الحلاقين المزينين. وهي من الطبقات الوضيعة عندنا في اليمن لا يمكن أن تتزوج بنت مزين ولا يمكن تتزوج بنت الخادم وطبقة الأخدام أحط من المزينين. فتأتي الخادومات يضربن الدفوف ويغنين عليها أغاني متعارفاً عليها في اليمن. يزفون العروسة في بيت أبيها. تغتسل وتلبس وتخضب بالحناء، وتضرب الدفوف وتظل النساء يرقصن على نقر الدفوف التي تقوم به الخادومات. بعد هذا تحمل المرأة. ولكن إن كان البيت قريباً تمشي مشياً والأغاني تردد على ضرب الدفوف والتعاويذ من الجن والشياطين. ويطلقون البخور بنوع يسمى الفارئة. وهذا نوع من البخور يبخر به لأنه يطرد الجن. ونوع من الشجر يسمى الشذاب أيضاً يطرح في النار من أجل أن يطرد الجن. لأن العروس دائماً عرضة لأصابة الجن واصابة الشياطين فيحيطونه بالتعاويذ وبهذا البخور. وتزف العروسة إلى أن يصلوا بها عند الزوج. يكون الزوج قد خلا في مكان وفي خلوة مفروشة وهو متكئ، فعندما يقدمون بالعروسة ينهض ويمسك الزوجة بناصيتها ويدوسها على قدمها، لماذا؟ حتى يكون غالباً عليها وتكون تحت إمرته، خوفاً من أن تدوسه هي، لأن بعض النساء تكون سريعة تدوسه

فيصبح هو تحت رحمتها كما يعتقدون. لهذا يبادر حالا ويدوس على قدمها. وعند ما تدخل النساء إلى البنت يغطين وجهها بالمقرمة ويقفن لها "حرمتي على فلان ابن فلان" يعني أصبحت "حرمة" له أي زوجة، تفاجأ وتبكي حينما يفاجئونها بهذا الكلام ولكن بكاء الفرح. فيغشون وجهها ويظل وجهها محجوبا لا يراها الزوج الذي يصل ويمسكها ووجهها مغطى، ويمسك على ناصيتها ويدوس رجلها ويدخلها لتجلس خلفه. ويبقى هو متكئا واضعا مرفقه الأيسر ورأسه على منكبه ويضع رجله وساقه على الأرض، وينصب الرجل الثانية وهي خلفه مغطى وجهها بالمقرمة، لا يمكن أن تكشف وجهها إلا بعدما يخرج الناس ويخلو هو بها. ثم لا تكشف وجهها حتى يدفع لها مبلغا من المال. والمبلغ الذي يعطى يسمى الرضوة. قد يكون عنده نقد أو حلية يعطي لها من أجل أن تكشف وجهها. وأيضا أرش البكارة حينما يأتيها وهي بكر. هذه تعتبر جناية لا بد أن يدفع الغرامة، الفقهاء يسموها "الصباحية" وهي لإصباح الرجل على زوجته. وفي لغتنا العامية يسمونها "الرضوة" وهي استرضاء الرجل لزوجته لأنها لا ترضى أن تستسلم له حتى يدفع لها مبلغا من المال. وحينما يدفع هذا المبلغ تمكنه من نفسها وإلا فهي مشدودة. لأن المرأة هناك تلبس السروال الطويل ولا يمكن أن يفتح إلا بهذه الطريقة. فمن الفكاهة أو النكت التي يتتدرون بها، أن رجلا زوج أبنة وكان الابن ضعيفا غير شجاع، وجاءت الزوجة إليه ولم يمسه، فاصبح أبوه يسأله: "هل آتيت زوجتك؟" قال له: "كلا". ولماذا؟ كان الولد خجولا لم يستطع أن يصنع شيئا وكانت المرأة أقوى منه. أجاب: "لم تقبل". قال له: "خذ الخنجر وقطع السروال". قال الولد: "أقطعه حتى ولو كان في النافذة؟" — لأنها أحيانا تنزع السروال وتضعه في النافذة — قال له: "يا أبله إذا كان في النافذة فما حاجتك لذلك." وهذا دليل على أن المرأة تتمنع وتتعسر ولا تقبل أبدا إلا بأن يدفع لها مبلغا من المال. وأحيانا يلقي أهلها في أنها أن لا تكشف له الوجه ولا تمكنه من نفسها إلا بأن يدفع مبلغا من المال. وتذهب هي بسذاجتها، وإذا كانت راغبة تقبل دون طلب المال حسب الاتفاق مع أهلها. إذا، يوم العرس يستلمها بعد أن يقيموا وليمة ويظل معها وتظل الخاديمات يضرب بالدفوف والنساء يرقصن على إيقاع الدفوف، ثم يربطون حبالا في المكان يجلس خلفه الزوج و الزوجة من زاوية

إلى أخرى، ويسدلون ستارا يحجب الزوج والزوجة عن أعين الآخرين ليكشف وجهها ويراهها. وتظل الخادמות يغنين "شد الستر واسيدي ظبطه"، يعني شد الستر وظبطه تظبيطا كاملا وترقصن على هذا. تتواصل الاحتفالات أربعة أيام.

س — والنساء باقيات؟

ج — تكون النساء في الغرفة. النساء فقط وليس الذكور إلا أقارب العروس، يخرجون في الليل ويتركون الزوجين لشأنهم. ولكن يقضون النهار في الفرح، في نقر الدفوف، في الصباح وبعد الظهر وفي المساء والرقص أمام العروسين. ويأتي الرجال ويرقصون مع قريباتهم وأمهاتهم رقصا يمينا وتقوم أحيانا الخادמות لأنهن فنانات بالرقص وينشدن هذا النشيد — إشارة إلى أن الزوج قد انتهى من العمل وقد فض بكاره زوجته، فيجلسن ينشدن هذا النشيد "سال الدم، سال الدم، من رأس الجبل. سال الدم وما خلى عبر". أي أنه لم يترك وادي إلا وملاءه. ويرقصن على هذا اللحن ويضربن بالدفوف، والزوج ينتشي لأنه قد نجح في مهمته وأنتصر. وإذا لم ينتشر هذا ستتهم المرأة بأنها جاءت عند زوجها ثيبة. إذا، لا بد أن يشعر الناس أن كل شيء على ما يرام وإلا ستصبح عارا على أهلها لأن ابنتهم جاءت ثيبة. لهذا تحترس النساء احتراسا شديدا من هذه الفضيحة حتى تتزوج وهي بكر. وماذا تعمل عند الزوج؟ لخدمته ولخدمة أهله، تحتطب وتنقل المياه. وعندما يأتيها الحمل ويسمونه الوحام، في أيام الحمل تبقي تمارس بعض الأعمال إلى أن يقرب الوضع فتأتي نساء خبيرات بالتوليد تولد المرأة. وإذا تعسرت الولادة يكتب لها الفقيه "زهد واح"، وهي عزيمة مشهورة لتسهيل الولادة. تمرض فيكتبون لها عزيمة.

تكون المرأة جائعة، ولكنها تتجمل لزوجها. تضع "الشقر"، وهو نوع من الرياحين منتشر في اليمن. تضعه المرأة في خدها الأيمن وخدها الأيسر، تشد المصير على رأسها وتترك في الخد الأيمن والخد الأيسر شيئا من الورد والزهور والرياحين. ويصف الشعر إلى الأمام وتقصه بحيث يكون مستويا ويتدلى من هنا الورد والرياحين على الخدين. هذا منتشر تماما. ويضع الرجل في رأسه مشقر من الرياحين والورود. وتكون المرأة خادمة عند الزوج. وظيفتها أن تخدم وتعمل في

البيت وتستعد لخدمة الزوج في كل شيء، تحمل وتربي الأبناء وهكذا. هذه حياة المرأة في بيوت الأسر. تلبس في المناسبات وتتهيا لزوجها عند ما يغيب، وترتب نفسها وتتجمل وقد تكون في حالة الجوع. ولكن هذه تقاليد الزواج.

س — أين الحب من هذا؟ ألا يحبون بعضهم بعضا قبل الزواج؟

ج — هذا غير متعارف عليه. لا يسبق الحب الزواج. هذا مجتمع محافظ. لم يعرف في اليمن أن فلانا يحب فلانة، إنما إذا عرف يقولون إن فلانة مصاحبة لفلان، وهذا يصبح عارا على المرأة. ومن هذا كنت قد ذكرت لكم قصة المرأة التي جاءت بالولد غير الشرعي وشرحت ما فعلوا بها.

س — أما تزال الحال الآن كما كانت في الماضي؟ أم توجد بنات أصبحن يتعلمن؟

ج — الآن بدأ الناس في المجتمع المدني يلحقون بناتهم بالمدارس ويتعلمن. وبدأت العلاقات تنشأ في المناطق الحضرية مثل صنعاء وفي البيوت الكبيرة. يتعلمون القراءة والكتابة. وبدأت المرأة ترسل، أي يعشقون كتابة، لا يتعاشقون باللقاءات، عشق وغرام بالكتابة، ولهذا تجدون في أشعار القدماء تغزل بالمرأة:

أنا من ناظري عليك أغار	وار عني ما زال عنه الخمار
يا قضيبا من فضة يقطف	النرجس من وجنتيه والجلنار
صن محياك بالنقاب وإلا	خطفته القلوب والأبصار

فتجدون أبياتهم الغزلية وأشعارهم في المرأة والتقنن في وصفها شيء فوق ما يتصوره العقل. كانوا متقننين يتغزلون بالمرأة ويراسلون بها بالأشعار. وكانوا إذا سمعوا بامرأة جميلة يكتبونها ولكن بالسر بحيث لو عرف الأباء لقطعوا يديها حتى لا تكتب، وإلا إذا عرف أن إنسان يكتب امرأة أو يغازلها فشيء محبوب جدا. ظل مجتمعنا مكبوتا محافظا بحيث تجدهم يعشقون الذكور والولدان. لماذا؟ لأنه يختلط به ويلتقي به. وكان هذا منتشرا في بعض المناطق، أي نشأت علاقات وعشق وتغزل بالذكر. ويتغزلون به في أشعارهم بتكتم وتحفظ في بعض المدن مثل

صنعاء وزبيد، ويتغنون بهذا. ولهذا تجدون بعض الأئمة يصطفون الأولاد للخدمة عندهم ليستمتعوا بالنظر إليهم وإلى جمالهم. وكان هذا معروفا في عصر من عصور العباسيين، فقد كان يوجد قاض مشهور بالغلان وباصطفائهم دائما. وكان ينفي عن نفسه أنه يلوط بهم، فكتب له أحدهم رقعة من الأبيات يقول فيها:

وزعمت أنك لا تلوط فقل لنا هذا المقرطع واقفا ما يصنع
شهدت ملامحته عليك بريية إذ للمريب شواهد لا تدفع

أي أن وجود هذا بجانبك يثير الشكوك فيك. أما المرأة فلا تستطيع التنفس إلا بالكتابة والرسائل والمراسلات. ففي الكثير من قصور الأمراء وقصور الكبار عرفت مثل هذه الأشياء، ولكن لم يعرف علنا وجود عشق بين رجل وامرأة، أو انهما يخرجان معا؟ لأن الرجل إذا أحب المرأة أو تعلق بها يخطبها من أهلها فيتزوجها. فتجدون أحيانا علاقة زواج وحب بين الزوجين. وقد يكون حبا عنيفا إلى حد كبير، يعني شيء فوق العشق بحيث لو افترقا يكاد يجن. ولكن هذا قليل جدا إنما الزواج زواج صادق، والمرأة إنما خلقت عندهم متاعا يستمتع بها الرجل وتتجب له الأولاد ليخرجوا للخدمة يحرثون الأرض ويزرعون. المرأة في اليمن على هذا النحو تعيش للإنتاج والخدمة، هذا حال المرأة في الأسر الكبيرة. أما المرأة العادية زوجات الفلاحين فتخرج سافرة الوجه وليست محتجبة وتعيش في المراعي، ترعى البقر وتذهب إلى المزرعة وتذهب إلى السوق تبيع وتتجر. وهذا موجود ومنتشر. والأغلبية هكذا في اليمن. أحيانا لا تلبس كل اللباس الذي يستر جسدها، بل تأخذ مثلا القطعة من القماش تتقبها في الوسط وتدرج رأسها لتغطي الصدر والظهر، ويبقى الجانبان مكشوفين بحيث لو ضربت الرياح يظهر ثديها وجسدها. يكون اللباس طويل ومشدود الحزام في الوسط، لكن ظهرها وثديها مكشوفة، والسواعد مكشوفة، والجوانب مكشوفة في بعض المناطق، وبعضها سافرة الوجه تشارك الفلاح. وهذا ما يحدث بينهم نوعا من التغازل.

س - أيتزوج أبناء الأسر الكبيرة من الفلاحين؟

ج - لا. تتزوج الأسر كلها من بعضها البعض، ولكن أحياناً إذا رأى ابن أسرة كبيرة امرأة جميلة من الفلاحين يخطبها ويتزوجها في نفس الليلة وتنتهي القصة. وتوجد طبقة الأخدام والمزاينة. هؤلاء الأخدام طبقة وضيعة تحترف نساءهم الغناء بالدفوف في المناسبات، في سابع المولود يذهبن عند النساء يغنين يوم السابع ويسمونه العقيقة. يضربن بالدفوف ويرقصن. وكذلك في الأعراس، هذه وظيفة الخادومات. ووظيفة الأخدام قرع الطبول أيام الأعياد حينما يحدث الرقص والبرع. العادة عند الرجال أن ينزعوا الجنابي من الخناجر، وهي مثل السيف الصغير. ويظلون يبترعون، أي يرقصون "البرع" على ضرب "المرافع". وظيفة الأخدام الضرب على المرافع والكنس وإيقاد النار، والخدمة في البيوت. عندما يحقرون أي شخص يقولون له "أصلك خادم، ولا أرسل لك إلا خادماً عزك الله" كأنه نوع حقير. لا يمكن أن يتزوج منهم القبائل، ويعتبرون أنهم جاءوا من الحبشة وأنهم قسم من العبيد ظلوا في اليمن وتسمى طبقة الأخدام. ويقومون بالأعمال القذرة مثل غسل المراحيض. وتوجد طبقة المزاينة الحلاقين الذين يحلقون الرؤوس، والحمامين الذين يمتصون الدم. ومن الأمراض أن يصاب الإنسان بالحكة في جسمه، يعالج منها بالحجامة. وتوجد جماعة من المزاينة وظيفتهم الحجامة، لدى الواحد منهم مجموعة من القرون الواسعة في أولها ومسدودة من جانب ومفتوحة من الجانب الآخر، فتغرس في الظهر ويظل الحجام يمصها من ثقب صغير في أعلى هذا المحجم حتى يتورم مكان المص من الجسم، وعندها يأخذ المشلى ويشق محل الورم، ثم يثبت المحجم ثانية فيظل يمص الدم ويخرجه. كلما تجمع قليل من الدم أخرجه وصبه على الأرض. باعتبار أنه دم فاسد يخرج منه وتشفى الحكة. تصطف الجماعات طوابير في محل الحمامين. وكل حجام يغرس المحاجم في ظهر الرجل الذي أمامه، ثلاث مرات وأحياناً أربع، وأحياناً يعمل له محجم في رأسه إذا كان رأسه يؤلمه، يحلق الرأس ويضع المحجم هناك ويمص حتى يثبت المحجم، فيدعه فترة حتى يتجمع الدم، فينزع ويأخذ قطعة ويمص حتى يثبت المحجم، ثم يدعه فترة ليجمع الدم، وينزعه. ويأخذ قطعة حادة من الحديد يشق بها الجلد

ويمتص الدم. هذه هي وظيفة الحجامين وهم طبقة فقيرة. واليهود يعتبرون من الطبقة التي تمارس هذه الأعمال، ولم يكن المسلم يمارس هذه الأعمال إلا نادرا. وتوجد أيضا طبقة الجزامين، ويعتبر عملهم من المهن غير الشريفة.

يحول تفاوت الطبقات دون زواج أية طبقة من الطبقات التي تعتبر نفسها رفيعة من هذه الطبقات المنحطة. هناك طبقة القضاة الشرعيين. ونريد أن نسلسل الطبقات الموجودة في اليمن ليتبين هذا التمايز والفروق بين الطبقات. كانت أرقى طبقة في اليمن الهاشميين ويطلق عليهم لقب السادة، لم يكن يطلق في اليمن لقب السيد إلا على من ينتسبون إلى النبي وهم الهاشميون، والهاشميون بيوت متعددة في اليمن. فالهاشميون في الشمال من الزيدية. ويوجد هاشميون من الشافعية لكن لا تهمهم السلطة ولا يطمحون إليها. وللسادة من الزيدية امتيازات كبيرة، فالحكم وقف عليهم، وتقيل الأيدي، والتقديس، وتقيل الأقدام، والاحترام، لأن هؤلاء طبقة تعتبر مقدسة. وهؤلاء الهاشميون منقسمون إلى أسر، أصبحت معروفة في اليمن، مثل بيت الهادي، وبيت المهدي، وبيت المتوكل، وبيت شرف الدين، وبيت القاسم، وبيت الوزير. هذه أسماء أسر متعددة من الهاشميين. ولكن هناك من هذه الأسر من يختصون بالإمامة، من عرف فيهم الاختصاص بالإمامة التي كانت تنتقل من أسرة إلى أخرى، مما يسبب الحروب الأهلية دائما في اليمن خلال إحدى عشر قرنا، بسبب الصراعات بين هذه الأسر على من هو الأحق بالإمامة. ويمنح أبناء الإمام لقب سيوف الإسلام. وتوجد ألقاب إلى جانب هذا. ومن الألقاب العالمية لقب الإمام وهو أمير المؤمنين أو ظل الله على الأرض أو خليفة رسول الله. وتوجد ألقاب للأشخاص الآخرين من الطبقات الرفيعة، مثلا أحمد يقال له صفي الدين، ومحمد عز الدين، وعلي جمال الدين، وعبد الرحمن وجيه الدين، وكل من كان اسمه عبد... يلقبونه وجيه الدين. حتى أنه في المراسلات أحيانا إذا أراد أن يكتب لشخص اسمه أحمد يكتب بقوله الأخ صفي الدين أو الأخ الصفي. ولقب عبد الله فخر الدين، ولقب محسن حسام الدين، ولقب حسن وحسين شرف الدين، ولقب يحيى عماد الدين. ولأحمد لقب آخر إلى جانب صفي الدين وهو شمس الدين (بداية الشريط الثاني).

تستعمل هذه الألقاب في المراسلات. لا تكتب رسالة إلى شخص إلا ويسبق اسمه لقب من هذه الألقاب. وأحيانا يكتفى باللقب بدلا عن الإسم فيكون معروفا.

وعلى ذكر الطبقات، بعد طبقة الأئمة، طبقة سيوف الإسلام، وهم في الدرجة الثانية، ثم أقارب الإمام ومن إليهم من السادة. وهناك طبقة القضاة، حكام الشرع الذين يفصلون في القضايا. وهناك طبقة المشائخ وهم رؤساء القبائل. ومن الطبقات أيضا الفرق بين القبائل والرعية، القبائل تطلق على القبائل الذين يتجندون ويحملون السلاح مع الحكومة ومع الأئمة، أما الرعية فهم الذين يحرثون الأرض ويرعون الماشية. يطلق عليهم لقب الرعية. ومن الطبقات التي تعتبر محتقرة بالنسبة للطبقة الرفيعة، أصحاب الحرف: النجارون والتجار والحدادون، هذه كلها تعتبر عند بعض القبائل حرف لا يمتنها إلا ابن السوق. ماذا يترتب على هذه الفروق؟ مثلا ابن القاضي أو ابن العالم لا يتزوج بنت الجزار الذي يذبح المواشي، ولا بنت المزين. يقال إن الكفاءة هنا مفقودة، لا بد من الكفاءة بين الزوجين في النسب. فلا زال للنسب في اليمن قيمة كبيرة. لا يمكن أن يزوج الهاشميون أحدا من غير الهاشميين بمرأة هاشمية، لأنه يعتبر من طبقة أوطى من طبقتهم. هذه مجموعة من الأفكار عن الطبقات في اليمن. ولكن الفروق بدأت تضيق بعد الاختلاط والمواصلات وبعد دخول شيء من التعليم.

س - اخبرنا عن علاقة اليمن بالخارج؟

ج - عاش اليمن، كما تعرفون، معزولا عن الحضارة الحديثة وبعيدا عنها. وعند ما كانت ولاية اليمن تابعة للإمبراطورية العثمانية كانت الاتصالات محدودة بعلاقة الإمبراطورية العثمانية بالعالم. ولكن حينما استقلت وقام حكم الإمام يحيى لم يكن عند الإمام يحيى فكرة عن الدولة الحديثة، بل قام بحكم العادة. وحكم الأئمة في اليمن لا ينظر إلى الخارج ما دام الرعية يدفعون الواجبات وهو يقضي بينهم بالحق والعدل كما يقضي بذلك قانون الشرع. فهو لا يحتاج إلى علاقات خارجية. ولكن وجد إلى جانب الإمام يحيى بعض الذين كانوا يعملون مع الإمبراطورية العثمانية وممن تتقفوا بشيء من الثقافة، وبقي بعض الأتراك في اليمن أو الذين

كانوا يعملون مع الأتراك. لأن الأتراك كانوا أحيانا يجندون من عرب الشام، فيصلوا هنا وهم يجيدون اللغة التركية ويلبسون ملابس تركية. فبقي من هؤلاء في اليمن أشخاص لفتوا نظر الإمام يحيى إلى أنه لا بد من العلاقات مع الخارج. كان هذا شيئاً جديداً على الإمام يحيى. "ماذا يهمني من الخارج، أنا أحكم بلدي فمن أراد أن يتعدى على بلدي فأنا قادر على مقاومته، وهذا البلد سنصونه بالسيوف ونصونه بدمائنا ولا يمكن لأحد أن يعتدي علينا، اعترفت الدول أم لم تعترف. لا يهمننا". فما زال القاضي راغب بك، وهو من العثمانيين وكان في اليمن متصرفاً بمعنى حاكم لواء، يقنع الإمام باعتباره مسؤولاً عن الشؤون الخارجية بضرورة الارتباط بالخارج وإيجاد علاقات دولية. اقتنع الإمام مجاراة له ولكنه كان غير مهتم بهذا إلى حد كبير. فبدأ القاضي راغب — ومنح لقب القاضي بصفته وزير الخارجية — يضع ترتيب العلاقات مع بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. وكانت إيطاليا أكثر الدول اهتماماً بشؤون اليمن. والسبب في ذلك أن إيطاليا، مع قربها من شواطئ اليمن لأنها كانت تحتل إريتريا ومقدشو في بلاد الصومال كانت هذه مستعمرة إيطالية، كانت لها اتصالات باليمن عن طريق عدن وعن طريق ميناء مصوع حيث يوجد يمنيون. وكانت إيطاليا هناك أكثر احتكاكاً وأكثر علاقة باليمن مباشرة. فكان يأتي أطباء منها. وأول زيارة لأمير من أمراء اليمن كانت إلى إيطاليا، حيث وجهت دعوة لأحد أبناء الإمام، وهو النجل الثاني واسمه سيف الإسلام محمد، وسافر إلى الخارج وعاد وهو مبهوت من الحضارة في الخارج إلى حد كبير. وحاول أن يحدث شيئاً من التجديد في اليمن. وبدأ يثبّت العلاقات مع إيطاليا. وكان أول شيء استقدمه إلى اليمن الأطباء. ثم جاءت بعثة من أجل صك النقود اليمنية وأنشأوا ورشة لإصلاح بعض الأشياء مثل الأدوات المنزلية والبنادق والأسلحة والخراطيش، يعني أشياء محدودة، فكانت العلاقات أقوى ما تكون مع إيطاليا. أما مع بريطانيا فبحكم الاحتكاك بسبب الحدود مع المحميات واحتلال عدن ظلت العلاقات دائماً ضعيفة وتسوء ما بين وقت وآخر. وكانت العلاقات مع فرنسا كذلك. وأخيراً جاءت فكرة الجامعة العربية فارتبطت اليمن بها. وجاءت وارتبطت بالأمم المتحدة. وبدأت اليمن تخرج بعض الشيء من عزلتها في عهد الإمام أحمد. أما في

عهد الإمام يحيى فقد كانت العلاقات بالخارج محدودة، واقتصرت على الاعتراف بوجود الدولة دون أن يستفاد منها. وأذكر أن راغب روي لنا مرة أنه بعد أن أنجز عددا من الاتفاقيات مع بعض الدول، وثبت اعتراف الدول بدولة اليمن، أراد أن يقيم حفلة فقالت له زوجته: "لماذا تقيم الحفل؟". قال لها: "لأنني حققت شيئا وهو أنني أوجدت كيانا لليمن ودولة معترفا بها." قالت له: "ولكن أنت قمت بهذا العمل لقوم لا يصلحون أن يكون لهم دولة." قالت ذلك من يأسها من سياسة الإمام وعدم التقيد بالسياسة الخارجية أو المبالاة بها. لم يكن للسياسة الخارجية أية أهمية في نظر الإمام. فكانت العلاقات محدودة إلى حد كبير. بعدها جاء سيف الإسلام عبد الله وتولى وزارة الخارجية، وهو شقيق الإمام أحمد الذي قتله أخوه الإمام عام ١٩٥٥، فنشط في الخارج، وخرج إلى مصر. وأقام مدة وجيزة في لبنان وحضر اجتماعات في الأمم المتحدة. وبدأت اليمن تظهر على المسرح الدولي شيئا فشيئا وتخرج من عزلتها. وبدأت البعثات تصل إلى اليمن. وأراد الإمام أحمد أن ينافس عبد الناصر، فأرتبط بروسيا والصين، وأرسل بعثات إلى الدول الشرقية حتى لا ينفرد عبد الناصر بالبطولة. وكان البدر أيضا بحكم صداقته لعبد الناصر يميل للسياسة التي يتبعها عبد الناصر. كان يشجع أباه على هذا الاتجاه. فأنشأت روسيا ميناء الحديد لرسو السفن، ولم يكن هناك إلا ميناء طبيعي محدود بحيث كانت السفن الكبيرة تصل إلى مسافة بعيدة من الميناء وينقل الناس بقوارب تسير بالمجاديف، سفن شراعية تنقل الركاب إلى قرب الميناء. وأخيرا يأتي من يحمل الركاب على ظهره أو يحملون بهوداج. يوضع لوح ينزل الركاب عليه ويحمله أناس يمشون في الماء حتى لا تبطل ثياب الراكب حتى يصل إلى اليابسة. وشقت الصين طريقا يقدر طوله بـ ٢٢٦ كلم من الحديد إلى صنعاء، اجتازت الجبال الشاهقة والوديان ووضعت الجسور وكلف إنشاؤه حوالي ٧ ملايين جنية استرليني. وكان دينا على اليمن. وبدأت اليمن تخرج حتى جاءت مصر سنة ١٩٦٢ لمساعدة اليمن بجيشها على أساس الثورة التي قامت والقضاء على حكم الإمام. وبدأوا الآن يفكرون بالاستفادة من هذه العلاقات بالدول الأخرى. لا يكفي مجرد اعتراف دولة بدولة، بل لا بد من الاستفادة من علمها ومن خبرتها.

س - حدثنا عن علاقات اليمن بأميركا؟

ج - اهتم سيف الإسلام عبدالله بالعلاقات بأميركا. وأرسلت أمريكا بعثة إلى اليمن للتقريب عن المعادن ولإقامة مشروعات، ومدت طريقا ترابية من تعز إلى صنعاء ومن المخا إلى تعز. كان هذا مجانا مساعدة من النقطة الرابعة. ثم اتجهت نحو مشروع حيوي هام وهو الماء، فأنشأت مشروعا ومدت به مدينة تعز، وهي من المدن الهامة في اليمن. واهتمت النقطة الرابعة بهذه المياه وبتعقيمها ومدت الأنابيب إلى البيوت والحنفيات إلى عام ١٩٦٦ حينما قطعت مصر علاقاتها بأمريكا، وهيجت اليمنيين لأن يقطعوا العلاقات مع أمريكا. وكان السلال مرتبطا بمصر ارتباطا وثيقا فاساءوا للعلاقات مع أمريكا وقطعت من ذلك التاريخ حتى الآن (عام ١٩٦٩)، على الرغم من أنه كان لها اهتمام بمشاريع حيوية داخل اليمن. ويوجد اليوم اتجاه قوى لدى اليمنيين بعد التغيير الأخير وبعد انسحاب النفوذ المصري لتثبيت العلاقات مع أمريكا، لكن أميركا غير مطمئنة بعد وتريد أن تزداد اطمئنانا بأن الحكم القائم ثابت القوائم.

س - مع أن الإمام البدر كان متجاوبا مع الأحرار، لماذا ثاروا عليه؟

ج - كان البدر حقيقة متجاوبا مع الأحرار ومتفتحا وعنده رغبة قوية في حدوث التغيير في اليمن. كما كان كذلك كثير من أعمامه الذين اشتركوا مع الأحرار مثل سيف الحق إبراهيم بن الإمام يحيى الذي حدثناكم عنه. وكثير من أولاد الإمام كانوا راغبين في تغيير الأوضاع. وكان البدر محل عداوة من أسرته بسبب أفكاره التحررية وبسبب ارتباطه بالأحرار. بل إنه تشدد في الارتباط بعبد الناصر. كل ذلك حرصا على أن تستفيد اليمن من هذا الارتباط. وتعاون الأحرار معه، ووقفوا إلى جانبه. ولكن كان الصراع الدولي الذي قام في البلاد العربية وأمتد إلى اليمن يجد أن لدى البدر اتجاهها نحو الغرب ونحو تطوير البلاد، بحيث لا تجد الشيوعية لها مكانا. وكما كان عبد الناصر أداة الشيوعية في الشرق الأوسط كان أدواتها العظمى في اليمن. فاستخدم الوسائل التي يستخدمها الشيوعيون في إثارة

الغوغاء وإلقاء التهم وتشويش الحكم الصالح. يوجد في الدعاية الشيوعية دائما قسم يسمونه قسم الدعوة ولكنه يحمل اسم قسم التحريض والإثارة ضد كل وضع مستقل أو وضع يتجه نحو الاستقرار. وهذا هو أسلوبه. بدأ البدر يتماشى ووضع برنامجا لا بأس به. ولكن باعتبار أن اليمن كانت محل تفكير الشيوعيين لتكون قاعدة من قواعدهم للانطلاق إلى الجزيرة العربية، جعلوا من الحركة في اليمن وتشويش سمعة البدر مبررا لإزاحته وللحملة عليه. لم تكن الحملة على البدر وحده، بل شنت الحملات على الملك حسين وعلى سائر الحكام الذين يسيرون في طريق معتدلة، أو يتعاونون مع الغرب. كل هذا ليس من أجل خدمة اليمن أو للإتيان بحكم صالح، بل ليؤتى بحكم عنيف يسير حسب أهوائهم.

س - اخبرنا عن علاقة الإمام يحيى بإيطاليا؟

ج - نشأت علاقة الإمام يحيى بإيطاليا من سوء ظنه بالعرب. كان حاقدا على العرب وسيء الظن بهم إلى حد كبير. حتى أن أمين الريحاني في كتابه "رحلة اليمن": قال إنه كان يحاول أن يقنع الإمام بضرورة التعامل مع العرب فيرد عليه بالقول: "العرب كذابون ساقطون". وضرب العزلة بينه وبينهم إلى حد كبير. وكان يتهمهم بأنهم الذين أدخلوا الاستعمار إلى بلادهم، وبخضوعهم للدولة العثمانية وللاتراك وإنهم الذين جروا العثمانيين إلى اليمن. ويقول "أما نحن فقاتلنا الأتراك وقاتلنا كل دولة أجنبية". كان يتعامل مع الطليان على حذر وفي نظره أنهم لا يشكلون خطرا، وأن وجودهم ينافس وجود الإنكليز في الجنوب بحيث يوجد توازن بينهم وبين الإنكليز. كانت هذه سياسته. فكان يتعامل مع الطليان، ويستقدم الأطباء منهم والعلاج. حتى أن أول بعثة من اليمن لتعلم الطيران تعلمت في إيطاليا. ولكن عند ما عادت واحترقت الطائرة بالطيارين توقف الطيران في اليمن نهائيا. فكان كل التعامل مع إيطاليا في حدود العلاج والطب وما إليه. وحينما غزت إيطاليا الحبشة بدأ يحدث خوف على اليمن حتى أنه عند ما جاءت الحرب السعودية عام ١٩٣٤ حاول الطليان أن ينزلوا في ميناء المخا في اليمن لكي يساعدوا الإمام ضد الزحف السعودي لأن السعوديين وصلوا إلى الحديدة. فطلبت إيطاليا أن تأتي لمعونة اليمن ولكي تزداد نفوذا في وضع الاحتلال. ولكن كان في

ميناء المخا الشيخ محمد أحمد النعمان وهو عمي، كان حاكما في هذه المنطقة. فرفض نزولهم ودخل في خلاف مع القائد الإيطالي الذي قال له "عندنا برقية من الإمام تسمح بالنزول إلى المخا" فرد عليه قائلا: "هذه ليست ملك الإمام، إنما ملك الشعب وبلادنا ولا نسمح." وهذا الشيخ محمد أحمد النعمان اعتقل في عهد الإمام يحيى عام ١٩٤٨. وكان الإمام دائما يقول نحن مدينون لهذا الرجل بالموقف الذي وقفه مع الطليان بتاريخ كذا. كان يشاع أن للطليان أطماع في اليمن، ولها دراسات، وخرج بعض البحاثة والكتاب الإيطاليين والصحفيين وكتبوا عن اليمن في هذه الفترة، وكان عند الأطباء الإيطاليين نوع من الأخلاق والإنسانية، فكانوا يقدمون المساعدات للفقراء ويعطونهم العلاج مجانا ولا يتقاضون أي أجر. وأذكر أن أحد الأطباء وكان اسمه "تفلون" في تعز يتكلم العربية وكان بيننا وبينه علاقة لا بأس بها، حتى أننا حينما لجأنا إلى عدن كان أيضا من الذين يعملون مع ولي العهد أحمد ويبيدي مشاعر إنسانية ويقول إن الشعب اليمني يجب أن يتخلص من هذا الحكم. وكان يساعد الأحرار ويميل نحونا بهذه المشاعر.

س — بما ذا كان يساعدهم؟

ج — كان يساعدهم معنويا ويتحدث معهم. ذات مرة حينما خرج ولي العهد أحمد إلى عدن خرج هو معه وكان طبيبه، فكان يطلع الأحرار على ما يدبره ولي العهد ضدهم، حتى أنه جاء في الليلة التي كنا سنعتقل فيها أو سنختطف في عدن ليخبرنا ويقول إن الأمير رتب الأمر بفعل كذا وكذا. كان هذا الطبيب رجلا له مشاعر إنسانية فعلا، وكان مستاء من الأوضاع التي تعيشها اليمن إلى حد كبير. هذه حدود العلاقة الإيطالية.

س — حدثنا عن أول لقاء بينك وبين ولي العهد أحمد بعد عودتك من مصر، وماذا ترك لديك من انطباع؟

ج — كانت الرسائل متبادلة بيني وبين ولي العهد أيام وجودي في مصر. وقد ألح علي بالعودة إلى اليمن بعد أن رفضت الحكومة المصرية منحي امتياز إصدار صحيفة "اليمن الخضراء" التي وعدني ولي العهد بتقديم المساعدة اللازمة للنفقة

على إصدارها. وكان أول لقاء بيننا بعد العودة من مصر يوم وصولي مباشرة. وقد دخلت إليه بعد استئذان الحاجب وهو في المجلس مع حاشيته ومقعده في صدر المجلس بملابسه التي لم أعرفه بها أيام اللقاء الأول في الزرانيق، قبل ثلاثة عشر عاما. وحين اقتربت منه رفعت صوتي بالتحية المعتادة "السلام عليكم" فرد التحية بمثلها مبتسما مرحبا يردد هذا البيت:

وما جئت حتى آيس الناس أن تجي سموك منظورا وجئت على قدر

فانحنيت لمصافحته وحاولت تقبيل ركبته فلم يسمح كعادته. وأواني بالجلوس في أقرب مكان إليه، وأمر لي بالقهوة لأنني لا أتناول القات. وكان يباشر أعماله المعتادة في مطالعة البريد والرسائل والإجابة عليها وعلى ما يمتد إليه من أوراق طارئة، وبين فترة وأخرى يقبل علي بأسئلة عن مصر وأحوالها، وكانت جواباتي كلها شكوى من سوء الأحوال، والخروج على الدين وعن تعاليم الإسلام، وقارنت بين اليمن وما تتعم به من سيادة واستقلال وتمسك بالدين وما تعانيه مصر وغيرها من البلدان التي نكبت بالاستعمار. واستشهدت بقول عمر بن الخطاب: "جهل الناس بأحوال الجاهلية يوشك أن ينقض عرى الإسلام عروة فعروة". وقلت "جهل اليمنيين بأحوال سائر الأقطار المنكوبة بالاستعمار يجعلهم لا يقدرّون نعمة الاستقلال". وقد كان يصغي ويستجيب، حتى اقترح علي أن يكون هذا الحديث في خطبة جامعة ليعرف الناس الحقيقة كي يقدرّوا الاستقلال ونعمة الإمام. وقد كان الترحيب حارا ودودا. وفي نهاية الجلسة استأذنت وخرجت مع القاضي حسين الحلالي، ونزلت عند الوالد الشيخ محمد أحمد نعمان. ولفت نظري في هذه الجلسة عند ولي العهد دخول أشخاص من الموظفين الذين عرفتهم من قبل برؤوس مرتفعة ومظاهر نعمة في ملابسهم وكبرياء. لفت نظري ما لمحتّه من مشاهد الذل على وجوههم وهم يبركون على ركبهم أشبه بالمفجوعين، متوقعين العقوبات. فلم أشأ أن أبدأ سوء الظن بولي العهد وأنا في غمرة الفرح والغبطة بتلك المبالغة في الترحيب بي. ولكنني اجتمعت بعد خروجي بصديقي الحميم وصاحب الفضل الكبير علي، السيد عباس بن أحمد باشا، فوجدته يشكو من الشكوى من ولي العهد وخيبة الأمل فيه،

وأنه جاء نكبة على اللواء التعزي الذي كان في عهد سلفه أسعد حالا. وقص علي قصصا مرهبة من تصرفات ولي العهد وغلماؤه، وإجراءاته وسلوكه ومعاملته للناس بقسوة. قلت في نفسي ربما كان السيد عباس موتورا لأن ولي العهد لم يحقق له رغباته الشخصية في منصب كان يطمع فيه، كما أنه ربما حال بين الأقوياء والضعفاء ولم يترك للأقوياء فرصة التسلق والتحكم التي كانوا يتمتعون بها من قبل. وبعد بضعة أيام من مقابلتي لولي العهد أعدت خطبة والقيتها في جامع المظفر بعد صلاة الجمعة تحوي كل ما تحدثت به إلي ولي العهد عند مقابلتي الأولى، فتأثر لها تأثرا شديدا وبكى بكاء مرا. ولما فرغت من الخطبة ذهبت للسلام عليه في محراب الجامع فقال " شكر الله سعيك وجزاك خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين". وجرى الحديث بين الناس والتعليق على الخطبة بالإعجاب البالغ. وكنت أسمع ذلك ويزداد السرور والغرور في نفسي مع تظاهري بالتواضع. وقد حضرت مجلس ولي العهد بعد هذه الخطبة واستأذنت بالسفر إلى الحجرية لزيارة الوالدة والأهل والأولاد والإخوان بعد غياب ما يزيد على ثلاث سنوات في مصر، فأذن لي بذلك وأمرني باستصحاب الأهل الذين في الحجرية ليكون مقامنا في تعز إلى جواره. وطلبت منه أن يتيح لي فرصة التحدث إليه في جلسة خاصة فوافق وحدد الموعد. ولما حضرت في نفس الموعد وجدت المكان يغص بالزائرين فذكرته بالموعد خشية أن قد غاب عن ذهنه مع كثرة الاشغال، فقال لي: "إن الموعد في ذاكرتي" وأخذ بيدي وانتحى بي ناحية المكان كأن الحديث مجرد طلب خاص، فبدأ الحديث الذي كنت أعده يتطاير من دماغي ويتبخر. ولكنني صمت على استجماع ما يمكن استجماعه، وحاولت أن أشعره بمسؤوليته وآمال الناس فيه وأملِي وسائر الذين تركتهم في مصر، في تقدم اليمن وتطوره على يده. ولكني كدت أوقع نفسي في ورطة وأثير في نفسه الشكوك حولي، فأختصرت الحديث ونقلته إلى حديث خاص يتعلق بالمنصب الذي اسنده إلي وهو إدارة معارف تعز. فقال لي: "اجتمع بالقاضي الحلالي وتفاهم معه على برنامج التعليم"، فودعته وقد بدأ الأمل يضعف، والشك في سوء نواياه يقوى. وكان الحلالي قد نصحني ألا أتقدم بأية نصيحة، ولكنني اتهمت الحلالي بالغش والخداع وعدم الإخلاص في خدمة الوطن.

س — أكانت لك رغبات شخصية خاصة تأمل أن تحققها من وراء علاقتك بولي العهد؟

ج — لم تكن لي أية رغبة شخصية. فقد كانت فكرة المصلحة العامة مسيطرة علي، والطمع بالحرية التي كنت اتمتع بها في مصر من أعظم رغباتي.

س — ما هي الحادثة التي بدأت تحول مشاعرك من حالة الرضى إلى موقف الناقد المتفحص فالرافض لتصرفات ولي العهد؟

ج — كانت حادثة الجلسة الأولى المشار إليها إشارة البدء لعدم الرضى عن سياسية ولي العهد. وتلاحقت حوادث كثيرة حملتني على السخط. ولكنني كنت دائما أردد قول الله: [...] لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا، قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون] (الأعراف، ١٦٤). كان الأمل في نفسي أقوى من اليأس، وقد ظلت مدة مقامي في تعز أعيش بين الأمل واليأس. وكانت ظروف الحرب العالمية الثانية قائمة تحول دون تفكير المرء بالهجرة من اليمن.

س — ما هو الجانب الخاص الذي كان يشدك بقوة إلى شخصية ولي العهد؟

ج — من الإنصاف لولي العهد القول إنه كان وفيا لأصدقائه. وقد كان بيني وبينه تجاوب في المشاعر والعواطف. غير أننا مختلفون في الرأي والتفكير. لقد لمست منه ودا وتقديرا وعطفا زائدا. وكان يتقبل أحيانا الرأي والنصيحة ويتأثر كثيرا بمنظر البؤس، وذل العزيز، وأحيانا العكس، لا يقف على حق. وكانت النكته والفكاهة تجذبه وتشده إلى صاحبها. وكان يضحك كثيرا حين أتحدث معه باللهجة العامية للحجرية، ويرتاح إلى أحاديثي ومجالستي له. ولكن على الأساس السابق وهو ألا أتعرض لهواجس سياسته. وكان يأتي بسيارته إلى باب منزلي ليستصحبني معه في جولاته داخل البلاد، مما شدني إليه وجعلني أشعر بمشاعره الودية الصادقة نحوي، بل كان يكشفني أحيانا بأنه مطمئن إلى ودي له ويقول: "أما الآخرون فإنهم نصبة"، أي نواصب، جمع ناصبي، والناصبي هو الذي يعادي أهل بيت النبي.

س - كيف نشأت لديك فكرة الهجرة من تعز؟ ومن هم الأشخاص الذين بحثت معهم الأمر، وماذا كانت الحسابات لديك للأثر الإيجابي لهذه الرحلة؟ وهل قدرت لها آثارا سليمة في ذلك الحين، سواء على المستوى الشخصي أم على مستوى العائلة أم الأصدقاء؟

ج - كادت الهجرة من اليمن أن تكون هوايتي المفضلة. وهي راجعة إلى مرحلة الطفولة أيام كنت أترك قريتنا لأذهب إلى القرى المجاورة وأفضل البقاء فيها على البقاء في البيت. وفي مرحلة المراهقة اغتتمت فرصة رغبة والدي القوية في أن أدرس في زبيد، ففررت وكنت أول واحد في الأسرة يهرب إلى زبيد. ولما علم والدي بذلك أرسل من يرافقني في الطريق ويستأجر لي حمارا للركوب عليه وهو فرح مستبشر. كما أنه عزم على ترحيل بعض أولاد عمي مع أخي نعمان للالتحاق بي والدراسة في زبيد. وقد عاد الجميع وبقيت وحدي مهاجرا في زبيد خلال سبع سنوات. كما كانت فكرة الهجرة إلى مصر تحت مبررات شرحناها فيما سبق أحلاما وأمانى. ففكرة الهجرة من تعز كانت تراودني منذ عودتي إليها مباشرة لولا ظروف الحرب التي كانت قائمة في تلك الأيام. وكان هدفي في هذه المرة للهجرة واضحا وهو ممارسة مهنة الصحافة ومواصلة النشر ضد الأوضاع في اليمن بعد أن تبين لي أن ولي العهد لم يحقق ما كنا نعلق عليه من الآمال. وما كان الهدوء والمسالمة والمقام مع ولي العهد واطهار الرضى عن سياسته إلا كما قال المتنبي:

أريك الرضى لو أخفت النفس خافيا وما أنا عن نفسي ولا عنك لاهيا
تظن ابتساماتي رجاء وغبطة وما أنا إلا ضاحك من رجائيا

وكننت أردد دائما "لم نجد جدا فهللنا"، وما هذه "الحياة الدنيا إلا لعب ولهو".
أترنم باستمرار وأناجي الكثيرين بأقوال شوقي:

أيها النفس تجدين سدى هل رأيت العيش إلا لعبا
هون الدنيا تهن عندك ما أهون الدنيا لمن قد جربا

حتى إذا جاء الزبيرى بعد خلاصه من سجن الأهنوم، عشنا معا وكنا نحس أن الأنظار تتجه إلينا للعمل من أجل الوطن. نسمع الكلام والغمز من الكثيرين يتهموننا بالنفاق وتشجيع ولي العهد بما نلقيه في الحفلات والمناسبات من كلمات شعرا ونثرا في الثناء عليه والمبالغة في مدحه والتقرب منه وملازمته الدائمة.

وأقبح شيء رؤية العين من يسئ ويتلوه في المحافل حمده

وقد كان هناك أشخاص مثل عامل تعز محمد باشا وشقيقه السيد عبد الجليل باشا، يواجهوننا باللوم والاستتكار لعدم نصحنا لولي العهد. فتحديناهم وقلنا "نحن مستعدون للخروج إلى الخارج لإعلان المعارضة للوضع. فهل أنتم مستعدون لمساعدتنا؟" قال السيد عبد الجليل: "من المستحيل أن نبخل بأموالنا عن مساعدة من لن يخلوا بأرواحهم". وكان الشيخ عبد الله الحكيمي يرأسنا وينصحنا بالهجرة إلى عدن، فنسأله: "هل الحكومة البريطانية مستعدة للسماح لنا؟" فيرد علينا أنه اتصل بالحكومة يسألها فردت عليه: "إننا لا نمنع أحدا من اليمنيين من المقام في عدن". وبقينا ندرس النتائج التي ستترتب على هذه الهجرة. وكنا نعرف سلفا أن عائلتنا وكل من ينتمون إلينا سيتعرضون للعقاب من الحكومة، لأنها دائما تأخذ البرئ بالمسيئ، والمقيم بالراحل، والمقبل بالمدير. وكان هذا أكبر عائق لهجرتنا حتى أوشكنا أن نتعرض نحن للسجن. وكثرت النصائح لنا بالهجرة قبل أن نقع في الفخ ونندم حيث لا ينفع الندم. ولمسنا الفجوة والشكوك من ولي العهد واختلاقه تهما قد يبرر بها اتخاذ أي إجراء ضدها. وبدافع الخوف من الاعتقال وخاصة عند الأخ الزبيرى الذي عاش في سجن الإمام يحيى سبعة أشهر، وكان يقول لي دائما "أنت لا ينقصك سوى السجن لكي تكون يقظا حذرا"، نعم بدافع الخوف من الاعتقال وتحت تأثير النصائح المتكررة ورسائل الشيخ الحكيمي وأملنا بمجال للنشاط في عدن قررنا الهجرة. ولا ادعي المبالغة إذا قلت أن هناك دافعا قويا كان أعظم حافز للهجرة وهو الدافع الديني للهجرة، والتأثر بالآيات القرآنية التي تحت على الهجرة "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا: فيما كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض. قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها. فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، لا يستطيعون حيلة

ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم". وبتلو قول الله: "قل إن كان أبناؤكم وأزواجكم وأموالكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فتركبوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين". لقد مرت علي فترة طويلة وأنا مصاب بما يسمى هستيريا الرسل، أحاسب نفسي سرا وألما وأقسو عليها وعلى أولادي وأحرم عليها ما زاد عن القوت الضروري، حتى بعت ملابس كنت أتجمل بها، وحلي زوجتي ومدخراتها، لأرصد كل ذلك للقضية المقدسة. وكنت مصمما على أن لا نعلن المعارضة، وأن نلتزم الصمت، ونجعل الخوف هو السبب لفكرتنا، ونبقي على الصلة بولي العهد حتى لا يتعجل بإنزال العقوبة بمن ورائنا. وكان الخوف مبرر فكرتنا حتى عند ولي العهد نفسه. بل لقد تركت له رسالة لتسلم إليه بعد سفري ويسلمها ابني محمد وهو لا يتجاوز العاشرة من العمر، وتحمل هذا السبب بوضوح. ومن جهة أخرى أردت أن أتلصص استفزاز أبناء اليمن وغيرتهم لمساندتنا، وأن أبرهن لولي العهد من بعيد أننا مخلصون في النصيح نريد الإصلاح على يده لا نحمل حقدا ولا نطمح لسلطة ولا ننازعه الأمر. وسارت الأمور بعد ذلك على غير ما يريده المرء لوجود معارضين لا يفقهون حديثا.

س — ما هي أول صدمة لقيتها على مستوى العمل السياسي في عدن سواء داخل التنظيم الجديد أو خارجه؟

ج — واجهت أول صدمة من العناصر التي حاولت أن تفرض نفسها علينا وتحملنا أعباءها ومثونتها وتلزمنا بسياسة الهجوم السريع بالشتائم والسباب إلى جانب مطالبة الإنكليز بالسلاح والمال. وهالني أن زميلي الأستاذ الزبيري أوشك أن يتحمس لهذه السياسة أو للأقتران بهذه العناصر لتأمين معيشتها وسكنها. قلت له "لا بد من وجود فهم مشترك بيننا، ومن معرفة كل منا لأخيه. يجب أن تكون لنا خطة هادئة وأن لا نتعجل، ولا نعلن عن رأي أو سياسة حتى نتبين الأمور ونرى ما عند الناس من أفكار وحماس، وهل هم في المكان الذي نتصوره باعتبارهم يعيشون في الخارج ويرون ما تصنعه الحضارة وما تقدمه الشعوب. وأهم شيء نبهت إليه رفيقي هو أن لا نظهر بمظهر الملتزم للآخرين المتصدر لقيادتهم، لأن

معنى ذلك تحمل أعباء لا نطيقها، ومسؤوليات نعجز عن القيام بها، فنتعرض لحرب شعواء وندخل في صراع من أول يوم مع هؤلاء المتعجلين الجهلاء. وما هي إلا أيام قلائل حتى التحق بنا الشهيد زيد الموشكي والسيد احمد بن محمد الشامي، وصوروا لنا الأثر الذي تركته هجرتنا، ونزاع ولي العهد ووالده الإمام يحيى، وأن المواطنين يعلقون علينا الآمال في إنقاذ البلاد، ويخيل إليهم أننا سندخل بجيش عرمرم وأن الإنكليز سيقدمون لنا المال والسلاح، وأن الذين يعيشون في المهجر سيلتفون حولنا ويقدمون أموالهم وأرواحهم. وهكذا أسرف الناس في آمالهم وتهاويل أوهامهم وأحلامهم. لقد جن الأخ الزبيري بهذه الأخبار. وكان رحمه الله ككل شاعر يهيم في أودية الخيال. وبدأ يضغط علي للاقتناع بضرورة إعلان منظمة الأحرار وتأسيس جمعية أو حزب. قلت له "إننا سندخل في صراع مع الأعضاء مع أول يوم نعلن فيه أي تشكيل أو تنظيم. فدعنا والدخول في المشاكل قبل أن نجد لنا مستقرا أو مكانا ننام فيه". ظللنا ندور في شوارع عدن والشيخ عثمان فترة طويلة لم نجد يمينا واحدا ممن لهم عمارات أو مساكن يقبل أن يؤينا فيها. فقد أصبحوا يخافون عقاب الإمام لهم ما عدا أفراد قلائل كان عندهم الرفق وقالوا إنهم لن يقصروا في العون والمساعدة المادية سرا تأميننا لمعيشتنا ورحمة بنا واشفاقا علينا، لا من أجل القضية التي لم يستحقها حتى الذين يدعون الناس لمساعدتنا والبذل من أجلها. وأخيرا أصبحت الأغلبية من الذين وفدوا في هذه الفترة إلى عدن تؤيد تأسيس حزب ليضمن لهم الحزب مطالبهم الخاصة والعامة. ولكن قانون حكومة عدن لا يسمح بقيام أحزاب، فتقرر الاحتيايل بالقول إن هذا الحزب تأسس في صنعاء وإنما يمارس أعضاؤه نشاطهم فيه. ونزلت عند رأي الأغلبية الذي لم أقتنع به قط خشية اتهامي بالاستبداد. وأطلقت التهم بأنني أشد استبدادا من بيت حميد الدين ومن الإمام يحيى لأن هؤلاء فهموا الديموقراطية أن على الناس قبول آرائهم ولو كانت خاطئة ضارة وأعوج من رجل الكلب كما كان ولي العهد أحمد يقول، وإلا فإن الذي يرفض هذه الآراء يكون مستبدا وطاغيا يريد السيطرة على الآخرين وإخضاعهم لآرائه. وقد تمكنا من الحصول على المكان الذي يفتح فيه إعلان حزب الأحرار اليمني ودعوة اليمنيين يوم الافتتاح. واستعرض

المجتمعون المشكلة اليمنية في ذلك الحين وأهداف الحزب لحل المشكلة. وتبرع
المقتدرون يوم الافتتاح كل بما يقدر عليه مما يستطيع، وجمع في ذلك اليوم من
التبرعات ما يقرب من ألف وثلاث مئة ربية، ثم انتهت الجلسة. ولم يطلع صباح
اليوم الثاني حتى جاء الكثيرون يطالبون بتوزيع رأس مال الحزب الذي جمع أمس
وقسمته بالسوية بين القادمين من اليمن. وخيل إليهم أن مالية الحزب للإنفاق على
أعضائه المنتمين إليه، فعهدت إلى الأستاذ الزبيري بالتفاهم معهم. فلما أوضح لهم
وجوب صرف مالية الحزب كما تضمنها قانون الحزب اقتنع بعضهم ورجع إلى
اليمن بثورة حتى لا يعيش مشردا جائعا، فإنه لم ينضم إلى الأحرار إلا ليحصل
على مكاسب وفوائد أعظم مما كان يحصل عليه في اليمن. فصمم بعضهم على
البقاء وعلى المطالبة بنصيبه من مالية الحزب والتهديد بالخروج علينا ومحاربتنا.
وهنا بدأ الصراع وتبادل التهم. ولم يحل المشكلة سوى أن حكومة عدن أصرت
على وقف أي نشاط معاد لحكومة الإمام وإغلاق مقر الحزب. فتفتست الصعداء
وتنفس معي الأخ الزبيري أكثر معترفا بخطأ تقديره للموقف ومنحني لقب "المهم".
فانصرفنا لمطالعة الكتب ثم التحقنا بمدرسة بازرة نعلم اللغة العربية بمرتب
لا بأس به، وأنضم معنا السيد زيد الموشكي والسيد أحمد الشامي. أما الباقون من
المكافحين فاستمروا يركزون الحملة علي ويتهمونني بحرمانهم من المساعدات التي
ظنوا أنني اتلقاها من كل صوب. والذي حملهم على هذا الظن أن أكثر المواطنين
في عدن كانوا من الحجرية التي انتمي إليها وهؤلاء يترددون علي ويتقنون
بي ويطمنون إلي بسبب المعرفة الحقيقية والروابط القبلية والنسب. وكان زملائي
الثلاثة الموشكي والشامي والزبيري يكادون يصدقون هذه التهم، فيناقشونني فيها
ويطلبون مني تقديم المساعدة والعون لهؤلاء. غير أن الزبيري كان يعرف الحقيقة
تماما لأنني لم أفترق معه قط، وقد تولي الدفاع عني فدفع بمشاركتي في المكاسب
والمغانم وقامت مشادة بينه وبين المرحوم السيد زيد الموشكي ذات مرة حتى عدت
أتدخل أنا المتهم لحل الخلاف بينهما. ولقد صدم المرء بهذا النوع من الشخصيات
ولكنه لم يستغرب ولم يندهش ولم ينزعج. فذلك مبلغها من العلم والفهم. ولم نكن
نحن أكثر منها علما ولا فهما إلا أننا سبقناهم بالتجربة والدرس. كما أنني صدمت

من الداخل، فقد نسانا أولئك الذين وعدونا بالمساعدة. بل أشد حذرهم منا ومن الاتصال بنا، وأصبحوا يتقربون إلى ولي العهد مظهرين له صدق ولائهم دامغين لنا بالخيانة وعدم الوفاء، متضامنين معه، طامعين بمكاسب ومغانم من وراء ذلك. وصدمننا أكثر فأكثر بالمهاجرين الذين ظنناهم حريصين على العودة إلى الوطن وأنهم سيضعون ثرواتهم وأنفسهم تحت تصرفنا لإنقاذ الوطن.

س — كيف كانت نظرتك لكل واحد من زملائك، وما هي المعايير التي كنت تقيّم من خلالها العاملين في الحركة سواء في عدن أم في الداخل أم في الخارج؟

ج — تتضح نظرتي إلى زملائي من الإجابة على السؤال السابق. وقد كان الزبيري وحده الزميل الذي لا شكوك بيني وبينه. وما كان يخيفني منه سوى تصديقه لكل من يتحدث إليه أو يهمس في أذنه، لا يحص ولا يجادل. وروح المغامرة عنده قوية وكذلك المبالغة في المخاوف. وكانت الصراحة بيننا ومكاشفة بعضنا بما ينكره كل على الآخر هي الأساس الذي حفظ الوحدة بيننا ودفاع كل منا عن أخيه بحضوره وغيابه. وأذكر أن السيد زيد الموشكي رحمه الله وقد قرر الرجوع إلى اليمن وجد الزبيري متشددا في التمسك ببقائي والنصيحة لي بعدم العودة التي كان السيد زيد يقنعني بها ويقول "إن الزبيري لا يريد مصلحتك وليس وراءه من يخاف عليه عقابا ولا حسابا، أما أنت فإن أسرتك كلها في السجن وعائلات آل نعمان كلها تعاني المتاعب والآلام، وتتعرض للإساءة والأذى من السفهاء والخصوم." وكان السيد زيد يقول ذلك صادقا وب عاطفة ساخطا على الأستاذ الزبيري بعد خلاف بينهما من أجلي. وكان ردي على السيد زيد:

فيا واشيا عفراء بالله خبرا بمن وإلى من جئتمان تشياني
بمن لو أراه عانيا لفديته ومن لو رأني عانيا لفداني

وقد أمتنع السيد زيد بعد هذا وعرف أنه لا يمكن فصم عرى الوحدة بيني وبين الزبيري ورجع هو والسيد أحمد الشامي إلى تعز، كما رجع مطيع دماج وعقيل عثمان وعبد الله ابن حسن أبو رأس، ومن قبلهم الشيخ محمد بن ناجي القوسي والشيخ مقبل جميزه وغيرهم، وبقيت أنا والزبيري لوحدنا. أما المعيار الذي كنت

أقيم به العاملين فهو التجند للمعركة والتفرغ لها بكل تجرد وإخلاص. وإذا أدركت أن العامل في القضية يتخذ منها وسيلة للكسب والارتزاق فإنني أنفر منه أشد النفور. ولم يأت هذا المعيار إلا نتيجة تجربة مع الكثيرين ممن ليس لهم فكر ولا استعداد لعمل. يطالبونني بالانفاق عليهم لأنهم يشتمون الإمام، ولأنهم تركوا أعمالهم وجاءوا إلى عدن للانضمام إلى الأحرار ليكونوا عبئا عليهم، وليعرفوهم عن التفكير بما يجب عمله بحثا عن مصادر للمال للإنفاق عليهم وتأمين معيشتهم.

س - ماذا كان في خاطرك من أهداف في المدى القريب والمدى البعيد؟

ج - إقناع ولي العهد بتحرير نفسه من الاستبداد، واعتناق فكرة الشورى، واصطفاء مجموعة من ذوى الرأي لأستشارتهم فيما يتخذ من إجراءات وما يصدر من قرارات. وكانت فكرة الشورى تسيطر على نفسي وتملا ذهني منذ بدأت أحس بخطر الاستبداد وظلم المستبد وجرائمه وطغيانه. وكان يخيّل إلي أن ولي العهد سيتحول من حاكم مستبد إلى حاكم ديموقراطي لمجرد نصيحة أو رسالة، وأنه ما دام ينصف بالسلام ويصغي للحديث ويتحلى بالتواضع فلن يجد الناصح أية صعوبة في إقناعه. وما دمت أتمتع بصداقته ووده ورضاه فإنني قادر على التأثير عليه والتفاهم معه، خاصة وهو قارئ للقرآن والسنة النبوية، ويعرف ما جاء فيهما حول الشورى. وعلى الرغم من تجربة النصائح تصرّحا وتلميحا، فإنني كنت مصمما على أن لا نعلن المعارضة فور هجرتنا إلى عدن، وأن تكون الرسائل إلى ولي العهد هي الوسيلة لإقناعه، وأن نستخدم معه الصراحة ونحن في منأى من عقابه، فربما يكون للنصح من بعيد أثره. وقد اختلفت مع الزملاء في سلوكي هذا السبيل. وكانت وجهة نظري تتلخص بمحاولة الاتصال بالحاكمين وإقناعهم بأن الإصلاح على يدهم أيسر وأقرب، لأن الشعب ما زال في غيبوبة وجهل لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل. وإذا انتظرنا يقظته فسيطول الانتظار. ونحن قد تخلفنا تخلفا شائنا، وأصبحت الهوة كبيرة بيننا وبين الأقطار العربية التي تطورت بعض الشيء على يد المستعمرين أعداء الإسلام والمسلمين. أما الزملاء فكانت وجهة نظرهم القضاء على الإمام أولا، إذ لا سبيل لأي إصلاح ما دام حيا. وكانوا يستبعدون كل الاستبعاد فكرة التعليم وتوعية الشعب. وقد نزلت عند رأيهم. فقد كانوا أغلبية وتجد

وجهة نظرهم تأييدا عظيما، ولا سيما وأن محاربة الاستبداد كانت كلاما وشتائم وسبا. وهذا النوع من الحرب يجد جنودا كثيرة وزعماء بلا حساب. أما ما الذي كنت أقدره لنجاحي لتحقيق الشورى فهو كما سبق إقناع ولي العهد بفكرة الشورى وتحرير نفسه من الاستبداد بعد سماع النصيحة وقراءة الرسالة. وكنت متأثرا بدعوة الإسلام الأولى، ودخول الناس أفواجا في دين الله، وتحول رجال كعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وكبار كفار قريش وطغاة الجاهلية عن معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعبوداتهم إلى الدعوة الإسلامية عند سماعهم آية قرآنية أو مقابلة للرسول أو لمن يبعثه إليهم بالرسالة. فلذلك رسخ عندي أن ولي العهد لو رزق بطانة صادقة مخلصه واعية فإن استعداده للتحول والتطور متوفر إلى حد كبير. وكنت أفهم الشورى في ذلك الحين فهما محدودا على حسب ما درسته في الشريعة الإسلامية وتاريخ الإسلام، إمام عادل وبطانة صالحة يستشيرها في كل الأمور. أما الشورى على الطريقة الحديثة وقيام الدولة الحديثة والدستور والقوانين فلم تكن نفقه شيئا منها. ولم تكن نفكر في وسائل تحقيق الإصلاح الذي نطالب به. والشعب الذي نهتف باسمه ونتظلم له وننشد له الطمأنينة والاستقرار والعدل والإحسان لا يخطر في بالنا توعيته وتثقيفه وتوجيهه إلى ما يجب عليه. كانت الحكومة كل شيء وعليها كل الواجبات. وعليها أن تصلح نفسها بنفسها حتى ولو كانت لا تدري ما هو المطلوب منها بالتحديد، ولا تعرف ماذا تصنع. ونحن وحدنا نشن الهجوم عليها ونطلق الحملات الدعائية تنفيسا عن أنفسنا وعن الناقمين عليها.

س - كيف بدأ الاتصال بينكم وبين سيف الحق إبراهيم، وماذا كان انطباعك عنه بعد أن تعرفت عليه لأول مرة، ثم ماذا كان تقييمك له أثناء العمل، وما مدى معرفته بالسعي لنقل العرش من أسرته إلى أسرة الوزير؟ وكيف كان شعوره عند مفاتحته بالأمر؟ وهل حدث بينك وبينه صدام أو إحساس بالتنافس؟

ج - كان الأمير إبراهيم محل غضب أبيه هو وبعض إخوته لمسلكتهم الشخصي الذي خرجوا به عن المألوف، فأصبحوا عرضة للسجن المرة بعد المرة. وقد أرادوا أن يصرفوا أذهان الناس عن سوء سلوكهم بانتقاد سياسة والدهم والمطالبة بالتغيير وتأييد الأحرار المعارضين. وقد استغل الأحرار في صنعاء

والمتصلون بنا نقمة الأمير إبراهيم وإخوته، فحرضوهم علىالحاق بالأحرار في عدن وعدم البقاء في صنعاء. فلقيت الفكرة هوى في نفوسهم للخلاص من الوضع الذي يعانونه شخصيا، ومن السجون التي أصبحت مأواهم، والقيود الحديدية التي تثقل سيقانهم، ثم لكسب منزلة عند الناس تمحو من ذاكرتهم ما يشاع عنهم من سوء السلوك. وقد ضمن لهم الأحرار كل ما يصون كرامتهم ويرفع شأنهم. وقد قام ابن آخر للإمام هو العباس بأول محاولة للفرار لكنه فشل واعتقل. أما إبراهيم فقد كان بارعا في التمويه، وكان ذكيا يجيد التمثيل، فأدعى المرض الشديد وتفاهم مع طبيب إيطالي على أن ينصح الإمام بأن يسارع بإرساله إلى اسمرأ للعلاج، ويشعره بالخطر الذي سيلحق بولده إذا تأخر. وأيا كان الإمام يحيى قاسيا فإن قلب الأبوة يقف مع الولد. وحالا وافق على سفره وأن يرافقه ذلك الطبيب الإيطالي وسكرتيه الخاص الأستاذ أحمد البراق الذي كان له دور كبير في إقناع الأمير. كما أن السيد أحمد المطاع وأخاه محمد المطاع، وهما القائمان بنشاط في صنعاء وصلتنا عنه قائمة، كانا على صلة بالبراق سكرتير الأمير إبراهيم، وبالأمر إبراهيم نفسه وإخوته. وهما اللذان كتبنا إلينا يستشيران في إمكان لحاق الأمير وإخوانه بنا، ويسألان عن مدى الفائدة وإمكانية الإنفاق عليهم. وقد فرحنا ورحبنا بذلك أعظم ترحيب. وتم خروج الأمير إلى أسمرأ وكتب لنا وهو هناك وأكمل بذكائه دور التمثيل. وأراد الاحتياط لنفسه قبل أن يعلن انضمامه للأحرار. فقرر المرور بعدن حيث كانت مركزا للأحرار. واتصل بسلطان لحج يشعره بالمرور إلى عدن، فيسر السلطان السبيل، واتصل بالسلطات الإنكليزية فاستقبل رسميا ونزل في قصر السلطان ضيفا مكرما بعد أن كان قد قام بزيارة إلى أديس أبابا وقابل الإمبراطور هيلاسلاسي. وبعد وصوله إلى عدن تشعبت آراؤنا واختلفت، وارتاب بعض إخواننا من أبناء اليمن الأسفل في نوايا الأمير، واتصلوا بي سرا وحضوا على عدم التورط أو الالتزام للأمير بشيء حتى نتعرف عليه ونعرف اتجاهه وتصميمه على البقاء معنا. فربما كان مدسوسا على الأحرار من أبيه. وقد تم التعارف واطمأنت النفس إلى صدق الأمير وسخطه على السياسة التي ينتهجها والده وإخوته، ورغبته الحقيقية في تغيير الأوضاع، وعدم حرصه على السلطة. وما من شك أن الباعث

الأول للسخط حرمانه من حريته الشخصية، ومن تحقيق رغباته الشخصية. وربما رأى كما رأى غيره أن تحقيق الحرية الشخصية للمرء والرغبات والمطامح لا يمكن أن تتم إلا عن طريق مطالبته بالحرية لكل فرد والسعادة لكل فرد. لأنه سيجد الأنصار والتأييد والعطف إذا طالب للآخرين بالحقوق المشروعة وأعلن سخطه على ما ينزل بهم من ظلم، ويكسب في الوقت نفسه حقوقه من خلال مطالبته بحقوق الآخرين، ويمنع الظلم عن نفسه بدفاعه عن المظلومين. وبعد قضاء الأمير إبراهيم ثلاثة أيام ضيفا على سلطان لحج، وبعد الاجتماع به سرا عدة مرات للتفاهم معه على الانضمام إلى صفوف الأحرار وموافقته على ذلك، وجدنا من الإنصاف له والاستفادة الكبرى من انضمامه أن نجعله محل تكريم وإعزاز، وأن ننزله منزلا كريما بين المواطنين. وقد رحب المواطنون أعظم ترحيب، وأقاموا له حفلة تكريم في فندق "إحسان الله"، وألقيت الكلمات المناسبة للترحيب به. فاعلن في نفس الحفلة انضمامه إلى صفوف الأحرار بكلمة ألقاها، وبيان صدر عنه. ونشرت الكلمة والبيان في صحيفة "صوت اليمن". وأحدث انضمامه دوبا هائلا في الداخل والخارج. وكسبت حركة الأحرار قوة وانتصارا وثقة، وقطعت شوطا ما كان لها أن تقطعه خلال عشر سنوات. وتوثقت الصلة بيني وبينه إلى حد بعيد. فقد كان صريحا واضحا صادق اللهجة، متحررا من روح الأنانية والاستبداد تحررا جعل الآخرين الذين لا يعرفونه حق المعرفة يتهمونهم بالضعف والجهل والغباء، وأنه مسير لا مخير. وأعظم ما جعلني أثق به أن بعض الحاقدين كالفسيل والأسودي وغيرهما أرادوا أن يفسدوا العلاقة بيني وبينه ويشككوه في أمري، ويثيروا سخطه، فقالوا له "إن نعمان مستأثر بشؤون الجمعية وأموالها وأسرارها والمرتبطين بها، وأنت مجرد زعيم للجمعية لا تعرف من شؤونها شيئا، ولا تعرف أحدا من أعضائها. فقال لهم "بالله عليكم لو لم يكن نعمان في عدن وله مكانته عند القوم أهل بلده، هل كان أحد يقوم مقامه في عدن؟ من الذي سيستقبلنا فيها أو ينزلنا بهذا الدار، ويهيئ وسائل العمل لنشر القضية في صحيفة ومطبعة ونفقة للعاملين المتفرغين؟" ولما أسكتهم بهذا المنطق، ركزوا على إقناعه بأن يكون هو وحده زعيما للجمعية مطلعا على كل شيء. واقترحوا عليه أن يدعوني إليه ويطلب مني المعلومات عن

مالية الجمعية وأعضائها والمشاركين فيها والمراسلين والرسائل إلى غير ذلك. وأظهروا له أنهم فقط خائفون فيما لو حدث للأستاذ نعمان أي حادث وأنهم يشاركونه التقدير لنعمان والاعتراف له بالوطنية والإخلاص. ففوجئت وأنا في المطبعة كما كنت دائما ملازما لها أشرف عليها وعلى طبع الصحيفة وتصحيحها واستقبل في مكتبها الزائرين، فوجئت بالأستاذ الزبيري، زميلي وأخي، والأستاذ البراق سكرتير الأمير يطلبان إلي أن أقابل إبراهيم. فقلت لهم "بعد الفراغ من عملي سأذهب". فقال الزبيري "دع العمل فإن الأمير غضبان، وربما يأتي بنفسه ويلبجك" و"اللبج" في اللغة العامية في اليمن معناه الضرب. فلم أتمالك نفسي من أن أرد عليه بأنني لست عبدا له ولا لأبيه حتى يلبجني وأنا لم أترك اليمن وأضحى بكل عزيز علي من مال وأهل وأولاد لكي ألقى الهوان والذل على يد الأمير أو غيره!" فأنصرف الزبيري مع البراق دون أية كلمة. وما هي إلا لحظات حتى عاد الأستاذ الزبيري لوحده وكاشفني بما دار عند الأمير وأنه أعجب بردي عليه أمام سكرتير الأمير الذي كان ممن صدق أولئك الحاقدين وحاول التأثير على الأمير. وقال لي: "لم أقل لك ما قلت إلا ليعرف البراق أنني لم أكن متواطئا معك كما اتهموني؟". وقال لي: "إن الأمير تولي الدفاع عنك بما لا يمكن أن تدافع به أنت عن نفسك. ومن رأيي أن تزور الأمير وتسمع ما عنده من حديث". وقد زرت الأمير ووجدت عنده الفسيل، أحد هؤلاء الدساسين. فقلت له "تفضل بالخروج فإن عندي حديثا خاصا مع الأمير". فحاول أن يبقى، ولكنني أصررت على خروجه فخرج. وبدأت الحديث مع الأمير فأثار ما دار بينه وبين أولئك وطالبني بأسماء أعضاء الجمعية وقال: "لا يمكن أن أكون زعيما في جمعية لا أعرف أعضائها. وأنا واثق منك ولكن نخشي أن تتعرض لحادث وكل شيء مسجل باسمك، المطبعة، والصحيفة، ومقر الجمعية، وحتى السيارة التي استقلها بالإضافة إلى مالية الجمعية". قلت له: "إن هذه أسرار وإني مؤتمن عليها لا يمكن أن أبوح بها لأحد ولا أعرض أي مواطن لضرر أو أذى. والذين يحرضون يعرفون كل شيء". قال: "ولماذا لا تطلع زملاءك؟" قلت له: "هؤلاء ليسوا مكافحين ولكنهم مرتزقة". قال: "والأستاذ الزبيري؟" قلت له: "كذلك" قال: "وأنا؟" قلت: "وأنت". وكانت هذه مني في حالة انفعال فقدت معه

الصواب. فصمت رحمه الله ولم يقل سوى هذه الكلمة " لا رحم الله الإمام الذي اضطرنا لمواجهة هذه المواقف." وقد ندمت أشد الندم وشعرت بغلظة كبرى، وجمدت على المقعد الذي أنا فيه كأنني كنت مشدودا إليه بحبال وثيقة. وثقل لساني ولم أنطق بكلمة من شدة الخجل والندم، ولم أرفع رأسي لأنظر بعيني في وجه الأمير. وقد حضر خادم الأمير كأنه ينقذنا من سبات عميق وقال: "إن مائدة الطعام أعدتها العائلة لكما منذ ساعة. وقد برد كل شيء." فأخذ الأمير بيدي وانتقلنا إلى المائدة وجلسنا عليها لا يتكلم أحد منا. وما كان أنبله حينما قال لي: "يا هذا، لننس هذه الجلسة اللعينة البغيضة، ولنعد لصفائنا وثقة كل واحد بأخيه. ولعن الله المفسد. وأرجو أن نعتبر كل شيء كأنه لم يكن." فتהלل وجهي وزال عني الحرج، وأقبلت عليه بكل مشاعري. وهذه هي الجفوة الوحيدة التي قامت بيني وبينه رحمه الله.

أما معرفته بانتقال العرش من أسرته فقد كان قبيل الأحداث. وكنا نعتمد على سكرتيره البراق ليبلغه بما ينبغي تبليغه إياه. وكان يثق بالبراق ويجمع الناس، ولم يبد دهشة حين عرف بالأمر. فقد كان هو والكثيرون من اخوته يشعرون بالنهاية. وكان خوفهم شديدا من أخيه ولي العهد آنذاك الإمام أحمد فيما بعد. فقد كان لقبه "أحمد يا جناه" وكان يخيفهم. وربما كانوا يطمعون بولاية غيره ليؤمنوا الخير لأنفسهم. لم يوجد أي صدام بيني وبين الأمير إبراهيم ولا توجد عنده روح المنافسة. والصدام الوحيد الذي حدث بيننا هو ما سبق ذكره آنفا.

س — هل كان للمصادمات في عدن أثر على العلاقات بالزملاء في مصر وهل كان لديهم علم بذلك؟ وكيف بدأت هذه المصادمات وكيف تطورت وإلى أي حد وصلت؟

ج — كانت روح التعصب المذهبي مسيطرة على الكثيرين، وكذلك روح القبلية. وقد كان السخط مركزا علي وحدي دون زميلي الزبيري. فالمنتمون إلى الزيدية والقبليون من الشافعية تعاونوا معا وعملوا على استمالة الزبيري إلى صفهم، وبعثوا برسائل إلى الإخوان في القاهرة يشنون فيها حملة علي. ولقيت هذه الحملة هوى لدى بعض الذين في القاهرة، ولكن لثقتهم بالزبيري طلبوا منه أن يشرح لهم

الحقيقة، فشرحها لهم شرحا مقنعا. فلم يبق أثر في نفوس الإخوان في القاهرة. واستمرت الصلة بيننا وبينهم وثيقة. أما كيف بدأت المصادمة في عدن ثم كيف تطورت وإلى أي حد بلغت؟ فقد سبق تفصيل ذلك في الإجابة على سؤال سابق.

س — كيف صيغ الميثاق الوطني المقدس؟ وهل دارت مناقشات بين صنعاء وعدن حوله؟

ج — صاغ الميثاق الوطني المقدس الفضيل الورتلاني وتدارسه مع السيد عبد الله الوزير وبعض الإخوة في صنعاء والقاهرة مثل الشيخ محمد صالح المسمري، وأحمد الحورث، ومحبي الدين العنسي، وقد قتل هؤلاء بسيف الإمام أحمد عام ١٩٤٨، وبعض جماعة الإخوان المسلمين. ونسخه القاضي عبد السلام صبره بقلمه. وتوجد بعض الكلمات مصححة بقلم السيد عبد الله الوزير الذي كان خلفا للإمام يحيى، وإبدال بعض الأسماء أيضا. ورشح في هذا الميثاق الفضيل الورتلاني ليكون مستشارا للدولة. وأرسل الميثاق إلى الخادم غالب ليسلمه إلي وإلى القاضي محمد محمود الزبيري فقط. وقد دعاني الخادم رحمه الله إلى منزله بمفردي، وأطلعني على الميثاق وعلى التعليمات بحصر الموضوع بيني وبينه وبين الأستاذ الزبيري. فقلت له: "من الرأي ألا يعرض الآن على الأستاذ الزبيري لأنه لن يتمالك نفسه من الفرح بأن القوم جادون في الأمر بصنعاء وأنهم قد اتخذوا الترتيبات وأعدوا العدة للقيام بحركة تطيح بالإمام يحيى ونظام حكمه ما داموا قد صاغوا هذا الميثاق وأعلنوا عن البديل وعن قيام حكم الشورى". وقلت للخادم: "أنا خبير بالزبيري. سيعتبر كتمان هذا الأمر عن بقية الإخوان خيانة وطنية وجريمة لا تغتفر. إنه طيب القلب، مسرف في حسن الطن، سريع التصديق. وأنا أريد الاحتياط والحذر من أن ينتشر هذا السر فتكون الطامة على الذين رشحوا للحكم وصاغوا الميثاق وسجلت أسماءهم فيه. لكن الخادم كان هو الآخر متزمتا يرى أن عدم إحاطة الزبيري بالخيانة للأمانة التي كلف بها، وصمم على إطلاعه، قلت له: "لا تسارع في ذلك". ولم تدر أية مناقشة في عدن لهذا الميثاق غير الاعتراف بعدم الإنصاف في توزيع المناصب بين الشافعية والزيدية. وقد قال لي الأستاذ الزبيري: "ينبغي أن لا تأتي الإشارة إلى هذا منك. دعني أقوم بذلك". وفعلا بعث

برسالة يعلن فيها معارضته لهذا التوزيع ويطلب الإنصاف. كانت النسبة ضئيلة جدا، لأنها المرة الأولى التي يشترك فيها الشوافع في السلطة. كانت السلطة كلها بيد الزيدية والشافعية عبارة عن رعية عليهم تسليم الضرائب. فاستشعروا في صنعاء أنهم لو فاجأوا الناس بهذه المساواة لانقلبت الأمور عليهم. لم يكن عدم المساواة في التوزيع عن سوء نية. وقد طلبوا من صنعاء أن لا تطبع سوى عشر نسخ من هذا الميثاق. ولكن اتفقت آراؤنا على طبع ما يزيد على ثلاثة آلاف نسخة حتى يصبح العهد الجديد ملتزما بما أعلنه للناس. وبعد الطبع احتفظنا بالمطبوعات عندنا إلى موعدها، كما أرسلنا بعض النسخ إلى القاهرة لنشرها بعد أن نتحقق الإطاحة بحكم الإمام يحيى. وفجأة سرت إشاعة موت الإمام يحيى. وانتشرت في اليوم الذي كان محددًا للانقلاب. وتلقى الخادم غالب برقية نصها هكذا: "ارسلوا الأعطال". فهم من هذه الإشارة أن الانقلاب قام ونجح. واتصلت حكومة عدن تسأل بعد هذه الإشاعة وصدقها الجميع ما عدا شخص واحد رفض التصديق ونصح بالتريث. ولكن كان وحده والأغلبية تطالب بإعلان نهاية عهد الإمام يحيى وتوزيع الميثاق الوطني. إلا هذا الشخص، وهو أنا، الذي عارض معارضة شديدة. ولكن الجنون بلغ القمة ولم يصغ أحد لصوتي. فانسحبت إلى منزلي وتركهم يوزعون الميثاق ويصيغون البرقيات ويبعثونها لوكالات الأنباء والصحف. ولم يطلع صباح اليوم الثاني إلا وقد صدر تكذيب للإشاعة وثبت عدم صحتها. وقد نشرت صحيفة الإخوان المسلمين في القاهرة الميثاق في صفحاتها الأولى وأسماء أعضاء الحكومة الجديدة، واسم الإمام الجديد. فبهت الذين في صنعاء من هول الصدمة. وكان أول المسارعين إلى التكذيب السيد عبد الله الوزير. وأصبح مركز الأحرار في عدن في خطر. أما الإخوان في القاهرة فقالوا إنها هزيمة الخمسين عاما. ولزم المتحمسون للإشاعة ونشر الميثاق منازلهم ولم يجرعوا على الظهور من شدة الخجل. أما الخادم غالب فغضب وأوسع شتما وسبا. قلت له:

يداك أوقدتا وفوك نفخ

إنك لم تسمع ولم تع. وهونت عليه الأمر. وصغت باسمه برقية إلى السيد عبد الله الوزير ولإمام يحيى ولولي العهد، نصرف بها الخطر عن في الداخل، ونلقب الأحرار بالسفهاء الحاقدين الذين يريدون توريط الإمام يحيى لإنزال العقوبة

بالأبرياء من رجاله، وأن هؤلاء السفهاء الأوغاد عند ما أحسوا بعدم جدوى معارضتهم أرادوا أن يمارسوا أسلوب الدس وإضرار نار الفتنة بين جلالة الإمام والمخلصين من رجاله، وإثارة الشكوك والشبهات. ثم عدت في نفس الوقت أهون على أولئك المتشردين وأزورهم في منازلهم وأعاتبهم عتاباً جميلاً من التسرع. ونشرنا مقالاً في "صوت اليمن" تحت عنوان "أحلام الأمس حقائق الغد" مع استطراد ذكر مثل هذه الإشاعات في التاريخ .

س - مع من كانت أغلب الاتصالات الهامة في صنعاء قبل الانقلاب؟

ج - كان السيد أحمد المطاع همزة الوصل بيننا وبين الذين في صنعاء. كما أن الخادم غالب وهو المرتبط بالكثيرين من المسؤولين والتجار في صنعاء والحديدة وتعز كان محل ثقة الجميع، والمركز الرئيسي في الاتصالات الهامة.

س - كيف شكلت حكومة الوزير وما هي في تقديرك أسباب فشله العاجل؟

ج - اتفق على تشكيل الحكومة في صنعاء، وروعت رغبة عبد الله الوزير في اختيار أعضائها حتى يضمنوا انضمامه وقبوله لتحمل المسؤولية. فلم يقتنع إلا بعد جهد جهيد وبعد محاولة شاقة عسيرة قام بها الفضيل الورتلاني، وضمن له السلامة وتأييد العرب وسائر دول العالم.

أما أسباب الفشل العاجل فترجع في نظري إلى انهيار أعصاب السيد عبد الله الوزير بعدما علم أن ولي العهد أحمد حيا يرزق. فقد كانت الخطة التي قبل الوزير على أساسها الانضمام للحركة أن ينتهي يحيى وولي العهد أحمد في آن واحد ، إذ أن سبب التعجيل بالقضاء على الإمام يحيى كان الخشية من أن تمتد به الحياة إلى أن يصبح ابنه أحمد سيد الموقف مسيطراً على جميع الأمور. غير أن هذه العجلة جاءت بالإمام أحمد وأعطته سلاحاً قوياً للقضاء على خصومه وجمع القبائل والتفافها حوله. وهكذا من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

قد كان ما كان مما لست أذكره فالظلم شر ولا تسأل عن الخبر

LE PROFESSEUR AHMED NU'MAN

François BURGAT, directeur du Centre Français
d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa (CEFAS) et
Nadia Maria El Cheikh, Director of the Center for Arab and
Middle Eastern Studies (CAMES)

Sanaa-Beyrouth février 2003

Le Yémen ne fait pas exception à la règle qui veut que la connaissance d'un système politique ne puisse faire l'économie du détour historique. Les alliances et dissidences, les sympathies et les défiances, les solidarités ou les discordes qui éclairent les constantes de l'assise du régime depuis 1962, la réunification de 1990 et la guerre civile de 1994, sont toutes inscrites dans l'histoire du 20ème siècle. La base sociale du régime, sa force comme ses faiblesses, les transformations nécessaires à sa survie ne peuvent être véritablement décryptées qu'à la lumière des itinéraires culturels et politiques des individualités qui en constituent aujourd'hui le substrat humain.

Ahmed Nu'man est l'un des acteurs intellectuels et politiques qui ont joué dans l'histoire du Yémen moderne un rôle de tout premier plan. Le premier acte politique de celui dont l'histoire a choisi de se souvenir comme « le professeur » a été de fonder une école, affirmant ainsi l'importance de l'éducation dans le processus révolutionnaire et dans le développement. Le travail de modernisation intellectuelle qui a participé à la naissance du régime républicain en 1962 lui doit beaucoup.

Nu'man s'est très vite trouvé en désaccord avec les révolutionnaires du 26 septembre et a choisi l'exil. Son alter ego Mohamed Mahmûd Zubayrî ayant trouvé la mort prématurément au cours de la guerre civile, aucun de ces deux personnages

majeurs n'a à ce jour véritablement trouvé sa place dans le panthéon des fondateurs du Yémen moderne.

Dans le cadre d'un programme consacré aux « Fondements historiques des appartenances politiques dans le Yémen contemporain » le Centre Français d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa a souhaité que le témoignage essentiel d'un militant de la modernisation du Yémen puisse jouer son rôle dans le nécessaire débat en cours, tant à l'échelle yéménite et arabe qu'à l'échelle universelle. Seul ce débat permettra en effet d'écrire l'histoire contemporaine de cette région du monde et, au-delà, celle des relations internationales à l'époque charnière de la fin du colonialisme. En 1969, en même temps qu'un important fonds d'archives personnelles, Nu'man a confié à la Jafet Library de l'Université américaine de Beyrouth, un long récit oral des épisodes les plus marquants de sa vie personnelle et politique. Ce témoignage a été recueilli dans le cadre du projet d'histoire orale lancé au cours des années soixante et soixante dix par le Center for Arab and Middle Eastern Studies de cette université. Nos remerciement chaleureux vont aujourd'hui à Ali Zaid, historien attentif du Yémen, qui a accepté de revoir et d'éditer la transcription de ce texte, dont la parution inaugure, nous l'espérons, une série d'autres publications issues de ces précieuses archives.

Est-il besoin de préciser que ni le Centre Français d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa (CEFAS) ni le Centre for Arab and Middle Eastern Studies (CAMES) de l'Université Américaine de Beyrouth, à qui ce document a été confié, n'accordent de caution scientifique et encore moins politique aux témoignages rapportés dans ce livre. Ils n'entendent pas non plus s'immiscer dans le débat qu'il contribuera, inévitablement, à nourrir, au Yémen ou ailleurs. Mais ils sont fiers de participer, ne fût-ce que modestement, à son enrichissement.

PROFESSOR AHMED NU'MAN

Yemen is no exception to the rule that understanding a political system requires a sound appreciation of its history. The alignments and rivalries, sympathies and animosities, solidarities and confrontations of Yemeni politics since 1962 – including the reunification of 1990 and the civil war of 1994 – illuminate the fundamental constants of the political system that are registered in the history of the 20th century. The social basis of the political system, its strengths and weaknesses, and the changes required for its survival can truly be interpreted only in light of the cultural and political journeys of the personalities that form the human aspect of the political system.

Ahmad Nu'man is one of the intellectual and political actors with a major role in the history of modern Yemen. His first political act, for which history has chosen to call him 'the professor', was founding a school. This act was his way of asserting the importance of education to the revolutionary process and to national development. The intellectual modernization that helped to give rise to the republican regime in 1962 owed much to his efforts. But soon finding himself in disagreement with the revolutionaries of September 26, he chose the road of exile. Neither he nor his alter ego Mohamad Mahmûd Zubayrî, who died prematurely during the civil war, has yet found his true place as a major figure in the pantheon of the founders of modern Yemen.

The Centre Français d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa hopes that the essential testimony of a activist of Yemen's modernization – presented as part of a program devoted to the «Fondements historiques des appartenances politiques dans le Yémen contemporain» – might find a place within the necessary debate currently taking place in Yemen and in the Arab world, and more generally around the world. Only this debate will in fact allow writing the modern history of the region and the history of

international relations in this pivotal period at the end of colonialism.

In 1969 Nu'man donated to the Jafet Library (American University of Beirut) a collection of very important personal archives. At the same time, he also presented a lengthy oral testimony of the most salient episodes of his personal and political life, as part of the Oral History Project which the Center for Arab and Middle Eastern Studies of the American University of Beirut conducted during the 1960s and 1970s. We wish to extend our warmest thanks to Ali Zayd, an attentive historian of Yemen, for agreeing to review and to edit the transcription of this text which inaugurates a series of publications based on the valuable archives in the Jafet Library.

Needless to say, neither the Centre Français d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa (CEFAS) nor the Center for Arab and Middle Eastern Studies (CAMES) at the American University of Beirut bestow any scientific, much less political, endorsement of the testimony reported in this book. Moreover, these Centers by no means wish to insert themselves into the debate, in Yemen or elsewhere, to which this book will inevitably contribute. But the Centers are proud to contribute, if only modestly, to the enrichment of that debate.

